

بسم الله الرحمن الرحيم

جمــهورية الســودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليــا

كلية اللغة العربية ـ قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أثر الأقدمين في شعر أبي الطيب المتنبي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعـداد الطالبة:

عائشة عبد الحميد هلال الجندي

إشـراف/ الأستـاذ الدكتـور:

بـابكر البدوي دشين

العام

١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

قال تعالى:

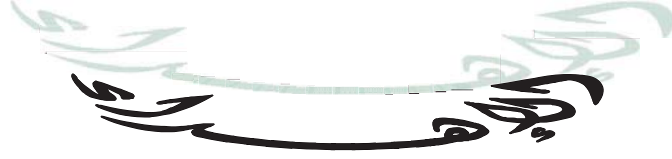
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

صدق الله العظيم

سورة يس الآيات ٨٢ – ٨٣

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com



إلى أبويّ – يرحمهما الله – فهذا بعض غرسهما

إلى أخي علي الذي كابد معي هموم هذا البحث.

إلى ابنتي الغالية علياء فقد نلت من وقتها ما كانت

هي أولى به مني.

والى أسرتي التي ضحت بزمنها من أجل إتمام هذا البحث.

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين.

لا يسعني في مثل هذا العمل المتواضع إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لكلٍّ من تكرم عليّ فأولاني نصيباً من رعايته، وأعانني على تحمل مشاق البحث ومتاعب الدراسة، وما أكثرهم، ولكن لابد أن أخص بالشكر العميق والثناء الجزيل بعضاً منهم وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الشامي عميد كلية اللغة العربية الذي كان له أبلغ الأثر في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود، جزاه الله عني خير الجزاء.

وأخص بالذكر إدارة جامعة أم درمان الإسلامية وعمادة الدراسات العليا اللتين مهدتا أمامي الطريق.

ولا يفوتني في مثل هذا المقام أن أوجه الشكر إلى الأستاذ الدكتور **بابكر البدوي دشين** المشرف على هذه الرسالة والذي بذل جهداً طيباً معي ولم يبخل عليّ بزمن أو نصيحة أو كتاب ، والى الأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة :-

الأستاذ الدكتور/ محمد غالب عبد الرحمن

الأستاذ الدكتور / عبد الله إبراهيم الفضل

والشكر موصول لأسرتي الكريمة ولكل من تكبد معي متاعب البحث وصعابه.

والله أسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

قال العماد الأصفهاني :

(إني رأيت أنَّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

ملخص الدراسة

دراسة الأثر في شعر الشعراء تأثيراً وتأثراً، تعتبر من الموضوعات المهمة التي تعمقت فيها الدراسات الأدبية والنقدية قديماً وحديثاً، وذلك من خلال المصطلحات المتعددة التي تؤكد اهتمام القدماء بها، كالتقليد والاستيحاء والأخذ والسرقة وغيرها من المصطلحات التي تقترب من هذا المعنى.

إن تأثر الشعراء بغيرهم ظاهرة متعددة الأبعاد، تعتمد على استيحاء الشاعر لمعاني الشاعر الذي سبقه، أو أخذه بعضا من الألفاظ أو الأساليب أو الصور الجمالية أو غير ذلك من عناصر الشعر المعروفة، فتتحد هذه العناصر مع بعضها خالقة مفهوماً جديدا وسم بالأثر الذي أطلق عليه النقاد ألفاظاً مختلفة ولكنها تؤدي نفس المعنى.

لقد استوحيت عنوان هذه الدراسة من قول ناقد من نقاد القرن الرابع الهجري – الذي عاش فيه المتنبي – وهو الآمدي الذي ذكر هذا المصطلح قائلاً:
(بابُ ما يعرى منه أحد من الشعراء إلا القليل). هذه المقولة هي التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، وبناءً عليها فقد أصبح التأثر بالشعراء أمراً مشروعاً.

إن لأثر الأقدمين في شعر الشعراء أهمية قصوى، وبالرغم من ذلك فإنَّ الدراسات الحديثة على كثرتها لم تدرسه بصورة مستقلة اللهم إلا ما ورد ضمن اهتماماتها العامة بموضوعاتها المختلفة. وغايتي في هذه الدراسة تتبع أثر الأقدمين في شعر أبي الطيب المتنبي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تهدف الدراسة إلى عرض آراء نقادنا القدماء حول هذه الظاهرة في شعر المتنبي، الذي لم يكن هو الأول في تاريخ الشعر العربي من تأثر بغيره من الشعراء؛ لأن الدراسات وجدت من سبقه في هذا المجال، الأمر الذي جعل تأثر الشاعر بغيره سنة مشروعة، لاسيما المتنبي الذي يشهد له بسلامة الذوق ودقة التصوير وحسن التصرف في معاني غيره.

تناولت في هذا الموضوع شعر المتنبي وذلك من خلال المؤثرات العامة التي أثرت في نتاجه الشعري، كالبيئة من بادية وحضر، والمكونات الثقافية المتعددة من

لغة ودين وفلسفة وتاريخ وغيرها، وحاولت رصد الجوانب التي تأثر بها المتنبي في شعره من الشعراء السابقين.

جعلت أثر الأقدمين في شعر أبي الطيب المتنبي عنواناً لهذه الدراسة التي قسمتها إلى مقدمة وثلاثة فصول. تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره والصعوبات التي واجهت هذه الدراسة مثل قلة الدراسات الحديثة ، كما واجهت الدارسة صعوبات أخرى مختلفة في مقدمتها الطباعة.

ومن ثم جاءت الدراسة في ثلاثة فصول؛ تتبعت في الفصل الأوَّل حياة الشاعر وتنقلاته، والآثار المختلفة التي تركت بصماتها واضحة في شعره.

والفصل الثاني خصصته لثقافة الشاعر والمعارف الأخرى التي ساعدت في تكوينه الثقافي من لغوية ودينية وفلسفية وتاريخية وغيرها.

وانفرد الفصل الثالث والأخير بالحديث عن أثر الشعراء السابقين في شعره؛ لما له من أهمية قصوى في دراسة هذا المصطلح النقدي الأدبي في شعر المتنبي، فذكرت نماذج شعرية لبعض الشعراء الذين تأثر بهم المتنبي، حتى نؤكد للدارسين بأن الشاعر قد تأثر بمن سبقه، بالرغم من اختلاف الآراء حول ذلك.

وأخيراً ذيلت الدراسة بخاتمة حوت أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة.

Abstract

The study of effect in poetry Is considered to be one of the most important topic that the past and recent literary and critical studies explain deeply through various terminologies which proved the old poet's concernment to such issues such as imitation inspiration, literary plagiarism and others terms which have such meaning.

The effect of poets in each others depends on the poets semantic inspiration of the poet that receded him or by borrowing some of his words, styles, images or any other poetic aspects, such elements combined together and created anew concept (the effect) which the critics give different names serve the same meaning.

The researcher inspires the topic of this study from a critic lived in the fourth century **(higri)** in which al Motanabi lived, the critic was ALAmidi who mentioned this term.

"باب ما يعري منه أحد من الشعراء إلا القليل"

Which means that " the majority of poets had influenced each others"

This statement pushed the researcher to select the topic of this study.

In spite of the fact that the influence of old poets in poetry has a big significant the recent studies don't paid this issue any attention, so the researcher in this study aims to follow the effect of old poets on ABO. Eltyeib's poetry from one side and from an other the study aims to reflect the view of the old critics concerning this

phenomenon in the poetry of AL Motanbi who was not the first one in Arabic poetry influenced by others because the studies have shown that poets preceded Almotanabi have done so, thus Almotanabi was known by his fluent and accurate language.

The researcher in this study clarifies Almotanabi's poetry through general factors that influenced his poetry such as environment **(urban-rural)** and others cultural components that effected the poet such as language, religion, philosophy, history and others……

The researcher adopts the influence of the former poets on ABO Altyb's poetry as a title for this study and divided the study in to an introduction and three chapters in which the researcher explains the significant of this subject, the reason of its selection and the difficulties which face this study such as the lack of recent studies and others different difficulties.

The first chapter discusses the biography of the poet, the second chapter discusses the cultural environment of the poet and the third and last chapter discusses the impact of the former poets on Almotanabi's poetry. This study mentions different poetic samples of some poets by whom Almotanabi influenced in spite of the different point of view on this issue.

Finally the conclusion of this study consist of the most important findings that the researcher had arrived.

مقدمة

تشير أغلب الدراسات إلى أنّ المتنبي وليد عصر التغيير– ألا وهو العصر العباسي– الذي شمل مناحي الحياة المختلفة، ولقد اهتم بشعره الدارسون قديماً وحديثاً، فكيفما كتب عنه الكاتبون لا تزال فيه مجالات للقول، ولا يزال يطل عليك من مشارف أبياته بفن جديد. كل الكتب التي كتبت عن المتنبي أنارت لنا الطريق، ولذا جاء هذا البحث وليد جهود سابقة، ولكنها اهتمامات لا تعدو إضافات يسيرة لصرح شامخ البناء؛ لأنّ الاهتمام كان بشاعريته فقط، لكونها غرضا مباشرا لكثير من الدارسين.

اختارت الدارسة موضوع (أثر الأقدمين في شعر المتنبي) عنوانا لها؛ رغبة في أن تسهم – ولو بقدر متواضع– في دراسة مباحث شغلت الكثيرين من النقاد العرب وكانت هذه القضية من القضايا التي ألح عليها النقاد، وكانت مادتها مبثوثة هنا وهناك في كتب القدماء والمحدثين، مِمَّاجعل الدارسة تتكبد العناء في لم هذا الشتات، كما هو واضح بين مصادر ومراجع هذه الدراسة.

ترى الدارسة أنّ ما كتب في هذا الموضوع محدود ولا يفي بالغرض، وإذا ما حاولنا استقصاء الكتابات التي باشرت موضوع (أثر الأقدمين في شعر المتنبي)، وجدنا عدداً لا بأس به من الأسماء والعناوين ولكنها متشعبة وممتدة في الزمن، ولا تعدو أن تكون شذرات متفرقة لا تكاد تقدم لنا صورة – ولو شبه متكاملة– عن الموضوع مهما اجتهدنا في لم شتاتها.

إنّ الدراسات الجادة في ذلك قليلة إلى درجة الشح ولقد كانت الندرة في الدراسات الحديثة وراء اختياري لهذا العنوان، ولقد عزز هذا التحديد لديَّ في النهاية عشقي للمصطلحات المغمورة في النقد الأدبي.

غايتي من وراء هذا التحديد أن أعطي صورة للتصور النقدي لأثر الأقدمين في شعر الشعراء، وحددت شعر المتنبي ميداناً لهذه الدراسة التي عانيت كثيراً في الحصول على مادتها وذلك – كما ذكرت– لندرة الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع، خاصة المتخصصة منها، ولا ينفي ذلك أنني قد انتفعت بكل ما أمكنني الوصول إليه من كتب النقد ودواوين الشعراء الذين تأثر بهم المتنبي.

تخيرت الدراسة أن تدرس (أثر الأقدمين في شعر المتنبي) فلا تقيده بناقد ما، ولا تحدده بشاعر معين، ولا تخصص له قصيدة أو قصائد؛ ذلك أنَّ مثل هذا التقييد والتحديد لا يتيح للدراسة أن تعطي تصوراً متكاملاً متماسكاً لأثر الأقدمين في شعره، وذلك هو الذي تأمله، فضلاً عن أنَّ هذا التحديد لا يمكن للدراسة لضآلة المادة أو لتباعد ما بينها.

تناولت الدراسة (أثر الأقدمين في شعر المتنبي) كغيره من المصطلحات التي تناولها الأدباء والنقاد بالدراسة والتتبع والمقارنة، فوجدته يخضع لمؤثرات عامة وتيارات متنوعة، الأمر الذي دفعها إلى دراسة الشاعر وحياته من جهة، وتصفح دواوين الشعراء الذين تأثر بهم من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة فلقد وقفت الدراسة على آراء بعض النقاد كالآمدي الذي عاش في عصر الشاعر، فجوز تأثر الشاعر بغيره والذي عدَّاه الآخرون مذمةً كالحاتمي وغيره من المتحاملين على الشاعر وشعره.

إنَّ الدراسات التي تتحدث عن (أثر الأقدمين في شعر المتنبي) – ضمناً أو صراحةً– عديدة وليس من الضروري هنا عرض مصادر البحث جميعها، ولكن لابد من الإشارة إلى أكثرها أهمية نذكر منها: دراسة (محمود محمد شاكر) (المتنبي)، ودراسة عبد الرحمن شعيب، (المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث)، ودراسة عبد الوهاب عزام (ذكرى أبي الطيب المتنبي)، وغيرها من الدراسات التي تناولت شعر المتنبي بالدراسة والتحليل والنقد.

وفي تقدير الدراسة أنَّ دراسة الأثر لا تتم إلا بدراسة حياة الشاعر والبيئات التي عاش فيها وأفاد من ثقافاتها ولذا فقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة حوت أهمَّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

تناولت الدراسة في الفصل الأوَّل حياة الشاعر التي عاشها بين صنفين متضادين من المعاملة؛ معاملة حسنة من مريديه والمعجبين به، وأخرى من الحاقدين عليه والمتحاملين، حياته التي اشتملت على كثير من الثقافات والمعارف المختلفة.

اختص الفصل الثاني بدراسة جانب مهم من جوانب حياته وهو الجانب الثقافي لما له من أهميَّة قصوى في شعره وموروثه ومحفوظه، فقد تعددت ثقافته

وتنوعت من لغوية ودينية وفلسفية وأدبية، وغيرها من ألوان المعرفة التي تميز بها القرن الرابع الهجري والتي تركت أثراً واضحاً في شعره.

أمَّا الفصل الثالث والأخير فجاء بعنوان الموروث في شعره، وذلك من خلال أثر الأقدمين في شعره، والأثر – كما ذكرنا – من المصطلحات التي تناولها الأدباء والنقاد وعلماء اللغة بالدراسة والتتبع والمقارنة.

وجاءت الخاتمة تذييلاً لهذا البحث وعرضاً لأهمَّ النتائج التي توصلت إليها الدارسة.

هذه هي طبيعة الدراسة وأهدافها، وما هي إلاَّ محاولة للتعرف على (أثر الأقدمين في شعر المتنبي)، لذلك كان لابد أن تخرج الدراسة على ما خرجت عليه، فقد عملت – أي الدارسة– على تتبع الثقافة الماثلة في شعره، وعلى إبانة كيف عامل الشاعر معارفه حين أراد أن يدخلها في شعره. فإن وفقت فالحمد لله، وإن لازم اجتهادي الخطأ والنقصان فتلك سمات البشر، وأرجو على الأقل أن أكون قد بينت الطريق لمثل هذا البحث، وأكبر الظن أنَّه جديد في ميدانه، وكل جديد لابد أن تحيط به الآراء الجائرة والمقوِّمة ليصل إلى ما يمكن أن يصل إليه من كمال. – والكمال لله وحده– ولا يفوتني هنا أن أذكر حديث الثعالبي: (يجد ويدأب حتى يظن أنّه استولى على الغاية وأوفى على الأمد، ثم يظهر له ما يرى معه أنّه لا يزال في أول الطريق).

حيـاة أبـي الطيـب المتنبي وعصـره

يحدثنا تاريخ المتنبي أنَّه طوّف في الأرض وجاب كثيراً من أقطارها مهاجراً طلباً للعلم والمعرفة. أو رغبةً في بعد الصيت واشتهار الذكر. أو أملاً في المجد والسلطان أو فراراً من الخطر وطلباً للأمان. وكانت له في كل جهة يحل بها مجالس وندوات تتناول أدبه بالشرح والتقويم.

وبذلك نجد أنفسنا أمام سيل لا يكاد ينفد من الدراسات ذات الصبغات المختلفة والمستويات المتباينة، فنحن نرغب في دراسة حياته في حدود القدر الذي أبقاه لنا الزمن مع علمنا أنَّ التاريخ لا يفصح لنا عن كل ما نود معرفته.

فقد أثار المتنبي حركة واسعة من الدراسات في حياته وبعد موته، وشغل الناس– وما زالوا – في كثير من البلدان والأمصار، وتنقل بين حلب ومصر والعراق وفارس، فتركت كل بيئة من هذه البيئات أثراً واضحاً في شخصيته من جهة وفي شعره من جهة أخرى، فحياته مليئة بالمغامرات والعجائب والتفرد والتميز، وهي الحياة التي حظيت بجانب كبير من الدراسات، وتصدى لها أكثر من دارس بدراسة عميقة الغور. فهو شاعر ورجل يستحق كل جهد وتقدير، فبالقدر الذي تميزت به حياته نجد مآخذاً وعيوباً قد علقت بها. فهو الشاعر الذي لولاه ما بقيت محاسن آل حمدان، ولولاه ما عرف الطموح والمجد، وما اختصم النقاد وما تحامل الحساد، فهو إذن يمثل مرجعاً تاريخياً وإنسانياً بكل ما تحمل الإنسانية من تداخل وتشابك.

فهو الشاعر الرَّحالة الذي عاش في كنف الأمراء والسلاطين، فإنه كما قال عنه بعض الدارسين من سحرة الشعر[١] وعجائب العصر. فقد عاش طموحاً عاشقاً للعلا بالرغم من حياة الفقر، وكثرة الأعداء.

حقيقة قد حار الدارسون في تتبعهم لحياته وسيرته – وهكذا حارت الدارسة– التي كلما قلبت صفحاتها أصبحت صالحة لنوع جديد من الدراسات الإنسانية والأدبية.

---

[١] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، عبد الرحمن شعيب، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٩م ، ص ١٩.

تناولت الدارسة في هذا الفصل حياة الشاعر من حيث المولد والنشأة والقبيلة والفقر، وذكرت شيوخه ووقفت عند بداياته الشعرية. وتعرضت الدارسة لثقافته التي سوف نفصل الحديث عنها في صفحات لاحقة من هذا البحث، وتحدثت عن خروجه من البادية وموقفه من رجال الحكم، وأسفاره ما بين الكوفة وبغداد والشام ومصر، موضحة مؤثرات كل بيئة في شعره، كما وقفت على حياته وشعره في رحاب سيف الدولة، وفي إمارة كافور الإخشيدي، ولم تغفل هذه الدراسة عن ذكر المحاسن الإنسانية التي تمتع بها، والمآخذ والعيوب التي قصدها حساده للتقليل من شاعريته.

وختم الفصل بمقتله الذي اختلف فيه الدارسون، فذهب المتنبي وظل شعره.

الفصل الأول

المبحث الأوَّل: مولد الشاعر وقبيلته ونسبه:

ولد أبو الطيب بمدينة الكوفة ونشأ بها وتعلم ولم نكن في حاجة إلى الإبانة عن مكانة الكوفة والبصرة في تاريخ العلوم العربية والدينية، وأنَّ هاتين المدينتين كانتا مهد هذه العلوم ولبثتا زهاء ثلاثة قرون مثابة قبلة للعلم والأدب. وظلت الكوفة في عهد المتنبي ذات مكانة في الأدب عظيمة، على أننا لا نعنى بتاريخ الكوفة وحدها في سيرة المتنبي فقد ورد بغداد وأخذ عن أدبائها وقد كانت حاضرة العلوم والآداب في ذلك العصر. ومن شيوخه من كان كوفياً ومن كان بغدادياً وسوف نفصل الحديث – بإذن الله – في المكان الخاص بهؤلاء الشيوخ. كذلك عاش أبو الطيب حقبة في الشام، وأقام في مصر زمناً ولقي الأدباء والعلماء، في الجامع العتيق (جامع عمرو في الفسطاط) الذي كان مجلساً للعلم والأدب.

إنَّ دراسة قبيلة الشاعر ونسبه تعد من القضايا الموضوعية التي يجب أن تدرس، لذلك جاء هذا المبحث حاملاً لهذه القضية الموضوعية، ومن ناحية أخرى نريد أن نكشف الستار عن نسبه الذي اختلف فيه الناس منذ القديم، ولفقوا له نسباً غير راضين عنه كل الرضي، ولا مطمئنين كل الاطمئنان بأن جعلوه أحمد بن الحسين الجعفي الكندي اليمني، أو نسباً قريباً من ذلك.[٢]

أثار الدارسون في العصر الحديث قضية النسب في شيء من الحيرة[٣]، وكان أوَّل من بحث هذه القضية بقدر غير قليل من الجد والعمق محمود محمد محمد شاكر في بحثه الذي نشره عن المتنبي بعنوان: (أبو الطيب المتنبي) في مجلة المقتطف. وانتهى إلى أنَّ أبا الطيب علوي النسب.

---

[٢] انظر الخلاف في نسب المتنبي في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج/١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٢١٠.

[٣] المتنبي في دراسات المستشرقين ، حسن الإمراني، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ص

لعل النتيجة التي انتهى إليها شاكر في بحثه، وأطمأنَّ بها، في قضية النسب، قد فتحت المجال أمام الدارسين الذين أرادوا أن يرجعوا إلى المتنبي أباه، فإذا هو مضيع له إلى الأبد، وكان لسان حاله يقول ما قاله سواه:

وَلَوْ كُنْتُم مِمَّنْ يُدَبِّر أمْرَهُ

لمَّا كُنْتُم نَسْلَ الَّذي ما لَهُ نَسْلُ[٤]

فكما وقف الدارسون أمام نسبه، وقفوا أيضاً أمام كنيته (بماذا كني) (بأبي الطيب) ومن هو أبو الطيب هذا ؟ فلم يكن اسماً لابنه ولا لجده طبعاً، أكان صفة لأحدهما، ولماذا لم يكن باسم ابنه (المحُسّد) فجميعها تساؤلات تدور في ذهن القارئ ولكنها ليست بأهمية نسبه الذي اختلف حوله الدارسون في الأمور المتفق عليها في شأن مولده؛ لأنه ولد بالكوفة سنة ٩١٥ في حي كندة سنة ثلاث وثلاثمائة هجرية، وقال علي بن حمزة البصري: سألت أبا الطيب أحمد بن الحسين الجعفي عن مولده فقال: ولدت بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلثمائة على وجه التقريب لا التحقيق، ونشأت بالبادية والشام.

وأمَّا عن حقيقة اسمه فهو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعفي الكوفي المعروف بالمتنبي وكان والده يعرف بعيدان.

ويقول ابن خلكان: (وقيل: أحمد بن الحسن بن مرة بن عبد الجبار والله أعلم)[٥]. وهو من أحد بطون سعد العشيرة ويبقى نسبه إلى كهران من اليمن . وقبيلته قبيلة عريقة ذات فصاحة ولسن. أمَّا نسبته من أبيه فينتهي إلى أبي (همدان) وهو يمني أيضاً.

وقد ظن بعض الناس أنَّ أبا الطيب من كندة القبيلة. فقالوا بدأ الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس في البدء والمتنبي والرمادي الشاعر في الختام، وكانا

---

[٤] ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٣١٩.

[٥] وفيات الأعيان، ابن خلكان ، ص ١٢٣ .

متعاصرين[6]. وروى أن أبا فراس قال لأبي الطيب في مجلس سيف الدولة (يا دعي كندة[7]).

ولا نتوقع أن يفصح لنا التاريخ عن كل ما نود معرفته عن طفولة الشاعر، وحياته ولكنه أنبأنا أنَه (اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً[8]. يفهم من العبارة السابقة اللون المذهبي الذي يدين به ذووه، والذي حاولوا أن ينشئوه عليه منذ نعومة أظافره وهو المذهب العلوي الذي كان يناوئ الخلافة العباسية القائمة آنذاك ويعمل على القضاء عليها ووراثة الملك من بعدها. ولعل من العجب أن يوجد بالكوفة في هذه الآونة التي يتولى فيها أمور المسلمين خليفة عباسي كُتاب يدين بالعلوية وينشر مبادئها بين المتعلمين[9]. والذي نعلمه أنَ الخليفة العباسي لم يكن له من الأمر شيء[10]. وأنَ السلطة الفعلية في هذه الآونة كانت في أيدي الوزراء وقادة الجيش، الذين يعتقدون أنَ العباسيين قد أخذوا الخلافة من مستحقيها الشرعيين.[11]

نقدر هنا مدى انتشار سلطان العلوية، ولا يفوتنا أن الكوفة كانت مهد العلوية منذ أن بدأت في أفق السياسة مسألة أحقية علي كرم الله وجهه في الخلافة.[12] فلا غرابة إذن أن يكون للعلوية كل هذه الدعائم، أن يكون لها كتاباً بالكوفة ينشر مبادئها ويلقن أسسها برغم وجود الخليفة العباسي المغلوب على أمره في بغداد.

كان والد المتنبي خامل الشأن مِمَّاحدا ببعض الدارسين أن يجعلوه لغزاً وبعضهم ينكر وجوده أو يحط من شأنه[13]. بالرغم من وجود هذه الأحكام الجائرة فإنَّ المتنبي نشأ نشأة من يهدف إلى الغاية الأدبية مقتحماً الفرص في صغره. ثم يلاحق

---

[6] ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام ، دار المعارف بمصر، ط٣ ، د ن، ص ٢٩.

[7] المرجع نفسه ، ص ٣٠

[8] خزانة الأدب، البغدادي ، ج/٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٣٧.

[9] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، عبد الرحمن شعيب ، ص ١١.

[10] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، مطبعة بولاق ، ١٢٢٠هـ، ج/٨ ، ص ٥.

[11] الكامل، ابن الأثير، ج٨/ ، ص ١٧٧.

[12] المتنبي بين ناقدية في القديم والحديث، محمد عبد الرحمن شعيب ، ص ١٩.

[13] ابو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٧٣م، ص ١٩.

هذه المكاسب العلمية في البداوة والحضر، فيصاحب البدو حيناً ويلازم أهل العلم والأدب في الحضر حيناً آخر. ويكثر من الاختلاف إلى الوراقين. إنَ ّ أبا الحسن بن محمد العلوي يقول عنه: إنَّه صحب الأعراب في البادية ثم عاد إلى الكوفة بعد سنين بدوياً قحاً[١٤]. ولعل هذا النص يفسر لنا جانباً من خشونة المتنبي التي لازمته طوال حياته.

يزيدنا الثعالبي معرفة بالمتنبي وأبيه – وهو أكثر مؤرخي الأدب معاصرة له– فيقول: (إنَّ أباه سافر به إلى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ومن مدرها إلى وبرها، ويسلمه في المكاتب، ويردده في القبائل، حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الطيب، وشعر وبرع، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله)[١٥]. والثعالبي معروف له من علو الشأن في التاريخ لأدبنا في القرن الرابع بخاصة بحيث يحترمه كل باحث ويثق به كل دارس، فإنَّ ما ذكره يوضح قضيتين مهمتين في شأن المتنبي:

الأولى: إنّ الذي تولى رعايته والإشراف على تنشئته الأدبية هو أبوه، ولا ينال من قدر هذا الأب أنَّه كان سقاءَ أو فقيراً. فإنَّ أكثر النبهاء من العلماء والأدباء كانوا أبناء لآباء فقراء، ولا يتسع المجال هنا لذكر بعض أسمائهم. والذي يهمنا أنْ ننفي ما قيل عن والد المتنبي، وأنَّه لم يعد لغزاً من الألغاز.

الثانية: والتي يخدم صدقها خبر المتنبي فهي أنَّ المتنبي كان شامي الثقافة في نشأته الأولى ثم في مستهل حياته، ثم في شبابه إلى أن اتصل بسيف الدولة في حلب. لا نريد الإطالة في مثل هذه الوقائع ولكن ما ذكره الأستاذ طه حسين في كتابه يشير إلى أنَّ شعر المتنبي قد نشأ في العراق وحاول أن ينضج في الشام فأدركه البطء.[١٦]

---

[١٤] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي، تحقيق: محمد شتا وآخرون، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٣م ص ٢٠.

[١٥] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي ، ج/١ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م ، ص ١١٢.

[١٦] مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف، ط١٠، القاهرة ، د –ت ، ص ١١٣.

لا نعتد برأي الدكتور فيما ذهب إليه؛ لأنّ هناك شبه إجماع من الأدباء والنقاد على أنَّ بيئة الشام بيئة الشعر والشعراء؛ ففيها نبغ عدي بن الرقاع العاملي منذ وقت مبكر، ومنها خرج أبو تمام متجهاً إلى مصر ثم إلى بغداد، ومنها أيضاً خرج شاعر الديباجة المشرقة أبو عبادة البحتري وذهب إلى بغداد ناضجاً. بل إن هناك من نشأ في هذه البيئة ونضجت شاعريته، وذاعت شهرته، ورفض أن يغادرها إلى بغداد.

سجلنا هذا الرأي لنؤكد النشأة الفنية للمتنبي من جهة ولندافع عن بيئة الشام التي خرّجت شعراء عظام من جهة أخرى. ولا ننقص بهذا الرأي دور بيئة العراق التي خرجت وما زالت تخرج الشعراء المرموقين والأدباء المتمرسين.

يستمر الثعالبي في تعريفه – بالمتنبي– وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجري الذي أرّخ لأدبائه وشعرائه وجمع أخبارهم عن طريق المشاهدة والمقابلة والمعاصرة والسماع، مخصصاً الفصل الخامس من كتابه عن ذكرى أبي الطيب المتنبي، وما له وما عليه فيقول عنه[١٧]: هو – وإن كان كوفي المولد،– شامي المنشأ – وبها تخرج ومنها خرج نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه، المشهور به، إذ هو الذي جذب بضبعه[١٨]، ورفع من قدره... وألقى عليه شعاع سعادته، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده والأيام تحفظه كما قال المتنبي نفسه:

وَمَا الدَّهْرُ إلاّ مِنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسِيرُ مُشَمِّراً
وَغنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِي مُغَرِّدَا[١٩]

وكما قال أيضاً:

وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلُ

---

[١٧] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١١٠.

[١٨] ضبعه: كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره ،وفي اللغة الضبع: العضد

[١٩] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/٤ ، ١٩٣.

وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيثُ سَارَا[٢٠]

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال:

وَلَكنَّ إحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ

دَعَاني إِلَى ما قُلْتُ فِيهِ مِنْ الشِّعْرِ

فَسَارَ مَسِيرَ الشَمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ

وَهَبَ هُبُوبَ الرِّيحِ في الْبَرِ وَالْبَحْرِ[٢١]

يسترسل الثعالبي قائلاً: (فليس اليوم مجالس الدرس، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس... وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيّده ورديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه[٢٢]، وتفرقوا فرقاً في مدحه والنضح[٢٣] عنه، والتعصب له وعليه، وذلك أول دليل على وفور فضله، وتقدم قدمه وتفرده عن أهل زمانه، يملك رقاب القوافي، ورق المعاني...)[٢٤].

فأيّ نص فصل الحديث في التعريف بأبي الطيب وأطال في ذكر صفاته ورقيق معانيه كنص الثعالبي المتقدم، فهو أيضاً من أعدل الذين ذكروا محاسنه ومقابحه دون تعصب أو ظلم، وفصلوا الكلام عن نقد شعره.

---

[٢٠] لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا

[٢١] ديوان علي بن الجهم، نشر خليل مردم ، دمشق ، ١٩٤٩م، ص٧٣.

[٢٢] عون: تَعُون عُؤُوناً إذا صارت عَواناً والعَوان النَّصَفُ التي بين الفارِضِ وهي المُسِنَّة وبين البكر وهي الصغيرة ويقال فرس عَوانٌ وخيل عُون. لسان العرب ، ابن منظور ، ط١، بيروت : دار صادر ، د-ت.(عون) . ج/١٣ ، ص ٢٩٨

[٢٣] النضح: عنه : أراد الدفاع عنه.

[٢٤] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١، ص ١١١.

بي وَبِنَفْسي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي

وَبِهِمْ فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّـا

دَ، وَعَوْدُ الجَانـي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ[٢٥]

ويقول في حمُاه:

وَلَسْتُ بِقانعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ

بِأنْ أُعْزَى إلى جَدٍّ هُمـامِ[٢٦]

إنَّ ما ذكرناه من اسم ونسب وتاريخ مولد بالنسبة للشاعر كان بإجماع أغلب الكتب التي عنيت بترجمته وما أكثرها، يؤكد أنَّ الشاعر يشارك النقاد في طعنهم بنسبه فيغفل عن ذكره في بعض شعره حتى في أبيات الفخر، وكثيراً ما كان يعتز بنفسه ويزيد في نسبه شكاً وغموضاً حين يرجعه إلى السيف والرمح فيقول:

اختلفت الآراء حول نسبه ولا حاجة إلى التفصيل هنا؛ لأنَّنا لا نشك بأصالته العربية وإن طعن الحساد بأبيه وجده، ولا ينقص من جودة شعره ولا علو منزلته مهنة والده ولا يعيبه الفقر وقلة المال، ولسنا نجد في شعر المتنبي ذكر نسبه[٢٧]، وقد قال في قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي:

أَمُنْسِيَّ الكناس وَحَضْرَمَوْت

وَوَالِدَتي وكِنْـدَةَ وَالسَبِيعَا[٢٨]

قال الواحدي هذه أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنون بهذه الحال وقد روى البيت أمتي، الكناس... الخ، وقال العكبري في شرحه: الكناس محل بالكوفة وكذا حضرموت وكندة محلة عرب الكوفة، والسبيع سوق بالكوفة ومحلة كبيرة، وكل هذه الأماكن سميت بأسماء من سكنها.

---

[٢٥] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/٤ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩.

[٢٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٤ ، ص ١٤٥.

[٢٧] ذكرى أبي الطيب المتنبي، عبد الوهاب عزام ، ص ٣٠.

[٢٨] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٤، ص٤٢٣.

فليس في ذكر هذه الأسماء إبانة عن نسب الشاعر، وقد حرص المتنبي على ألا يذكر نسبه في شعره، فما ذكر أباه ولا جده ولا أحداً من آبائه ولا صرح باسم قبيلة ولا عشيرة.

وعن نسبه يتفق ثقات المؤلفين على أنَّ أبا الطيب هو أحمد بن الحسين ثم يختلفون فيما بعد، فيقول بعضهم الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ويقول آخرون ابن مرة بن عبد الجبار[٢٩]. ويظهر كذلك من أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وياقوت في معجم البلدان وابن خلكان أنَّ أبا الطيب كان سقاء. فقد هجاه ابن لنكك المصري حينما سمع بقدومه بغداد راجعاً من مصر فقال أبياتاً منها:

لَكنَّ بَغْدَادَ جَادَ الْغَيْثُ سَاكنَها

نَعَالُهَا فِي قَفَا السَّقاءِ تَزْدَحِمُ[٣٠]

وقال شاعر آخر:

أيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْـ

لَ مِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَا

عَاشَ حِيْنَاً يَبِيْعُ فِي الكُوْفَةِ المَّاءَ

وَحِيْناً يَبِيْعُ مَّاءَ المُحَيا[٣١]

إن صح ما قاله الثعالبي وإن لم يصح فكل الإشارات تدل على أنَّ والد المتنبي لم يكن رجلاً نابه الشأن، ويزيدنا تأكيداً أنَّه لم يذكره في رِثاء بعد موته كما رثى أبو العلاء المعري أباه وأمَّه رثاءً بليغاً.

فما ذكره يدل على أنَّه يسمي جدَّته أمَّا. وجدّة المتنبي تفردت من بين أسرته برثاء أبان فيه الشاعر عن إجلالها وحبها، ووصفها أحسن الصفات. أخبرنا الرواة أنَّها ماتت فرحاً بكتاب جاءها منه بعد طول غيبة أيأستها. يقول الشاعر في أوَّل هذه القصيدة التي مزج فيها الحزن بالثورة على الزمان وأهله:

أَلا لا أُرِي الأَحْدَاثَ جَهْدَاً ولا ذَماً

---

[٢٩] ذكرى أبي الطيب المتنبي، عبد الوهاب عزام ، ص ٣٤.

[٣٠] يتيمة الدهر، الثعالبي، ج/١، ص ١١٣.

[٣١] انظر ذكرى أبي الطيب المتنبي، عبد الوهاب عزام ، ص ٣٤ .

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَـةٍ بِحِبِيبِهـا
فَما بَطْشُها جَهْلاً ولا كَفُّها حِلما

أَحِنُّ إِلى الكَأْسِ التي شَرِبَتْ بِها
قَتيلَةِ شَوْقٍ غَيرَ مُلْحِقها وصما

بَكَيْتُ عَلَيها خِيفَـةً فِي حَياتِـها
وَأَهْوَى لِمَثْوَاها التُّرَابَ وَما ضَمَّا

عَرَفْتُ اللَّيالي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بنـا
وَذَاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدْما

أَتَاها كِتابي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَـةٍ
فَلَمَّا دَهَتْنـي لَمْ تَزِدْني بِها عِلْما

حَرَامٌ عَلى قَلْبي السُّرُورُ فإنني
فَماتَتْ سُرُوراً بِي فَمُتُّ بِها هَمَا

وَما أنْسَدَّتِ الدُّنْيـا عَلَيَّ لِضيقِها
أَعُدُّ الَّذي مَاتَتْ بِهِ، بَعْدَها سَمَّا

وَلَوْ لَمْ تَكُوني بِنْتَ أَكْرَمِ والِدٍ
وَلكنَّ طَرْفَاً لا أرَاكِ بِهِ أَعْمـىَ

لَكانَ أباكِ الضَّخْمَ كَوْنكِ لـي أُمَّا[٣٢]

فقد أخبرنا شاعرنا أنَّه ترك في الكوفة دياراً يحن إليها وبيتاً يحبه وقلباً يعطف عليه وأنّ لـه جدَّة تؤثره على نفسها فكم حزنت لفراقه وحزن لفراقها. وبهذا الرثاء المؤلم ننهي الحديث عن نسبه ونتابع تنقله من بيئة إلى أخرى بحثاً عن المال والمجد والسؤدد.

[٣٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ١٠٢ وما بعدها.

المبحث الثاني: سيرة المتنبي:

لا يبتعد الشاعر عن واقعه الاجتماعي، مهما يظهر تفرده؛ لأنَّه في علاقة متبادلة التأثير مع الواقع؛ فلهذا الواقع قانون يسير وفقه، ويحاول الإنسان – والشاعر بالطبع– أن يقيم علاقة متوازنة عن طريق الملاءمة بين واقعه النفسي – بمكوناته المختلفة– وواقعه الاجتماعي بكل موازناته ومتناقضاته[٣٣]. فقد وقف المتنبي في هذه العلاقة واكتسب خبرة جديدة أهلته للمضي قدماً مع حركة المجتمعات التي عاش فيها؛ لأنَّ الشاعر يتبع هذا الواقع كثير الحركة شاء أم أبى، فهو جزء من هذه الحركة، يتأثر بما يحدث ويحاول التأثير فيه، وهكذا كان شأن المتنبي لأنَّه يمتلك قدرة خاصة ومميزة، الأمر الذي جعله قادراً على صياغة واقعه وإعادة صياغة الواقع النفسي والاجتماعي والفكري والجمالي من خلال قصائده المعروفة.

تحاول الدارسة أن تكتب عن حياته في حدود ما اتفق عليه الأدباء والمؤرخون وجميعنا يعلم أنَّ النَّاس في القديم والحديث كتبوا عنها، وعن شعره الذي نال من عناية الأدباء وبحثهم وجدلهم ما لم ينله شعر قبله ولا بعده، وأنَّ كتباً ألفت في كل ناحية من نواحي الرجل والشاعر، حتى لقد يسبق إلى الوهم أنَّ كل قول فيه يكون معاداً، وأنَّ كلَ نظرة فيه تقع على نظرات سبقتها من قرون، ولكنَ المتنبي الضخم يعزَ على كل من رامه ويطول، فهو الجبل الأشم أينما قلبت فيه النظر رأيت عجباً، وكيفما ملت برأسك إلى ناحية من نواحيه رأيت جديداً، وهو البحر الخضم تقف عند ساحله فيبهرك ما ترى من عظم، ويفتنك ما تشاهد من ألوان، ثم أنت لا تزال ترسل النظرة في أثر النظرة، فلا تعود كلٌّ واحدة إلاّ بمعنى جديد، وفن في الحسن بديع.[٣٤]
ولذلك كان المتنبي يقول في ثقة ويقين:

أَنَـامُ مِلءَ جُفونـي عَنْ شَوَارِدِها
ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاها ويَخْتَصِمُ[٣٥]

---

[٣٣] الشاعر والتراث، مدحت الجبار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر– الاسكندرية ، د ت ، ص ٢٠٥ وما بعدها.
[٣٤] أبو الطيب المتنبي، حياته وشعره ، مكتبة النهضة بغداد ، د ت ، ص ٢٨.
[٣٥] ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العكبري، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون، ج/٣ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ت، ص ٣٦٧.

إنَّ ما وصفه به العقاد حقيقة ماثلة أكبرها بنفسه في معانيه الموزعة على هذا البيت الفريد، فقد كان في شعره ترجمة حقيقية، وفناناً بارعاً لتصوير حياته، وهكذا كان المتنبي الشاعر حيث فعل وحيث قال، وعلى الدارس أن يحبب فيه ما يشاء ويبغض؛ ولكن بعد أن يترك ميزان الشعر ويأخذ بميزان الشريعة والعدالة أو بميزان يوم القيامة كما قال العقاد.

فكيفما كتب الكاتبون في المتنبي لا تزال فيه مجالات للقول. فهو الشاعر الذي يخاطب كلَّ نفس بأسرارها، وكثيراً ما حدثنا عن خلجات كنا نحس بها ونسمع في النفس دبيبها، ونقف عاجزين عن وصفها والتعبير عنها.

تتسابق الأقلام لتكشف الستار عن حياته، ولعلَّ ذلك سره العظمة والطموح والمجد وغيرها من الصفات التي عشقها المتنبي، وبحث عنها طوال حياته، لأنَّه عاش عمره وهو يحمل في صدره عزم الشباب، نفس طموحة وروح مغامرة وقلب قلق وثاب – كما ذكرنا– وإيمان تزينه ثقة، وما إلى ذلك من الألوان التي تتلاقى ظلالها في حياة العصاميين الذين يرتفعون بنفوسهم من الضعة إلى قمة المجد وذروة العلا...هذا هو المتنبي وهذه أظهر خصائص نفسيته، فقد نشأ نشأة الفقراء، وعاش حياة ممزوجة بألوان التعب، ولكن شعره لم يَحل دون تفتح مواهبه، وما كان الشقاء يحيل ذكاءه بلهاً وتوقد ذهنه خبلاً.[٣٦]

لهذه الأسباب لم يقعد المتنبي في أرض الكوفة مغمور الاسم لا يدوي صداه في الآفاق، فقد تطلع وهو في مقتبل عمره إلى الأمجاد، ولم تصدمه الأحداث التي جابهته – وما أكثرها– بل احتملها قوي الإرادة هادئ الضمير. وظل في طريقه يقتحم المصاعب ويواجه الأهوال، يجالد ويقارع ويحتمل ويسير من بلد إلى بلد حتى همد جسمه، بعد أن ترك لنا في دنيا الأدب العربي تراثاً خالداً مليئاً بالصبر وقوة التحمل ومصارعة الشدائد مع الميل إلى السلام والانتصارات.

دخل المتنبي غمار الحياة، متزوداً بهذه النزعات الصلبة القوية التي امتزجت بدمه وأعصابه، دخل الحياة وكأنَّما كلَّ شيء يعلن له (إنَّ الحياة لمن غلب).

---

[٣٦] أبو الطيب المتنبي، حياته وشعره، ص ٧٧.

وعصره يعج بالاضطرابات والدسائس، والإمارات تتقاذفها الأيدي من كلِّ جانب والنفوس مليئة بالأهواء والشهوات، وشهوة المجد في نفس شاعرنا لم تكن أقل منها في نفس غيره من الطامحين وهو القائل:

وَفُؤَادي مِنْ المُلوكِ وإنْ كا

نَ لساني يُرى مِنْ الشُّعَرَاءِ[٣٧]

فلم ينكمش في عقر داره ولم يشغل نفسه بالتوافه كعامة الناس، ولم يعرف الضعف والوهن، بل زج نفسه في هذه الأوضاع الملتهبة وأخذ يجوب البلاد ويتصل بالأمراء... وكان الشعر وسيلته إلى المدح، فإذا مدح أشاد بنفسه وقوته وأدبه، وأشار إلى مطامحه، وصرح أنَه ليس كغيره من شعراء المديح الذين يكتفون بالتافه اليسير من أغراض الدنيا فهو القائل:

وَفِي النَّاس مَنْ يَرْضَى بِميْسُورِ عَيْشهِ

وَمَرْكُوبهُ رِجْلاَهُ والثَّوْبُ جِلْدُهُ

وَلكِنَّ قَلْباً بَينَ جَنْبيَّ مَالَـهُ

مَدىً يَنْتَهِي بي في مُرَادِ أَحُدُّهُ[٣٨]

فرق كبير بين الشاعر الذي يرتمي بين أعتاب ممدوحه ضعيف النفس ذليلها، وبين الذي يرسل شعره قوي النفس عزيزها، ويعلن عن شخصية لها رغبات لا حد لها ولا أمد، هذا هو المتنبي في مجموعه. فلعل الشباب يستفيد من دراسة حياة المتنبي وهو اليوم يملأ الدنيا ويشغل الناس على حد تعبير ابن رشيق القيرواني المعروف في المتنبي، فالشباب يملأ الدنيا برغباته وميوله ونزعاته حول نفسه ووطنه، فلا نريد من الشباب أن يتعلم الشكوك مثلاً، ولكن نريده أن يتعلم منه شيئاً من نفسية العصاميين لأنَّها ثابتة مهما تباينت العصور واختلفت، فلعل دراسة الأدب العربي القديم تكون بهذا العمق والاستقصاء للمعاني الدفينة والخصال النبيلة التي تكمن في قصيده ومنثوره، فنريد من الدارس مثلاً عندما يدرس قصائد في سيف الدولة أن لا يلتفت

---

٣٧ ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٤ ، د ت، ص ٢٤.

٣٨ المصدر نفسه ، ص ٢٥٨.

إلى البهرجة اللفظية والأساليب القوية والحكم الفريدة، بقدر ما يلتفت إلى المعاني السامية التي تركها أدب المتنبي ونحن في حاجة شديدة إليها، لا سيما في مثل هذا الزمان الذي اختلطت فيه المفاهيم والمعاني اختلاطاً كبيراً، فكم جسد لنا أدبه معاني سامية تظل بارزة الأثر مهما تصرمت السنون والأجيال، فهو أدب المعارك ولا أريد بها – الحربية– ولكن معاركة الحق والباطل ونبذ الرذائل والشيم المشينة.

نخرج من دراستنا لحياته وشعره – في مثل هذه الدراسة– بأنَّ أدبه لم يكن أدب الحكمة والمديح فحسب بل كان صورة حية للانتصار والسلام في أغلبه، ولا نسعد أيضاً أن نقف عند النظرة الضيقة التي لا ترى في أغراض الشعر العربي سوى المديح والغزل والنسيب والرثاء والفخر... فقد جمع شعره بين النزعة الإنسانية الشاملة وبين النزعة العربية والإسلامية الزاخرة.

قبل أن نخوض في تفصيل حياته ونشأته وعصره نود أن نشير إلى أنَّه واحد من أمراء الشعر المولد وهم: أبو نواس، أبو العتاهية، أبو تمام، البحتري، ابن الرومي، المتنبي، المعري، ابن الفارض. وهم بلا جدال من الطبقة الأولى بين المولدَين، وقد كان معولنا في اختيارهم شهرتهم، أنهَّم أعمق أثراً من سواهم في تاريخ الشعر العباسي، ولا نقصد بذلك أنَّه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع إلى درجتهم أو يفوقهم في بعض المناحي كأبي فراس مثلاً أو الشريف الرضي، بل إنَّهم يمثلون العصر العباسي أفضل تمثيل، وفي درسهم درساً لذلك العصر والروح الشعرية العامة فيه.

العصر المذكور يجب ألا يدرس فقط من وراء أبي نواس وأبي العتاهية؛ لأنَّ المتنبي خالفهما، فقد اهتم في مرحلة من مراحله بتشجيع الجيش العربي المجاهد، وتصوير معاركه الفائزة ضد البيزنطيين الذين يطمعون في احتلال أجزاء عزيزة من الوطن العربي.[٣٩] ولهذا فإنَّنا نجد المتنبي صورة حية للنضال العربي وشاعراً يقدر ضرورة الإعلام. وإذا تابعنا ديوانه وخاصة مدائحه في سيف الدولة الحمداني وجدنا له مواقف حاسمة وهو يصوره على فرسه، والأعداء يتراجعون وينهارون أمام الجنود

[٣٩] المتنبي ماليء الدنيا وشاغل الناس، محمد التونجي ، عالم الكتب، ط٨ ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢، ص ٩.

العرب، فأيَ صورة أجمل من صورة القوة والتماسك والوحدة والانتصار. فهذه قيم ومبادئ أقرها الإسلام يجب أن نلتفت إليها من خلال دراستنا لشعر الشعراء الذين رسموا هذه الصور الجميلة. من خلال حياته نتعرض إلى مصادر دراسته ووجوده في حلقة سيف الدولة، وهو شاعر في بلاط مصر متنقلاً بين العراق وبلاد فارس،. فهو كسائر الشعراء لـه محاسن وبعض النقاد عدَ لـه عيوباً وأحصاها، وجملتهم من الحاقدين المتحاملين عليه.

ومهما يكن من تقصير أو اختصار فإنَّني أصدق القارئ بأنَّني قد بذلت الجهد بحثاً عن سيرته وحياته، وكشفت عن جوانب مجهولة من سيرته وأدبه، فليلتمسوا لي العذر ويقدروا هذه الجراءة التي دعتني للكتابة عن هذا الشاعر، بعد أن كتب عنه العلماء والأدباء ومنهم القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، والثعالبي، وابن رشيق القيرواني في القديم، وعبد الوهاب عزام ومحمود محمد شاكر،وطه حسين، وعبد الله الطيب في الحديث، ولكل نظرته وتقديره وزمانه وأحداثه واختلاف أفكاره وقيمه.

لعلي بهذه الدراسة المتواضعة أكون قد أوفيت الشاعر حقه ورددت دينه الذي ما زال معلقاً على رقاب كثيرين من الذين يرددون أشعاره وحكمه دون أن يذكروا شمائله أو يعددوا محاسنه – فكم له في الرقاب منا ديون– فإن كانت الغالبية من الدارسين لها ما يشغلها من ظروف وإمكانات زمنية أو غيرها فلنوثر نحن أوقاتنا وأزماننا نيابة عنهم حتى يشهد التاريخ بأننا حاولنا ولم نستسلم للفرجة أو الاستماع، دون أن نقترب من هذا البحر العميق، ولعلَّنا قد تأثرنا بجراءة شاعرنا الذي لم يعود نفسه غير الاقتحام، ومن أجل ذلك مدح الأمراء والسلاطين، ومن هنا ننده بالشباب الذي يفتقد الشجاعة اليوم في مناحي الحياة كافة. فإذا وقفنا مع الشجاعة عبر قصائده وجدنا العجب العجاب، فتلك فائدة عظيمة تنتظر من يلتئمها ويعمل بها في زمن ساده الجبن والتردد والعمل في الظلام.

ولكي نفهم شعر المتنبي من الضرورة أن ندرس البيئات التي عاش فيها وتثقف منها علمياً وأدبياً وثقافياً واجتماعياً، وهذا الأمر الذي يعوزه الوضوح عند الكثيرين. والمعروف أنَّه عاش في بلاط سيف الدولة فقط، ولكنه تردد في بيئات مختلفة فهو الرجل شعراً وسلوكاً.

المبحث الثالث: عصر المتنبي:

قبل أن نتابع مسيرة حياته لابد أن نقف على طبيعة الحياة باختصار شديد في القرن الرابع الهجري حيث تناولت الدولة العباسية عوامل الانحلال، فكانت دار الخلافة في بغداد بين مولد المتنبي ووفاته، – أي أيام المقتدر والراضي، والمستكفي– تحت نفوذ بني بويه أصحاب السيادة في فارس، وكانت حلب والموصل وما إليهما في يد بني حمدان، ومصر وأكثر الشام والحجاز في يد بني طُغَج، وسائر الأقطار لغيرهم من الأمراء، ولم يبق للخلافة من رونق، وكثر الثائرون حتى عمت الفوضى السياسية، بين هذه الاضطرابات السياسية القومية نشأ شاعرنا. فما هي – إذن – صفات المولود – ولو كان غير المتنبي– الذي يعيش بين هذه الأحداث ؟

فهو من شعراء القرن الرابع الهجري، نشَّأته آدابه وعركته حوادثه، وكان لأحوال ذلكم القرن أثر بيِّن في شعره.[٤٠] هذا التأثير يتضح من الحالة السياسية التي شهدها القرن المذكور، ويتضح من خلال الآداب والعلوم التي نمت وازدهرت في ظلال الأمن والرخاء وفي رعاية الدولة الرشيدة التي ترفع شأن العلماء والأدباء وتحرضهم على الجد والاستقصاء، وتوفر لهم أسباب العيش والكرامة ما يمكنَّهم على العكوف على الدرس والتأليف، وأخيراً تقف الكوفة ذات مكانة عظيمة في الأدب، أسهمت بدورها في المكانة التي بلغها شاعرنا.

فعن السياسة فقد كان سلطان الأمويين قائماً في البلاد الإسلامية وفي عهد هارون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين (١٧٠– ١٩٣هـ) نشأت للعلويين دولة المغرب الأقصى هي الدولة الإدريسية (١٧٦–٣٧٥ه) فخشي الرشيد أمر هذه الدولة الناجمة فأقام إمارة بني الأغلب في إفريقية (١٨٤–٢٩٥هـ). ثم كان عهد الدولة الصفوية التي استقلت بالسلطان ومن ثم قامت الدولة الصفارية في فارس (٢٥٤– ٢٩٦هـ). وفي مصر والشام نشأت الدولة الطولونية (٢٥٣–٢٩٢هـ) وبعد ثلاثين سنة من انقضاء هذه الدولة استقل محمد بن طُغَج بمصر ولقبه الخليفة الراضي بالله العباسي بالإخشيد. وبعد قليل استولى على الشام والحجاز وكان الأمر بعد وفاة

[٤٠] ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام ، ص ١٤ وما بعدها.

الإخشيد سنة ٣٣٤هـ في يد مولاه كافور الذي انتحل الملك سنة ٣٥٥هـ وفيه يقول أبو الطيب المتنبي:

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ
إِلَى الْعِرَاقِ فأَرْضِ الرّومِ فالنّوبِ
إِذَا أَتَتْها الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
فَما تَهُبُّ بَها إِلا بِتَرْتِيبِ
وَلا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ
إلا وَمِنْـهُ لهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ
يُصَرِّفُ الأَمْرَ فِيهَا طِيْنُ خَاتَمِـهِ
وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ[٤١]

وبعد قليل من وفاة كافور استولى الفاطميون على مصر. وقد قامت دولتهم في مصر وما يليها واتسع ملكها حتى استولت على مصر سنة (٣٥٨هـ) ومدت سلطانها إلى الحجاز ومعظم الشام. وكان في شمال الشام وما يليه دولة بني حمدان.

ففي النصف الأوَّل من القرن نفسه، وهو عصر المتنبي لم يكن في أيدي العباسيين إلا العراق والجزيرة. ولم يكن الأمر في هذه البقاع بأيدي الخلفاء بل كان السلطان للمتغلبين من القواد والكبراء، وحدث ذلك عندما لقب أمير الأمراء بلقب الخليفة الأمير المتغلب على دار الخلافة حتى استولى بنو بويه على بغداد سنة (٣٣٤هـ) وقد بقي سلطانه بها إلى سنة (٤٤٤ هـ). قال ابن الأثير في حوادث سنة (٣٣٤هـ): (وتغلب على أصحاب الأطراف وزالت عنهم الطاعة. ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن رايق ليست للخليفة حكم).[٤٢]

---

[٤١] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/٤ ، ص ١١٨- ١١٩.
[٤٢] الكامل في التاريخ، ابن الأثير ، ص ١٢٣.

كان القرن الرابع الهجري قرن ثورات وفتن ونزاع ومحاربة. كثر فيه الثائرون من العلويين والمتخذين الدعوة العلوية وسيلة إلى المجد والسلطان، وكثرت غارات الأعراب والخوارج. وكثرت كذلك دعاوى المتنبئين وأصحاب المقالات الضالة.[٤٣]

وكانت الدعوة الشيعية التي اشتدت في القرن الثالث قد أدت في أواخره إلى قيام الدولة الشيعية الكبيرة دولة الفاطميين فقويت بها دعوة الشيعة في المشرق وعظمت آمالهم.

في ذلك العصر ظهرت أعظم الفرق إفساداً، -القرامطة- الذين لبثوا زهاء ثلاثين سنة ينشرون الفزع في جزيرة العرب والحجاز والشام. ولا تكاد تخلو سنة في ذلك العصر من غارة لهم على بلد أو قطع طريق على الحجاج وغيرهم وقد أغاروا على مكة سنة ٣١٧ ق. فحلوا إمارة أبي طاهر وقتلوا الحجاج وأخذوا الحجر الأسود.

توالت الوقائع حتى اضطر الخلفاء العباسيون أن يراسلوا أبا طاهر ليغروه على البلاد التي في سلطانه ويترك الحجر الأسود ولا يتعرض للحجاج. فأجاب إلى مسالمة الحجاج وأبى رد الحجر.

لقد لقيت الكوفة بلدة أبي الطيب منهم أهوالاً؛ أغاروا عليها سنة ٣١٢هـ ثم رجعوا سنة ٣١٥ هـ فهزموا جند الخلافة وأسروا قائده يوسف ابن أبي الساج، وأخذوا الأنبار وتوجهوا نحو بغداد ففزع أهلها ولكنهم لم يدخلوها. وكذلك توجهوا إلى الكوفة سنة ٣١٦ فوجه إليهم الجند فانصرفوا عنها ولكن جماعة ممن يرون رأيهم ظهروا في جهات من العراق ونزلوا بظاهر الكوفة وجبوا الخراج. ولم تسلم الكوفة من غاراتهم سنة ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٥ هـ.

ولمَّا رجع أبو الطيب إلى وطنه بعد خروجه من مصر شهد غارة بني كلاب على بلدته واشترك في حربهم. وتتصل بهذه الحادثات قصيدته في مدح القائد دلير الذي سار إلى بغداد في جماعة من القواد فورد الكوفة بعد رحيل بني كلاب. فأنفذ إلى أبي الطيب ساعة نزل، ثياباً نفيسة من ديباج ثمين فقال يمدحه، وأنشده إياه في الميدان وهما على

---

[٤٣] الكامل ، ابن الأثير ، ص ١٧٠.

فرسيهما. وكان تحت دلير جواد أصفر وعليه حلية ثقيلة فقاده إليه. وذلك كله في ذي الحجة سنة ٣٥٣ هـ فقال يمدحه :[٤٤]
ومطلع القصيدة:

كَدَعْوَاكِ كلٌ يَدَّعى صَّحةَ العَقْلِ
وَمَنْ ذا الَّذي يَدْري بما فِيه مِنْ جَهَلِ
لَهَنّك أَوْلَى لائمٍ بمَلامَـةٍ
وأحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلينَ إلى العَذْلِ
تَقُولِينَ ما فِي النَّاس مِثْلَكَ عاشِقٌ
جِدِي مثْلَ مَنْ أحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي[٤٥]

ويصف ممدوحه بالعفة والشجاعة، وهما صفتان يحبهما الشاعر.

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمسُ صَورَةَ وَجْهَهَ
وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لحَادَ إلى الظِّلِ
شُجاعٌ كأنَّ الحَرْبَ عاشِقةٌ لَـهُ
إِذَا زارَها فَدَّتـهُ بالخَيْلِ والرَّجْلِ
وَرَيَّانُ لا تَصْدَى إلى الخَمْرِ نَفْسُهُ
وَعطْشانُ لا تَرْوى يداهُ مِنْ البَذْلِ
فَتَمْلِيكُ دِلَّيْرٍ وتَعْظيمُ قدْره
شَهِيدٌ بوَحْدانِيَّة اللهِ والعَـدْلِ[٤٦]

وكذلك سجلت كتب التاريخ حوادث لبعض الخوارج في ذلك الوقت. كما كثرت دعوات المتنبئين في ذلك العصر ففي سنة ٣٢٢ هـ قبل الواقعة التي سجن فيها أبو الطيب بسنتين ظهر رجل ادعى النبوة فقصده فوج بعد فوج واتبعه خلق كثير، وحارب من خالفه فقتل خلق كثير ممن كذبه وكثر أتباعه[٤٧]. وكان لهذا

[٤٤] الكامل، ابن الأثير ، ص ٩٨
[٤٥] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٢٨٩ .
[٤٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٢٩٨.
[٤٧] ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام ، عبد الوهاب عزام ، ص ١٨.

الاضطراب في السياسة والآراء، ولهذه الثورات الكثيرة والدعوات المتوالية أثر بالغ في نفس أبي الطيب المتنبي الثائر الطموح.

المبحث الرابع: العلم والأدب واللغة في حياة المتنبي :

ترعرع المتنبي في الكوفة وتعلم القراءة والكتابة. وقد سبق أن ذكرت الدارسة أنَّه اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف العلويين، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً، فنشأ في خير حاضرة وتزود بخير زاد. وقد منح المتنبي حافظة قوية أثارت فضول الناس وإعجابهم. وكان يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم، وقد لفت النَّاس إليه بذكائه وحفظه، فقد ذكر الرواة عنه أنّهم لم يروا أحفظ منه وذكروا أنّه نشأ محباً للعلم والأدب وتَعلُم القراءة ولزم الأدباء والعلماء ومنهم الخطيب الذي روى عن التنوخي قائلاً:

(وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم فأخبرني وراق كان يجلس إليه، يوماً قال لي: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط . فقلت له كيف ؟ فقال كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه، قال فأخذ ينظر فيه طويلاً فقال له الرجل: يا هذا أريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه في هذه المدة فبعيد، فقال له: إن كنت حفظته فما لي عليك ؟ قال: أهب لك الكتاب. قال فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى أخره ثم استلبه فجعله في كمه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن. فقال: ما إلى ذلك سبيل فقد وهبته لي. قال: فمنعناه منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للغلام. فتركه عليه).[٤٨]

وقد روى الخطيب وغيره عن محمد بن يحيى العلوي أيضاً أنّه قال عن أبي الطيب: (وصحب الأعراب في البادية فجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً)[٤٩]. في ذلك دليل

---

[٤٨] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ، تحقيق: إبراهيم السامرائي ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ص ٢٢٧.

[٤٩] المصدر نفسه ، ص ٢٢٩.

على صلته بالقبائل البدوية، فقد عاش الرجل بدوياً في خُلقه وإعجابه بالبداوة وخبرته لقبائلها ومواطنها ومساكنها.[٥٠]

وأنس الفتى إلى العلماء والأدباء وحوانيت الوراقين وهي – كما نعلم– مصادر الثقافة العظمى في ذلك الحين؛ لأنَّ بائعي الكتب لم يكونوا (مجرد تجار ينشدون الربح وإنمَّا كانوا في أغلب الأحايين أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة عقلية من وراء هذه الحرفة التي كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع وتجذب لدكاكينهم العلماء والأدباء.)[٥١]

ذكرنا أنَّ أبا الطيب تعلم في كتاب الكوفة ولزم الورّاقين يقرأ في كتبهم. – كما قدمنا– وصحب الأعراب حيناً فسمع اللغة وأفاد ما كان يفيده علماؤها من الرحلة إلى البادية... وقال الخطيب في تاريخ بغداد: (وطلب الأدب وعلم العربية ونظر في أيام النَّاس وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق "فيها" أهل عصره وعلا شعراء وقته).[٥٢]

وقد تقدم قول الثعالبي موضحاً أنَّ أباه كان يسلمه إلى المكاتب ويردده في القبائل. وقد أجمعت الرواة على أنَّ المتنبي ولد بالكوفة لسنة ثلاث وثلاثمائة في كندة، وأنَّه من أوسطهم حسباً، وبها نشأ وتأدب ولما اشتد ساعده هاجر إلى العلماء، ولقي أصحاب المبرد أبي العباس محمد بن يزيد فقرأ على أكابرهم ومنهم: أبو إسحاق الزّجاج وأبو بكر بن السرّاج وأبو الحسن الأخفش. ولقي أصحاب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب فقرأ على: أبي موسى (الحامض) وأبي عمر الزاهد وأبي نصير.

ولقي أيضاً أصحاب أبي سعيد السُّكري فقرأ على نفطويه، وابن درستويه ثم لقي بقية النجباء عالم عصره أبا بكر محمد بن دُريد فقرأ عليه ولزمه ولقي بعده أكابر أصحابه وهم: أبو علي الفارسي، وأبو القاسم عمر بن سيف البغدادي، وأبو عمران موسى فبرع في الأدب.

---

[٥٠] انظر ذكرى أبي الطيب المتنبي، عبد الوهاب عزام، ص ٣٨ وما بعدها.

[٥١] تاريخ التربية في الإسلام، أحمد شلبي، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٠م ، ص ٩٠.

[52] تاريخ بغداد ومدينة السلام ، البغدادي (الخطيب) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ،ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م ، ص ٢١٠.

لا نجزم بأنَّه قد لقي هؤلاء جميعهم؛ لأنَّ الرواية عن شيوخه تحتمل الصدق في جملتها لا في تفصيلها، ولكن نستطيع أن نذكر بأنَّه قد لقي ابن دريد في آخر حياته، وأما الفارسي فقد لقيه في شيراز. إنَّ الكتب لم تضع أيدينا صراحة على شيوخ المتنبي، بقدر ما تؤكد لنا أنَّه تلقف علوم عصره التي وجدها، فكان يجمع المؤلفات ويقضي الليل ساهراً يقلب أوراقها ويعقب عليها بما يراه.

فقد حدثنا الصبح المنبي عن رجل من أهل الشام كان يتوكل للمتنبي في داره يعرف بأبي سعيد (أنَّ المتنبي عاد من دار سيف الدولة آخر النهار وبعد أن فرغ من تناول الطعام، قدم له شمعة ودفاتر وبات يدرس حتى مضى من الليل أكثره وكانت تلك عادته كل ليلة).[٥٣] وكان المتنبي حريصاً على قراءة ومراجعة دواوين الشعراء، فقد ذكر أبو القاسم عبد الله الأصفهاني صاحب (إيضاح المشكل) (أنَّه قيل للمتنبي معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي. فأجاب المتنبي للشعر جادة وربما وقع حافر على حافر. وكان المتنبي يحفظ – ديواني– الطائيين ويستصحبهما في أسفاره ويجحدهما. فلما قتل توزعت دفاتره فوقع ديوان البحتري إلى بعض من درس عليّ وذكر أنَّه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه).[٥٤]

يصور لنا أحد معاصريه مدى حرصه على كتبه بقوله: (وافاني المتنبي ومعه بغال كثيرة موفرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة، لأنَّه كان إذا سافر لم يُخَّلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه. وكان أكثر إشفاقه على دفاتره؛ لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءةً وتصحيحاً).[٥٥]

أغرت هذه الكتب القيمة لقيمتها وعلو قدرها ولده محسد الذي طالب بها بعد أن فلت من قتلة أبيه، ولكن المؤسف أنّهم لحقوا به وقتلوه قبل أن يأخذ كتب والده أو أمواله.[٥٦] ولا نعرف من أسماء هذه الكتب سوى ديواني الطائيين وديوان ابن

---

[٥٣] الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ٧٩ بتصرف.

[٥٤] خزانة الأدب، البغدادي ، ج/٢ ، ص ١٣٩. وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج/١، ص ٢٤٢ .

[٥٥] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ص ٢٣٥.

[٥٦] انظر خزانة الأدب ، البغدادي، ج/٢ ، ص ١٤٧ بتصرف.

الرومي.[٥٧] ولعلها كانت مجموعة من كتب اللغة والأدب والفلسفة وغيرها من العلوم والمعارف التي نلمس آثارها واضحة في مجالسه ومناقشاته بحضرة سيف الدولة وكافور والمهلبي وابن العميد وأبي علي الفارسي وغيرهم، كما نلمس صداها في ديوانه أيضاً.

إنَّ العلوم والآداب تنمو وتزدهر في ظلال الأمن والرخاء وفي رعاية الدول الرشيدة التي ترفع شأن العلماء والأدباء – كما ذكرنا سابقاً –. فعظمة الأمَّة السياسية واستقرار الأمور ورغد العيش فيها يؤكد اهتمام النَّاس بالعلوم، وكلفهم بها. ولكن نمو العلوم والآداب وازدهارها ثم ذبولها وجفافها ينقلب في أطوار مديدة بطيئة لا تساير الأمور السياسية. فإذا نمت العلوم في أمَّة قوية لا تؤتي ثمارها إلا بعد زمن مديد. وربما يوافق ازدهارها زمن الضعف السياسي في الدولة التي نمت في ظلالها. وكذلك أطوار ضعفها وزوالها تتم في عصور طويلة ولا ينبغي أن تقاس حال العلوم والآداب بالأحوال السياسية.[٥٨]

ففي القرن الرابع الهجري: اضطربت السياسة واشتعلت بينهم نيران الحرب، وكثرت الثورات والغارات، لكنَّه كان مع ذلك عصراً حافلاً بالعلوم والآداب. فما زال العلماء والأدباء منذ القرن الثاني الهجري يفكرون ويبحثون ويؤثرون الناس ثمار عقولهم، ويخلدونها في الكتب ميراثاً لمن بعدهم، حتى كان القرن الرابع فإذا ثروة عظيمة زاد العلماء عليها واجتهدوا في نقدها وترتيبها، ثم كثرة الدول أدت إلى تنافس الملوك في المجد وحسن السمعة وبعد الصيت فحرص كل ملك على أن يجذب إليه العلماء والأدباء، ويؤثر حوله الشعراء ليذيع صيته ويخلد اسمه بما يؤلف من الكتب له، وما ينظم من الشعر في مدحه ويكفي بهذا نظرة إلى العلماء والأدباء الذي التفوا حول أمراء المسلمين في المشرق والمغرب. فيا عجباً كيف ازدحم العلماء والأدباء والشعراء حول سيف الدولة على ضيق ملكه، وقلة ثروته. وعن الشعر فقد كان القرن الرابع يموج بالشعراء ولكنهَّم كانوا أقل ابتكاراً وأصالة من شعراء القرن الثالث، وإذا استثنينا أبا الطيب لم نجد فيهم من يقاس بأبي نواس وأبي تمام والبحتري.

---

[٥٧] انظر وفيات الأعيان ابن خلكان، ترجمة ابن الرومي ، ج/١ ، ص ٢٤٢.

[٥٨] ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام ، ص ١٨.

أما الكتابة فكانت في هذا القرن أوسع موضوعاً، وأصفى أسلوباً، وأبعد فكراً، وأوضح منطقاً. وتناولت أغراض الشعر المألوفة من المدح والهجاء والغزل والوصف والمواعظ وغيرها. فاتسع المجال في النثر لذوي الأفكار الثاقبة والقلوب الفياضة، تخلصوا فيه من الأوزان والقوافي، ولكنهَّم حملوه بالتعتيم والسجع فنبغ في هذا القرن أئمة الكتاب في المشرق والمغرب، ولا يتسع المجال هنا لتفصيل الكلام عن شعراء القرن الرابع وكتابه، فنذكر من شعراء المشرق، الشريف الرضي وتلميذه مهياراً، وأبا فراس الحمداني، وابن نباته السعدي، وأبا العلاء المعري، وأبا الحسن التهامي، وغير هؤلاء كثيرون ذكرهم الثعالبي في اليتيمة. ومن شعراء المغرب ابن عبد ربه، وابن هاني، وابن عمار، وابن خفاجة وابن زيدون. ومن الكتاب في هذا العصر، ابن عباد؛ والهمذاني، والخوارزمي، وأبو حيان التوحيدي، وابن زيدون، وابن عبد ربه.

من الأدباء المؤلفين الآمدي صاحب الموازنة، وأبو على القالي صاحب الأمالي، وأبو الفرج صاحب الأغاني، والجرجاني صاحب الوساطة، والثعالبي صاحب اليتيمة. ومن أئمة اللغة والنحو الذين توفوا في النصف الأوَّل من القرن الرابع الزَّجاج والأخفش الصغير، ومحمد بن عرفة نفطويه، وابن مجاهد، وابن دريد، وابن السراج، والمطرز ابن عمر الزاهد، وابن درستويه، والجوهري. وممن توفوا في النصف الثاني من هذا القرن، الأزهري، وابن فارس، وابن خالويه، وأبو على الفارسي، وأبو الفتح عثمان بن جني، وأبو الحسن الرُّماني، وكلُّهم إمام في علمه، مبرز في موضوعه. ونستطيع القول إنَّ القرن الرابع كان من أزهى العصور الإسلامية في كل ما تناولت الحضارة الإسلامية من علم وأدب.

خلاصة القول أن المتنبي قد استفاد لغة وأدباً من هذه المعارف التي ذكرنا علماءها وأدباءها، فإذا سمح له الزمن بمعاصرة بعضهم فأغلب الظن أنَّه لن يسمح له بالتلمذة على أيدي كثير منهم. والذي يهمنا تلك الثقافة التي اكتسبها ولا نريد أن نفصلها أكثر من ذلك؛ لأننا أفردنا لها في هذه الدراسة فصلاً خاصاً بها.

المبحث الخامس: خـروج المتنبـي إلى بغـداد:

تعتبر الكوفة نقطة الانطلاق الأولى في حياة الشاعر وفيها تفتقت منابعه الفنية الأولى وما زال صبياً لم يفارق كتابها. فقد خرج منها إلى البادية فسمع عن أولئك العلماء والأدباء الذين خرجوا إلى البادية فأفادوا منها أيما فائدة[٥٩]. أحب شاعرنا أن يكون مثلهم وأن ينتفع بمحاوراتهم للأعراب في بواديهم ليسلم لسانه من اللكنة العجمى التي عمت قرى العراق، وحواضره في ذلك الزمان[٦٠]. لم يحدد لنا المؤرخون تاريخ خروجه إليها ولا تاريخ عودته منها إلا على وجه التقريب. ونحن نعلم أنَّ كثيراً من أهل الكوفة قد هاجروا منها سنة ٣١٢هـ[٦١]. ولكن ذلك لم يكن رغبة في علم أو طمعاً في فن، بل هربوا من وجه القرامطة الذين دخلوا الكوفة في هذا العام فنشروا فيها الرعب والخوف وقتلوا الناس وسرقوا الأموال والمتاع.[٦٢]

نستطيع أن نذكر أنَّ خروج المتنبي مع هؤلاء لم يكن من باب الخوف أو الرغبة في النجاة فقط، ولكنَّه تبدى وانتفع بمجاورة الأعراب، ومن الجائز أن يكون قد بقي في الكوفة ولم يبارحها مع من بارحوها.[٦٣] إذا تتبعنا إقامته في الكوفة لم يطل بها المقام كثيراً رغم شوقه ووجدانه ومشاعره الذاتية ولكن كان به شوق من نوع آخر أيضاً شوق إلى المجد والكوفة أصغر من أن تمنحه ذلك.[٦٤] فليتجه إذن وفي عجلة إلى بغداد مدينة السلام.[٦٥]

خرج المتنبي من الكوفة إلى بغداد، وقد روى البديعي في الصبح المنبي أنَّ أبا الطيب حدّث بهذا الحديث: (وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد فأخذت خمسة دراهم بجانب منديلي وخرجت... الخ)[٦٦]. لا يهمنا تاريخ خروجه إلى بغداد

---

[٥٩] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ج/١، د- ت، ص ١٦٩ . الأغاني، الأصفهاني ج/٣، ص٢٦.

[٦٠] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، عبد الرحمن شعيب، ص١٦.

٦١ الكامل في التاريخ، ابن الاثير ، ج/٨ ، ص ٥٨.

[٦٢] المصدر نفسه الجزء والصفحة.

[٦٣] الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، ج/٨ ، ص٥٨

[٦٤] أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ، مصطفى الشكعة ، ص ٤٣٧ .

[٦٥] المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

[٦٦] انظر المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، عبد الرحمن شعيب ، ص ١٧.

بقدر ما يهمنا أنَّه غادر الكوفة إليها. فلقد كانت بدورها مؤثراً آخر في شاعريته لا سيما أنَّها مركز الخلافة على التوالي. ولقد جمع خلفاؤها ما بين السيف والمراوغة والمكر وبين الحيلة والخدعة.[٦٧]

هذه هي بغداد في الآونة التي نشأ فيها المتنبي. وذلك حال الخلافة والوزارة في الفترة التي عاشها في العراق. وهي حال محزنة أليمة لا تدل على ولاء ولا احترام. انصرف المتنبي في بغداد عن الاتصال بالخليفة وغيره من حكام بغداد ولعلَّ ذلك مرده؛ أنَّه كان ذا نزعة علوية فهو لا يدين للعباسيين وربما أبى على شاعريته أن تمدح قوماً انصرفوا عن جد الأمور إلى اللهو والعبث، فهم غير قادرين على توفير الأمن والاستقرار وقد يكون من أسباب ذلك أنَّه لم يجد في حكام العراق من يستاهل المدح والثناء، فقد وجد فيهم الشخصية المتخاذلة التي نفرَّته من الملوك، وظن الخير في البعد عنهم ورأى أن يلاقيهم في حومة الحرب وساحة القتال، وكثير من شعر صباه يحمل هذا الاتجاه.

تسيطر لغة الدماء والقتل والبطش على كثير من مدائحه وتنتشر في قصائده التي يتكسب بها، ونجد هذا الأمر واضحاً جليّاً في مدايحه لأبي الحسن بن طُغُج الذي فوجئ بذلك في إحدى القصائد التي قالها الشاعر فيه وهي قصيدة ميمية مطلعها:

أَنا لائمي إنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ

عَلِمْتُ بما بي بَينَ تِلْكَ المَعالِمِ

إلى أن يصل قوله:

وَمَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعْرِفَتِي بِها

وَبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ

فَلَيْس بِمَرْحومٍ إذَا ظَفِرُوا بِـهِ

وَلا في الرَّدَى الجارِي عليهم بِآثِمِ[٦٨]

[٦٧] انظر الكامل ، ابن الاثير ، ج/٨ ، ص ٥ .

٦٨ ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤ ، ص ١١٠ وما بعدها.

فتلك نزعة دموية تخرج من أعماق المتنبي ولعله استمدها من القرامطة الذين كانوا يعربدون على مساحة أرض المسلمين، فيقاسمهم الرأي لتعطشه للدماء التي يريدها أن تغشى الجزيرة العربية والعراقين العربي والعجمي[٦٩]. وكل الأقطار الشامية.

وفي بغداد يلقى الشاعر الكبير صنفين من المعاملة، معاملة حسنة كريمة من مريديه المعجبين به الذين كانوا يتحلقون حوله كلَّ يوم في منزله في محلة ربط حميد[٧٠]. يقرأون عليه شعره وفي مقدمتهم ابن جني، ومعاملة غضة خشنة من أولئك الذين تعالى عليهم وتشامخ ، أو من أولئك الذين التمسوا منه مدحة تُدلف بهم إلى موطن الفخار فترَّفع عن أن يمدحهم. ومنهم الوزير المهلبي الذي لم يستحوذ على إعجاب المتنبي بسبب تصرفاته التي من أقبحها شرب الخمر، والبعد عن الصواب، وما أن تأكد المهلبي من أنَّه لا سبيل إلى مدح المتنبي إياه سلط عليه شعراء متخصصين في بذيء الشعر، وفي مقدَّمتهم ابن الحجاج وابن سكرة الهاشمي والماجن الهجّاء المصري ابن لنكك الذي هجا المتنبي مجاملاً لأصدقائه البغداديين، فنال هؤلاء من عرض الشاعر الكبير وأوقعوا به الكثير من الأذى، وينتظر النّاس رد المتنبي عليهم فلا يفعل، فيسأل في ذلك فيجيب في عزة وترفع:

أرَى المُتَشاعِرِينَ غُرُوا بِذَميّ
وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ العُضَالاَ

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ
يَجِدُ مُرّاً بِهِ الماءَ الزُّلاَلاَ [٧١]

وقوله:

وإذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نّاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادةُ لي بأنيَ كامِلُ[٧٢]

---

[٦٩] انظر لهذه التسمية عند مصطفى الشكعة في كتابه : أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين،، ص ٤١٣ حتى ٤٤٩.

[٧٠] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ص ١٢٨.

[٧١] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٢٢٨.

[٧٢] المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٦٠.

لم يكن المتنبي نداً لهؤلاء حتى يرد عليهم بشعره أو يناقضهم بقصائده. فهذا موقف من مواقف بغداد لهذا الشاعر وناهيك عن مواقف أبي علي الحاتمي الشاعر الناقد اللغوي والأديب، الذي صبَّ في أسماع المتنبي مآخذ على بعض شعره وهو في داخل بيته، ولقد كان الحاتمي من أصحاب الوزير المهلبي، كما كان ذا صلة بسيف الدولة الحمداني. فقد أظهر الحاتمي مع شاعرنا سوء نيته أكثر من أن يسجل نقداً أو يصوِّب خطأ.[٧٣]

ظلم الحاتمي المتنبي ولم يكن منصفاً؛ حيث اتخذ من شعر الشاعر الكبير سلاحاً للتهجم عليه؛ فلكلِّ الشعراء هفوات في شعرهم خاصة الكبار منهم. كان طبيعياً أن يدافع أبو الطيب المتنبي عن شعره وذلك بذكر نماذج من الجيد النفيس الذي طارت شهرته في آفاق الدُّنيا ومن ثم يقبل على الحاتمي ويقول له:

أين أنت من قولي:

كأَنَّ الهَامَ في الْهَيْجَا عُيُونٌ
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ
وَقَدْ صُغْتَ الأسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ
فَما يَخْطُرْنَ إلاّ في فُؤَادِ [٧٤]

وهكذا يمضي المتنبي في استعراض نماذج بارعة من معانيه التي صاغها في قالب من الشعر الرفيع.

المبحث السادس : المتنبي في الشام :

كانت إقامة المتنبي في بغداد قصيرة وغير مريحة خالطتها المتاعب واختلط بها الفقر وسوء الحال، انطلق بعدها انطلاقة طويلة على مساحة أرض الشام. فتردد مرة ومرات على طبرية والرملة واللاذقية وأنطاكيا وطرطوس يمدح النكرات والمعارف من النَّاس[٧٥]، ويلقي شعره على المشاهير من رجال هذه الجهات ومنهم: أبو محمد بن طُغُج، وبدر بن عمار، والحسين بن إسحاق التنوخي، وأبو العشائر الحمداني،

---

[٧٣] يتيمة الدهر ، الثعالبي، ص ١٣٦.

[٧٤] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢٢٨.

[٧٥] المتنبي في مصر والعراقين ، مصطفى الشكعة ، ص ٢١.

وفي نهاية المطاف يقدمه أبو العشائر إلى ابن عمه سيف الدولة الحمداني حيث يبلغ المتنبي ذروة الشهرة وقمة المجد الأدبي.

والظاهر أنَّ حالة المتنبي المالية لم تتحسن إلا بعد أن استقر به المقام في أرض الشام، لأنَّه حتى في أول عهده بالشام يشكو الفقر وسوء الحال، يبدو ذلك من قوله في قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العِجْلي:

لمّا أَقَمْتَ بأنطاكيا اخْتَلَفتْ[٧٦]

إليّ بالخَبَرِ الرُّكْبَانُ في حَلَبَا

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ

أَحُثُّ رَاحِلَتيَّ الفَقْرَ وَالأَدَبا

أَذَاقَني زَمَنِي بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا

لَوْ ذَاقَها لبَكى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا[٧٧]

إن حالة الفقر التي لازمته تناولتها أغلب الدراسات ولا شك في ذلك. فقد نشأ فقيراً معدماً كما تحكي الروايات وأجهد نفسه في طلب الرزق، محترفاً صنعة الأدب، مصراً على العيش منها، وكان كثيراً ما يكرر في شعره أنَّه يتوق إلى قوت يومه وهو القائل:

لُمِ اللَّيالي الَّتِي أخْنَتْ عَلَى جِدَتِي

بِرِقَّةِ الحالِ، وَاعذُرْني وَلا تَلُمِ[٧٨]

وكان دائماً يجدد العزم في طلب الرزق، وينتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن اللقمة، فملَّ التَّجوال وقال في صباه:

ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ في طَلَبِ الرِّزْ

قِ قِيَامِي، وَقلَّ عَنْهُ قُعُودِي

أَبَداً أَقْطَعُ الْبِلاَدَ وَنَجْمِي

---

[٧٦] اختلفت: جاء ت مرة بعد مرة ، الركبان: الجماعة الراكبة . ألوي : أعرج ، شرقت: غصصت. انظر الديوان شرح .

[٧٧] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ٨٦ ، ٨٧.

[٧٨] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٤ ، ص ٣٩.

فِي نُحُوسٍ، وَهِمَّتي فِي سُعُود

وَلَعَلِّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَ بْ

لُغُ بِالَّلطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ[٧٩]

وقد ظل يشكو ألم العدم طيلة بقائه في الكوفة، وتجوُّله في البادية وحتى وصوله إلى أنطاكيا بحثاً عما يسد به الرمق إلى أن وقف على باب المغيث بن علي العجلي الذي تقدم ذكره. استمر حاله هكذا حتى وصل مقر بدر بن عمار على شواطئ طبرية في أنطاكيا ومنازل التنوخيين في شمال بلاد الشام، وتحسن وضعه بصورة حسنة عندما سخا عليه سيف الدولة فقال:

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لَمِنْ قَلَّ مَالُهُ

وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا [٨٠]

وهكذا نسي الفقر بعد أن ذاق مره، وكنز المال بعد أن كان لا يملك شيئاً. فوصفه الكثيرون بالبخل، وسننفي ذلك من خلال فهمنا لنفسية المتنبي الذي كان يدخر المال لينفقه في سبيل مآربه الواسعة. ولعلَّ أقرب ما يوصف به أنَّه شاعر جوال، والمال وسيلة نافعة في ظل هذه الحياة. ولا يعني ذلك أنَّه يبحث عن العيش فهدفه الوحيد المجد والممدوح الذي يفهمه. نظر حول الممدوحين والآمراء، فلم يجد أميراً أفضل منه ولا شاعراً أشعر منه، ولا عاقلاً أعقل منه، ولكنَّهم لا يقدرونه ولا يساعدونه فيقول:

وَحِيدٌ مِنَ الخُلاَّنِ فِي كلِّ بَلْدَةٍ

إذَا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلَّ المُساعِدُ[٨١]

نستنتج من مختلف الروايات أن تردده كان أولاً إلى بادية الكوفة، ثم انتقل وهو في حوالي السابعة عشرة من عمره إلى بلاد الشام فغادر العراق متجهاً إلى

---

[٧٩] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢٠٧.

[٨٠] المصدر نفسه، ج/١ ص ١٩٤.

[٨١] المصدر نفسه، ج/١، ص ١٧٩.

اللاذقية سنة ٣٢٠هـ[٨٢]. ولم يكن مستقراً في هذه الفترة في مكان خاص بالمدن، وطوراً بين قبائل البادية، يمدح بعضاً من ذوي النفوذ، ولكنَّه لا يجد في مدحهم ما يروي ظمأ نفسه النزاعة إلى العلى.

فقد وجدت في حياة الشاعر – في هذه الفترة– ظاهرتان ذواتا أثر إيجابي في شخصية الشاعر أولاً، وفي فنه ثانياً. وهكذا يعبث به الدهر فيشب ناقماً ثائراً، ويتاح له أن يتصل في البادية بقبائل بني كلب، ويدرك نزعاتهم إلى التمرد، فيتمكن ببلاغته وحماسة الشباب فيه من تحريكهم تحريكاً يلفت نظر الحكام فيقبض عليه بأمر من والي حمص ويلقى في السجن وهو في نحو التاسعة عشرة من عمره .

دخل المتنبي السجن كما أشيع عنه من ادعاء النبوة وسند هذه الدعوى ما ورد بالصبح المنبي عن أبي عبد الله بن معاذ بن إسماعيل اللاذقي الذي قدم عليه صاحبنا فأكرم وفادته وأعجب بفصاحته المتنبي وقال له: (والله انك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير) فإذا بالمتنبي يستنكر هذا الأمر ويدعي النبوة.

اختلفت الآراء حول حقيقة هذه الدعوى التي دخل بها المتنبي السجن. فصاحب اليتيمة يقول: (وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ورفع إليه ما هَمَّ به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده).[٨٣]

أمَّا حقيقة هذه البيعة التي دعا إليها المتنبي والخروج الذي همَّ به، كل ذلك سكت عنه صاحب اليتيمة، ومن الجائز أن تكون لوناً من ألوان الانحراف السياسي أو المذهبي عمَّا عليه الأمارة التي حبسه واليها ثم أطلقه. ومن الجائز أن يكون المتنبي قد نشر هذه الدعوى بأمر من العلويين وحقهم في الخلافة وطغيان بني العباس عليهم. فاحنق بذلك عامل الإخشيد؛ لأنَّ الدولة الإخشيدية كانت إلى ذلك الحين على وفاق مع الخليفة العباسي.

---

[٨٢] الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ج/١، ص ٢٥.

[٨٣] يتيمة الدهر، الثعالبي، ج/١ ، ص ١٥ – ٣٢.

يؤكد هذا قول ابن جني (وكان قوماً قد وشوا به إلى السلطان في صباه وتكذبوا عليه وقالوا له قد انقاد له خلق كبير من العرب وقد عزم على أخذ بلدك حتى أوحشوه منه فاعتقله وضيق عليه).[٨٤]

ظاهر من هذا أنَّ الأمر كان وشاية أولاً. وأنه كان أمرا سياسيا وهو رغبة أبي الطيب في أخذ البلد والإمارة ثانياً. ينفي الرجل عن نفسه التهمة ولا يرضى عنها (قال له بعض الأكابر في مدينة السلام أخبرني من أثق به أنَّك قلت إنَّك نبي. فقال الذي قلته أنا أحمد النبي).[٨٥] وقد تحامل عليه ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة وقال له: (لولا أخي جاهل لما رضي أن يُدعى المتنبي. لأنَّ معنى المتنبي كاذب، ومن رضي أن يُدعى الكذب فهو جاهل. فقال لست أرضى أن أدعى ذلك. وإنَّما يدعوني به من يريد الغض مني ولست أقدر على المنع).[٨٦]

يتبرأ المتنبي منها في شعره مبيِّنا أنها بهتان من قول وزور فيقول:

فَما لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلامِ

وقَدْرُ الشَّهادةِ قَدْرُ الشُّهُودِ[٨٧]

ومن ذلك نرى أنَّه لم يصح عندنا قول اللاذقي السابق. ولم يتأكد لدينا ادعاء أبي الطيب النبوة. وكيف تقبل هذه الدعوة عن رجل يقول عنه الرواة: (إنَّه ما كذب ولا زنى ولا لاط.[٨٨] دخل شاعرنا السجن ولم نتحقق كم بقي فيه تماماً ولكنَّنا نستنتج أنَّه بقي فيه مدة غير يسيرة. وكان أوَّل دخوله السجن يظهر الاستخفاف بأهواله ومن أقواله في ذلك الحين أبيات كتبها إلى صديق له يدعى أبو دلف كان يتعهده وهو في السجن.[٨٩]

---

٨٤ ديوان المتنبي ، شرح ابن جني المسمى بالفسر، تحقيق : صفاء خلوصي ، الجزء الأوَّل، مطبعة الجمهورية بغداد ، ١٩٧٠ م، ص ٩٧.

٨٥ الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ج١ ، ص ٧٨.

٨٦ الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل وعلي البيجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٤، القاهرة ، ص ١٩٦٦.

٨٧ ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٢٢٠.

٨٨ الصبح المنبي، يوسف البديعي ،ج/١ ، ص ٧٨.

٨٩ ديوان المتنبي، شرح الواحدي ، طبع برلين، ١٨٩١م، ص ٨٠.

كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ

وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِف

لَوْ كانَ سُكْنايَ فِيكَ مَنْقَصةً

لَمْ يَكُن الدُّرُّ ساكِنَ الصّدَفِ[٩٠]

على أنّه لقي في السجن عذاباً شديداً فقد وضعوا القيود في رجليه وعنقه[٩١]. ولما طال اعتقاله فقد صبره فأرسل إلى الوالي قصيدة يستعطفه ويتعذر إليه بصغر سنه قال منها:

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انقِطَاعِ الرّجا

ءِ وَالمَوْتُ مِنّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ

دَعَوْتُكَ لمّا بَرَانِي الْبَلاَءُ

وَأَوْهَنَ رِجلَيَّ ثِقلُ الْحدِيدِ

وَقَدْ كانَ مَشْيُهُما في النَّعالِ

فَقَدْ صار مَشْيُهُما في القُيُودِ

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الحُدُودِ

وحَدِّي قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ[٩٢]

أي: إنَّما تجب الحدود على البالغ، وأنا صبي لم تجب عليَّ الصلاة بعد، ويجوز أن يكون قد صغَّر سنه وأمرّ نفسه على الوالي، لأنَّ من كان صبي لم يظن به اجتماع النَّاس إليه للشقاق والخلاف وفي القصيد يقول:

وَقِيلَ عَدَوْت عَلَى العالَمِ

ينَ بَيْنَ وِلادِي وبَيْنَ القُعُودِ[٩٣]

هذه الأبيات نفثات رجل فقد صبره وخاف نهاية الأمر ثم راح يستثير عواطف الوالي ورحمته فقال:

---

[٩٠] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/١ ، ٤٣٩.

[٩١] الصبح المنبي، يوسف البديعي، ج١ ، ص ٣٤ .

[٩٢] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠.

[٩٣] المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٢٠.

بِيَدِي أَيُّها الأَمْيرُ الأريبُ

لا لِشيءٍ إلاّ لأنّي غَريبُ

أَوْلأم لها إذَا ذكَرتني

دَمُ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ

إنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطأتُ

فإنّي عَلَى يَدَيْكَ أتوبُ [94]

ويحكى أنَّه تنبأ في صباه، وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه، وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال سمعت أبا الطيب يقول : (إنَّما لقبت بالمتنبي لقولي:

أَنَّا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي

وَسِمامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الحَسُودِ

أَنا في أمَّةٍ تَدَارَكَها الل

ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ في ثَمُودِ [95]

وفي هذه القصيدة يقول:

مَا مُقَامي بِأَرْضِ نِخْلَة إلاّ

كَمُقَامِ المَسِيح بَيْنَ الْيَهُودِ[96]

قال ابن خلكان: (ثم استتابه الوالي وأطلقه).[97] ولكن من أيِّ شيء استتابه ؟ هنا تضاربت آراء المؤرخين. فابن خلكان يجعل ادعاءه النبوة سبب سجنه وقد تبعه في ذلك كثيرون وهو قول يحتمل الشك والاختلاف فإنَّ من بين معاصريه ابن خلكان أو من تقدمهم من يزعم غير ذلك.[98] فلقد تقدم قول الثعالبي الذي ذكرناه وفي كلامه إشعار بالشك في الحكاية.

---

[94] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ،ج/١، ص ٤٣٨.

[95] ، المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٠٩.

[96] المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٠٦.

[97] وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج/١ ، ص ٦٤ .

[98] انظر اليتيمة ، ج/١ ، ص ١١١ .

وفي العمدة:[99] (زعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي أنَّ أبا الطيب سمي متنبياً لفطنته). ويتناول البديعي صاحب الصبح المنبي المتوفي سنة ١٠٧٣هـ أي بعد المتنبي بأكثر من سبعة قرون، هذه المسألة وينقل لنا بعض حكايات عن نبوته لا يسع المتأمل إلا أن يتردد في قبولها على علاتها؛ أولاً لتراخي المدة بينه وبين الشاعر، وثانياً لما فيها من الاضطراب، وثالثاً لأنّه ليس فيما ذكره معاصروه ما يثبتها. والذي يصح أن نستنتجه علمياً من الروايات المختلفة أن المتنبي وهو في أوَّل شبابه ظهر في البادية على رأس فئة من الأعراب ناقمة على أولي الأمر[100]، وأنَّه كان بفطنته وفصاحته يستهويهم إلى غاياته من حب الظهور والرئاسة. ولكن أمره لم يتم فألقي القبض عليه وأودع السجن، ثم خرج منه وما لبث أن لصق به اسم المتنبي.

وما زال في برد صباه إلى أن تضاعفت عقود عمره، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه في الخروج عن السلطان، والاستظهار بالشجعان، والاستيلاء على بعض الأطراف.[101] ويستكثر الشاعر من التصريح بذلك في مثل قوله:

لَقَدْ تصَبرْتُ حَتّى لاتَ مُصْطَبَرِ
فالآنَ أُقْحَمُ حَتَّى لاتَ مُقْتَحَمِ

لاتْرُكَنَّ وُجُوهَ الخَيْلِ سَاهِمَةً
وَالحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ على قَدمِ

وَالطَّعْنُ يُحرِقُها، وَالزَّجْرُ يُقْلِقُها
حَتَّى كأنَّ بِها ضَرْباً مِن اللَّممِ[102]

ومن قوله في حب الولاية والرياسة:

---

[99] العمدة في نقد الشعر، ابن رشيق القرواني، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط٥ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م، ج/١ ، ص ٤٥.

[100] ديوان المتنبي، راجع شرح الواحدي، وتعليقه على عمره واجتماع العصاة إليه، ص٨٣.

[101] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١١٣.

[102] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ٤٠ ، ٤١.

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً

وَالسَّمْهَرِيَّ أَخاً، وَالمَشْرَفِيَّ أبـاَ

بِكلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِماً

حَتَّى كأنَّه لَهُ فِي قَتْلِه أَرَبـَا

فَالمَوْتُ أَعْذَرُ لِي،وَالصَّبْرُ أَجْملُ بِي

والْبَرُّ أَوْسَعُ، وَالدُّنْيا لَمِنْ غَلَبـا[١٠٣]

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله، ويمشي في مناكب الأرض ويطـوي المناهـل والمراحـل، ولا زاد إلا مـن ضـرب الحـراب[١٠٤]، علـى صـفحة المحراب.[١٠٥] ولا مطية إلا الخف أو النعل كما قال:

لاَ نَاقَتـي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلاَ

بِالسَ ُوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهـَا[١٠٦]

كـان المتنبـي قبـل سيف الدولـة يمـدح القريـب والغريـب، ويصـطاد مـن بـين الكركي والعندليب[١٠٧]. وبخاصة بعد أن أطلق سراحه فأخذ يجول في أقطار البلاد الشامية مادحاً أعيانها. بقي على هذه الحال بضع سنوات.[١٠٨] حتى اتصل سنة ٣٢٨هـ بالأمير العربي بدر بن عمَّار، وكان يتولى الجيش في طبرية فلزمه ومدحه، وقد رأى فيـه ضـالته المنشـودة مـن كـرم ورجولـة ومجد قومـه ولكـن اتصـاله بـه لـم يطل[١٠٩]، فقد دخلت بينهما مكائد الحساد والمناوئين حتى ترك مدحه ورجع إلـى ما كان عليه من التنقل بين الأقطار. وله في هذه المدة من الشعر ما يكاد يبلغ نصف ديوانه وأهمّ ممدوحيه فيها:

---

[١٠٣] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٨٧

[١٠٤] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/ ، ص ١١٤.

[١٠٥] أراد بالمحراب هنا العنف ، يريد انه ينتهب الناس بعد ما يقتلهم.

[١٠٦] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ١٩٨.

[١٠٧] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١١٦.

[١٠٨] زار في أثنائها الكوفة وبقي فيها مدة بقرب جدته . لم يكن أكثر من سنتين .

[١٠٩] لم يكن أكثر من سنتين.

بدر بن عمار، آل إسحاق التنوخي، أبناء يحيى البحتري، عبد الله بن خلكان، شجاع الطائي، مساور الرومي، المغيث العجلي، علي بن محمد التميمي، الأميري بن طُغُج، وأبو العشائر الحمداني. وشعره في بعض هؤلاء من الطبقة الأولى كقصائده التالية:

لا افْتِخَارُ إلاَّ لَمَنْ يُضـاَمُ

مُدْرِكٍ أو مُحَارِبٍ لا يَنـامُ[110]

أفاضِلُ النَّاسِ أغْراضٌ لذا الزَّمنِ

يَخْلُو مِنَ الهَمَّ أَخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ[111]

وغير ذلك من القصائد العامرة التي يرددها الخاص والعام في كل مكان. على أنَّه لم ينل في هذه السنوات ما يستحق الذكر. وما زال هذا دأبه يتنقل من مكان إلى آخر حتى ألقته المقادير إلى إنطاكيا. وكان فيها أبو العشائر الحمداني والياً من قبل سيف الدولة، فمدحه المتنبي. ولحسن حظه قدم أنطاكيا في تلك الأثناء سيف الدولة فقدّم أبو العشائر المتنبي إليه وأثنى عليه، وكان ذلك بدء اتصاله بهذا الأمير الشهير وبدء سعادته من جاه ومال وفير.

ترى الدراسة أنَّ أهم الفترات التي عاشها المتنبي في الشام فترة وجوده بجوار سيف الدولة الذي اشتهر بجهاده في محاربة الروم حتى بلغت غزواته نحو أربعين.[112] وكانت ساحة جهاده منطقة الثغور أي المدن والحصون الواقعة على حدود الروم مِمَّا يرد ذكره كثيراً في شعر المتنبي[113]. لم يكن سيف الدولة موفقاً في كل غزواته الرومية، ولكنه أحرز في تاريخ العرب مجد المجاهد الكبير.

وقد تمكن سيف الدولة بسخائه وعطفه على الأدب ولكون إمارته موئل الروح العربية في ذلك العصر، أن يجمع حوله الكثيرين من كبار الأدباء والعلماء ممن كان يجزل لهم العطايا، فخلدوا اسمه في سماء الأدب. ومن هؤلاء ابن عمه أبو فراس

---

[110] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤، ص ٩٢.

[111] المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٠٩ .

[112] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/٢ ، ص ١٧.

[113] من هذه المدن والحصون: أنطاكيا ، زِبَطرة ، وخرشنة وغيرها .

ومعلمه ابن خالويه وأبو عبد الله الخليع وأبو الفرج الببغاء والوأواء الدمشقي وأبو الطيب اللغوي وأبو علي الفارسي، وابن نباتة، ثم أبو الطيب المتنبي، والصنوبري، والفارابي والأصفهاني صاحب الأغاني وأمثالهم.

ولَمَّا اتصل به شاعرنا نال الحظوة عنده والرعاية الخاصة؛ وذلك لأنَّ سيف الدولة شاعر مجيد وناقد ذو بصر بالشعر[١١٤] وهو أيضاً فارس مغوار ذو أطماع سياسية بعيدة خاض من أجلها المعارك العديدة مع جند الإخشيد بالشام ومع جند الروم بالشمال ورجع من معظمها سالما منتصراً. وفي بلاط هذا الأمير العربي الفارسي الشاعر الناقد اجتمع نفر من العلماء والشعراء والموسيقيين والفلاسفة مِمَّا لم يجتمع بباب أحد من الملوك[١١٥]. وهو أمر من طبيعته أن يهيئ لكل من يعيش في هذا البلاط حظاً وافراً من الثقافة والمعرفة وينمي الشاعرية في ذوي الطباع والاستعداد. ومِمَّا يخلق حولهم جواً من الخصومات العنيفة المستترة حيناً والمستعرة حيناً آخر تبعاً لمواقعهم من الأمير وقربهم من سمعه وقلبه.

وقد قرَّب سيف الدولة المتنبي وأجازه الجوائز ومالت نفسه إليه وأحبه واكتفى منه في العام بثلاث قصائد يجيزه عليها بثلاثة آلاف دينار، وأعفاه من الوقوف أثناء الإنشاد ومن تقبيل الأرض بين يديه.[١١٦] دخل المتنبي حلقة سيف الدولة وفيها –ما ذكرنا– من كبار الشعراء والأدباء، فشقَّ على نفر منهم أن ينال ما ناله من الأمير، وزاد غيرتهم منه وكرههم له ما في نفسه من صلابة وتعاظم. وإنَّك لتلمح في شعره ما كان يقاسيه منهم مِمَّا جعله يطعنهم بقوافيه كقوله:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ

فأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدا[١١٧]

وقوله:

---

[١١٤] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١٥ وما بعدها.

[١١٥] المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥.

[١١٦] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ،ج/١ ، ص ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٦.

[١١٧] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ١٩٢.

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ

ضَعِيفٌ يُقاوِيني قَصِيرٌ يُطَاوِلُ[118]

وقوله:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُوْلُ الشَّعْرَ زِعْنِفةٌ

تَجُوزُ عِنْدَكَ لا عُرْبٌ وَلا عُجمُ[119]

إلى غير ذلك من سمات التحقير التي قلما تخلو منها قصيدة من قصائده في سيف الدولة. ولم يكن حساده ليسكتوا عنه فأخذوا يكيدون له ويحاولون الإيقاع به ولا سيما أبو فراس الشاعر المشهور.

يرى الأستاذ محمود شاكر أنَّ المتنبي كان يحب خولة أخت سيف الدولة وأنَّ سيف الدولة وعده سراً بها فاتصل ذلك بعلم أبي فراس وكان سبباً في العداوة بين الرجلين.[120] فلا غرابة أن شبت حول هذا الشاعر نيران الحسد والبغض حتى كدرت عيشه وأحالت أيامه إلى ليالٍ قاتمة كلها عتب ولوم. ثم قطيعة وهجر فرحيل.

لقد ذكرت الكتب أنَّ أبا فراس ذكر لسيف الدولة أنَّ المتنبي كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، وبرأي أبي فراس الحمداني أنَّ هذه الأموال لو وزعت على عشرين شاعراً لأتوا بأفضل من شعر المتنبي[121] وفي خزانة الأدب: إنَّ ما ناله في أربع سنوات بلغ (١٣٥,٠٠٠) ألف دينار[122]. والواضح أنَّ سيف الدولة قد تأثر من هذا الكلام فعمل به.

كانت جميع المقومات في حلقة سيف الدولة تستدعي الإجادة والروعة؛ فلا عجب ولا بدع أن قوي شعر المتنبي في هذه الفترة فأنتج عيون قصائده وأفضل أشعاره حتى أجهد نفسه وذلك من أجل أن لا يقول شيئاً لا يرضى عنه الأمير أو تناله الخصوم فلقد صرح المتنبي بإجهاد نفسه في قوله: (قد تجوزت في قولي

---

[118] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ١١٧.

[119] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/٣ ، ص ٣٧٣.

[120] أبو الطيب المتنبي ، محمود أحمد شاكر ، مجلة المقتطف ، العدد الأول ، يناير ١٩٣٦م، ص ١٣٤.

[121] انظر الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ٦٥ .

[122] خزانة الأدب، البغدادي، ج/١ ، ص ٣٨٤ .

وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان).[١٢٣] عوامل كثيرة قد أرغمت المتنبي على أن يحصر فكره ويجهد نفسه ولكن هنالك عامل قوي ألهمه الطبع وقوي الاستعداد عنده وألهب عاطفته نحو سيف الدولة ولعله اشتراك المتنبي مع سيف الدولة، في التشيع إلى العلويين ومناصرة دعاتهم ومدهم بالمال دائماً.[١٢٤] ثم إنَّ المتنبي ترب سيف الدولة؛ فهما معاً من مواليد سنة ٣٠٣هـ كما يقول المؤرخون[١٢٥]، فلا عجب وقد تقارب العمر واتحد الميل أن هام المتنبي بسيف الدولة وأخلص له الود فكان شعره فيه صادقاً وأسفه حين فارقه صادقاً. ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ فسيف الدولة بعد أن خص الشاعر بالعطف، وبعد أن نظم الشاعر فيه (٤٨) قصيدة (وهي لا تقل عن ثلث ديوانه تولاه انحراف عنه وأصغى إلى أقوال خصومه فيه، فتجرأوا عليه حتى كان ما كان من ضرب ابن خالويه له بالمفتاح في حضرة سيف الدولة. ورأى المتنبي أنَّه لا يستطيع دفاعاً وانتقاماً في حضرة أمير نافر منه، وخصوم يتربصون به، فترك حلب بدعوى المسير إلى إقطاع له[١٢٦]، وفي نفسه ما فيها من الغيظ وقصد الشام فالرملة.

خلاصة القول عن فترته في الشام، نجده تأثر بالحضارة والسياسة والشعر في الشام[١٢٧]؛ لأنَّ الإنسان بطبعه يتأثر بما يحدث حوله من متغيرات، فهكذا تأثر شاعرنا بكلِّ ذلك في ظل الترحاب والمال وكل ما وجده في رحاب سيف الدولة الحمداني.

وأخيراً طلبه كافور إلى مصر فتلكأ أولاً على أنَّه لم يلبث أن رحل إليه ونفسه تسوِّل له أنَّه سيغيظ الحاسدين وقد صرح بذلك إذ قال:

أَبا المِسْكِ أَرْجو مِنْكَ نَصْراً على العِدا
وَآمُلُ عِزّاً أن يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ

وَيوْما يَغِيظُ الحَاسِدينَ وَحالَـةً
أُقيمُ الشَّقا فِيها مَقامَ اَلتَّنَعُّمِ[١٢٨]

---

[١٢٣] الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ٨٧.

[١٢٤] خزانة الأدب ، البغدادي ، ج/٢ ، ص ١٤٤.

[١٢٥] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١١٣ وفيات الأعيان ، ابن خلكان، ج١، ترجمة سيف الدولة.

[١٢٦] خزانة الأدب البغدادي ، ج/١ ، ص ٣٨٤ .

[١٢٧] انظر تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٢٤، الفجالة/ القاهرة ، د- ت ، ص ٢٥٠، ٢٥٤ ، ٢٨٩.

[١٢٨] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/ ٤ ، ص ١٣٨، ١٣٩.

ولكنه لم يبلغ ما كان يروم ولنتابع معه وجوده في ظل الإخشيدي الذي وعده بتحقيق ما لم يحققه في بلاط سيف الدولة الحمداني.

المبحث السابع: المتنبـي في مصـــر :

تدلل أبو الطيب المتنبي على الأمير الحمداني تدلُلاً لا يتماشى مع تقاليد الأمراء على مختلف الأزمنة وكان من الأمور الطبيعية أن يجنح سيف الدولة إلى الجانب الحاسد للمتنبي، ولو بين الحين والحين، غير أنَّ المتنبي لم يحتمل هذا السلوك من الأمير، فأنشده قصيدة عتابية اتسمت بالعنف والتقريع الشديد والخروج على المألوف في مخاطبة الأمراء والملوك، كما لم تخل بعض أبياتها من التهديد غير أنَّ القصيدة بغض النظر عن كل هذه السمات تعدُّ واحدة من أشهر قصائد المتنبي وألمعها والتي يقول فيها:

يا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاَّ فِي مُعامَلَتي

فِيْكَ الخِصَامُ وَأنتَ الخَصْمُ وَالحَكُمِ

أُعِيذُها نَظَّرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ

أن تَحْسَبَ الشَّحمُ فِيمَنْ شَحْمَهُ وَرَمُ

وَمَا انْتِفاعُ أخِي الدُّنْيا بِناظِرِهِ

إذَا اسْتَوَتْ عِنْدَه الأَنْوَارُ وَالظَّلَمُ[١٢٩]

وغيرها من الأبيات التي يستغرب القارئ من عتابها وخروجها عن معايير اللياقة في مجالس الأمراء. من هنا بدأت سمات الوداع تظهر بين الشاعر والأمير الذي قدم له ما لم يره شاعر برحاب أمير، وفي الوقت نفسه قدم المتنبي من عيون شعره لسيف الدولة الحمداني ما لم يره أمير من شاعر، فقد تغيرت رغم ذلك نفسية الأمير وبدأ يعرض عن شاعره، ويعرض عن سماع شعره، فأمعن الأمير في الانصراف عنه، ولوَّح الشاعر بعد هذا بالرَّحيل والفراق قائلاً:

أَبَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ ما أَنْتَ مالِكٌ

وَلا تُعطِيَنَّ النَّاسَ مَا أنا قائلُ[١٣٠]

---

[١٢٩] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

[١٣٠] المصدر نفسه ، ج/٤، ص ١١٧.

فقد حاول المتنبي الخداع ولكن دون جدوى فأغمض الأمير عينيه عن ذلك المدح الكاذب كما أغمض عينيه عن إهانة ابن خالويه للشاعر في مجلسه.[١٣١] ومن ثم تحايل المتنبي للخروج من حلب وسار ميمّماً وجهه شطر دمشق ومنها دخل مصر، وفي مصر نزل المتنبي على كافور الإخشيدي فأكرم وفادته وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم وأمر له بمنزل خاص وامتدحه المتنبي لأوّل مرة بقصيدة مطلعها:

كَفى بِكَ داءً أَنْ تَرى المَوْتَ شَافِيا

وحَسْبُ المَنْايا أَنْ يَكُنّ أمانِيا

تَمَنَّيْتَها لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى

صَدِيقاً فَأَعْيا أوْ عَدُوَا مُداجِيا[١٣٢]

وهو مطلع يكشف لك عن مدى تهالك الشاعر وأسفه على مفارقة صديقه، كما يكشف لك من جانب آخر عن رأي المتنبي في كافور الذي مدحه فابدع، ولقد أشرنا إلى ذلك في أبيات سابقة من شعره في هذا الفصل.[١٣٣]

قال ابن خلكان: (وكان يدُعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام).[١٣٤] قصد شاعرنا كافوراً تتنازعه عاطفتان: الأولى ما كان يشعر به من الغيظ لما أصابه في حلب، والثانية رغبته في أن يحصل بواسطة كافور على ولاية. أمَّا غيظه من سيف الدولة فلم يصل إلى حد الكره؛ إذ بقيت في نفسه بقية من الحب والوفاء له. وقد صرح بذلك في بعض قصائده لكافور كقوله:

فَلَوْ كانَ ما بِي مِنْ حَبِيبٍ مقنّعٍ

عَذَرْتُ وَلكنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ

رَمى وَاتَّقى رَمْيي وَمِنْ دون ما اتَّقى

هوىً كاسِرٌ كَفي وَقَوْسِي وَأَسْهُمي[١٣٥]

---

١٣١ الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ٦٥. يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١٠٧.

١٣٢ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢.

١٣٣ انظر صفحة ١١ من هذه الدراسة.

١٣٤ وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج٢ ، ص ١٨٨.

١٣٥ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ١٣٥.

في هذا اللون من الشعر جمع المتنبي بين مدح سيف الدولة الذي فارقه وبين مدح كافور الذي بجواره. ولذا وصف الثعالبي شعره: (بجمال الرمز والإشارة كجمعه بين مدح سيف الدولة حين فارقه ومدحه لكافور).[١٣٦] وأمَّا رغبته في الولاية والإمارة فكان يلمح إليها تلميحاً لم يخف على أحد كقوله:

وَغْيرُ كَثْيرٍ أَنْ يَزوُرَكَ رَاجِلٌ

فَيرْجِعَ مَلْكاً لِلعِرَاقَينِ وَاليا[١٣٧]

إلى غير ذلك من الأبيات التي تشعر بما كان يحدث نفسه به. وقد نقل البديعي أنَّه طلب أن يوليه صيدا من بلاد الشام أو غيرها من بلاد الصعيد.[١٣٨] وبين هاتين العاطفتين – الغيظ والطمع– مدح كافور بعشر قصائد هن من أفخر ما نظمه وعن هذا الشعر يقول طه حسين: (ولست أغلو إن قلت إنَّ شعر المتنبي في مصر أقل سقطاً من شعره في حلب. لأنَّ المتنبي فيما يظهر كان يقدر العلماء والمثقفين المصريين أكثر مِمَّا كان يقدر العلماء والمثقفين الذين كان يلقاهم في قصر الحمدانيين).[١٣٩]

ترى الدارسة أنَّ طه حسين قد ظلم المتنبي من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ طه حسين قد علل لرأيه بروح العاطفة الجارفة للمصريين، وهذا لا يصح في مثل هذا النقد الذي يجب أن يكون عادلاً وبعيداً عن هوى النفس. يناصر الدكتور عبد الرحمن شعيب المتنبي الذي درس شعره ووقف معه طويلاً قائلاً: (نحن لا نعزو ذلك لتقدير المتنبي لعلماء مصر وأدبائها أكبر من تقديره لعلماء وأدباء حلب، بل لأنّ نفس المتنبي قد مرنت على الشعر[١٤٠]). والمعروف أنّ قدرة الشاعر الفنية قد نضجت واستوت قبل قدومه مصر. ولأنَّ المتنبي منفعل انفعالاً شديدا لا يحب مصر ولا

[١٣٦] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١٥٨.

[١٣٧] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ص ٢٩٠.

[١٣٨] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ١١٥.

[١٣٩] مع المتنبي ، طه حسين ، ص ٧٩.

[١٤٠] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، عبد الرحمن شعيب ، ص ٢٥.

يحب كافور، وذلك بعد مفارقته للأمير الحمداني.بل يحب نفسه التي يرجو لها الخير في تلك البلاد وعلى يدي ذلك الحاكم.

ولكنّ آماله قد تبخرت بعد. وأيقن أنَّه لن ينال منها شيئاً. وشعر بعد فترة يسيرة أنَّه مراقب وأنَّ الطريق مرصودة عليه. فلم يعد يفكر إلا في الرحيل والهرب؛ وأنَّ اتصاله بهذا الأمير لن ينله مراده. نعم نال منه كثيراً من الجوائز والأموال، ولكن الأمر الذي كان يصبو إليه وتلك الأمنية التي شغلت عقله، لا سيما بعد أن وعده كافور بأنَّه يبلغه جميع ما في نفسه.[١٤١] من هنا اضطربت روح المتنبي حتى صار يستثقل وجوده في مصر ويتمنى الخروج منها. ولحظ ذلك منه كافور فخاف إن هو أطلقه أن يتقلب عليه بالطعن، فمنعه الرحيل. وظل على هذه الحال المزعجة في مصر فشعر بالوحشة. وله في ذلك قصيدة غراء يصف حاله ويصف حمى أصابته، مطلعها:

مَلُومُكما يَجِلُّ عَنِ المَـلامِ

وَوَقْـعُ فَعالِهِ فَوْقَ الكَـلامِ[١٤٢]

وهي من بدائعه. وكان في ذلك يعد العدة للهرب حتى تمكن منه يوم عرفة سنة ٣٥٠هـ، فقصد العراق قائلاً:

لِتَعْلَمَ مِصـْرُ وَمَنْ بِالْعِـرَاقِ

وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنّـِي الْفَتَـى

وَأنـي وَفَيْـتُ وأَنِّـي أَبَيـتُ

وَأَنِّـي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتـا

وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبـي لَـهُ

يَشُـقُّ إلى الْعِـزِّ قَلْبَ النَّوَى[١٤٣]

١٤١ الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ١١٣. وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج/١، ص ٦٤. العمدة، ص ١٠ وما بعدها .

[١٤٢] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤، ص ١٤٢.

[١٤٣] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢٨.

يصف في هذه القصيدة شجاعته وإقدامه كما رأينا أبياته التي تتضح بالكبر. ويختم هذه القصيدة بهجاء كافور وله في هجائه بضع قصائد أوحاها إليه حب التشفي والفشل.[١٤٤] وبذلك جر المتنبي على نفسه كثيراً من الصعاب بمصر؛ وذلك بترفعه على بطانة كافور، فإنَّ هذه السياسة لا تصلح هنا؛ لأنَّ صلة المتنبي بكافور لم تصل إلى مستوى يجعل كافور يؤثره على كل رفاقه. وإذا كانت المؤامرات والدسائس قد عملت عملها مع سيف الدولة صديق المتنبي وتربه، فهي هنا اشدَّ عملاً وأقوى أثراً.

جر المتنبي على نفسه كثيراً من الصعاب بشعره الموجه الذي كان يتندر فيه بلون كافور الأسود وبمساعدة الأقدار له. وبمدحه لفاتك خصم كافور ومنافسه وبما كان يضمر في شعره من حنين إلى سيف الدولة. – فلا غرابة إذن إن تغيرت حياته في مصر وخرج منها خائفاً مترقبا متجهاً إلى الكوفة، ولم يكد يفارق مصر حتى أشبع أهلها وأميرها ذماً وهجاءً يعد من أقسى شعر الهجاء وأشده وقعاً على النفوس.

[١٤٤] انظر ديوان المتنبي (في هجائه لكافور)

المبحث الثامن: مقتل أبي الطيب المتنبي:

سار المتنبي إلى الكوفة فبلغها سنة ٣٥١هـ وأقام فيها[١٤٥]، وبقي بالعراق نحو ثلاث سنوات والأرجح أنَّه قضى منها سنتين بالكوفة. وكانت بغداد يومئذ بيد معز الدولة البويهي، وكان وزيره المهلبي يأمل أن يقصده المتنبي ويمدحه أسوة بالكبراء الذين مدحهم، ولكن الشاعر ترفع عنه (ذهابا بنفسه) كما قال الثعالبي (عن مدح غير الملوك)[١٤٦]، أو لنفوره من سخافة المهلبي واستهتاره بالهزل[١٤٧]. فنقم الوزير ذلك منه وحرض عليه شعراء بغداد حتى نالوا منه وتباروا في هجائه، وتماجنوا وتنادروا فلم يجبهم ولم يفكر فيهم[١٤٨]. وجاء رده شعراً:

أَرَى المُتَشاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي
وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ العُضالا
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٍّ مَرِيضٍ
يَجِدْ مُرّا بِهِ الماءَ الزُّلالا[١٤٩]

ويقول:

وإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نّاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادةُ لي بأْنيَ كامِلُ[١٥٠]

قال ابن رشيق: (إنّ المتنبي حين بلُي بحماقات ابن حجاج البغدادي سكت عنه إطراحاً واحتقاراً، ولو أجابه لما كان هو بحيث هو من الأنفة والكبر؛ لأنَّه ليس من أنداده ولا من طبقته.[١٥١] وبرغم أنَّ الكوفة موطن الشاعر ومدرج صباه وملهى شبابه، فإنَّها بدورها ضاقت به وضاق بالحياة فيها فترك العراق كلها فيما بعد سنة ٣٥٤هـ ولم يطب مقامه في بغداد ففارقها ليلاً متوجهاً إلى أبي الفضل بن العميد

---

[١٤٥] الصبح المنبي، يوسف البديعي، ج/١ ، ص ١٤٤.
[١٤٦] يتيمة الدهر الثعالبي ، ج/١ ، ص ٨٥.
[١٤٧] خزانة الأدب، البغدادي ، ج/١ ، ص ٣٨٦.
[١٤٨] يتيمة الدهر، الثعالبي، ج/١ ، ص ٨١.
[١٤٩] سبق توثيقهما ، ص ٣٢.
[١٥٠] انظر صفحة ٣٢.
[١٥١] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج/١ ، ص ٧١ .

الذي مدحه بأربع قصائد. بعد ذلك نحن لا نتوقع من بني بويه أن يفسحوا لـه الصدر وهو حاقد على تسلطهم على العرب، داع إلى الخروج عليهم واسترجاع السلطة من أيديهم. من أجل ذلك ضيقوا عليه وأغروا به الشعراء والعلماء حتى شعر بمرارة المقام بينهم.

في غضون هذه الفترة من حياة الشاعر نسمع عن مناظرة دارت بينه وبين علي الحاتمي.[١٥٢] تلك المناظرة التي تنبئ عن هجوم سافر وتحامل ظاهر ورغبة أكيدة في التجريح والتشهير، مجاملة للوزير المهلبي ولسيده معز الدولة بن بويه، وبالمناظرة ما يؤكد ذلك ويؤيده ويظهر مدى دوران النقاد في فلك السياسة والسياسيين، حتى اختلت على أيديهم الموازين واضطربت المقاييس.

كتب الصاحب بن عباد إلى المتنبي طامعاً في مدحه، ولكن المتنبي لم يقم له وزناً ولم يجبه على مراده.[١٥٣] فكان ذلك سبب عداوة الصاحب له والطعن فيه. كان المتنبي بارعاً لاذعاً في هجائه الذي سبب له مفارقة الحياة، ولذلك تروي كتب الأدب أنَّ اغتيال المتنبي كان ذا أبعاد سياسية. والمتنبي كما نعلم مرّ النفس صعب الشكيمة جاد مجد يأبى الهزل وينفر من العبث[١٥٤]، فكأنّ بيئة العراق في مظهرها السياسي لم تكن من البيئات التي يطيب بها المتنبي ويحرص على العيش فيها. من أجل ذلك هاجر إلى شيراز برفقة صديقه وراويته علي بن حمزة البصري.[١٥٥] وكان ذلك في سنة ٣٥٤هـ وفي فارس اتصل بابن العميد ومدحه وأخذ جوائزه. ثم استدعاه عضد الدولة بن بويه فرحل إليه فأكرم وفادته وأحسن لقاءه.

يقول بعض الرواة إنَّ أبا الطيب لمَّا قدم على عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار ثم دس إليه من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟[١٥٦] فقال إنَّ سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة يعطي تطبعاً فغضب عضد الدولة وأوصى إلى جماعة أن

---

[١٥٢] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي، د ت، ص ١٥٩ .

[١٥٣] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١ ، ص ٨٦.

[١٥٤] في الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطيء ، المجلد الثاني، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص ١١٩- ١٢٠.

[١٥٥] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ج/١ ، ص ١٨٣. وخزانة الأدب للبغدادي ، ج/١ ، ص ١٨٣.

[١٥٦] المصدر نفسه ، ص ٩٩.

يقتلوه.[157] وروى صاحب إيضاح المشكل لشعر المتنبي(أبو القاسم عبد الله الأصفهاني) أنَّ عضد الدولة قال: إنَّ المتنبي كان جيد الشعر بالغرب. فلما بلغت المتنبي قال: الشعر على قدر البقاع.[158] المعروف أنَّ أبا الطيب قد أفرغ وسعه في مدح صاحبه ونال من جوائزه – كما ذكرنا– فكيف يقول ما نسب إليه؟ وكيف وهو يعلم أنَّ كلامه حري أن يبلغ عضد الدولة ؟ وتدل أخباره في شيراز أنَّه كان حذرا كل الحذر أن ينقل عنه ما يسخط عضد الدولة.

تشير بعض الروايات إلى أنَّ عضد الدولة هو السبب المباشر في قتل المتنبي ولكن ما يجعلنا حائرين أنَّ الشاعر قد استطاب حياة عضد الدولة، ولعلها استطابة اليائس القانع من الغنيمة بالإياب وودع عضد الدولة كأحسن ما يكون الوداع:

أَروْحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي
بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا
وَقدْ حَمَّلْتَني شُكْراً طَوِيْلاً
ثَقِيلاً لاَ أُطِيْقُ بِهِ حَرَاكَا
أُحَاذِرَ أنْ يَشُقَّ عَلَى المَطَايَا
فَلاَ تَمْشي بِنَا إلاَّ سِوَاكَا
لَعَلّ ٱللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً
يَعِينُ عَلَى الْإقَامَةِ في ذَرَاكَا[159]

إنَّ هذا الوداع حسن ولكن الموت كان له بالمرصاد. فلقد سار الشاعر – بعد ذلك– بمراكبه وغلمانه حتى بلغ الأهواز. ويجيء اختلاف الروايات هنا حول مقتله فلم يمهله الأجل حتى يصل إلى الكوفة أو يعود ثانية إلى شيراز.

تروي كتب الأدب أنَّ اغتيال المتنبي كان ذا أبعاد سياسية، إذ كان عضد الدولة يكره سيف الدولة، وقد أغدق الأوَّل على المتنبي الهدايا والأموال وأرسل إليه من يسأله: من أكرم فرد عليه المتنبي – كما تقدم– هذا يعطي تساخياً، وذاك يعطي سخاءً فبلغ قوله مسامع عضد الدولة فحقد عليه وهيأ له بالاتفاق مع الوزير المهلبي جماعة تترصد طريقه لقتله، فقد خاف بنو بويه بقاء المتنبي بالكوفة وروج (أبو النصر) وهو الذي روى (واقعة

---

[157] خزانة الأدب ، البغدادي ، ج/٢ ، ص ١٤٣. والفهرست ، ابن النديم ، ص ١٩٤ . معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ج/١٤، ١٩١.

[158] خزانة الأدب ، البغدادي ، ج/١ ، ص ١٤٧.

[159] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/٣ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣.

اغتياله) أنَّه هجا (ضبة) وهو خامل الذكر، وهو الذي لم يتنازل ليهجو شعراء معروفين من أمثال ابن سكرة وابن الحجاج والحاتمي على الرغم من هجائهم له، لذا أحكمت المؤامرة حول المتنبي فأوعز إلى من يتعامل معه عند دير العاقول قرب بغداد، حيث تربص به قوم يريدون به شراً، ولم يك معه غير ابنه وعبده، ففكر بالهرب، ولكن عبده قال له ألست القائل:

فَالخَيْلُ وَاللّيْلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُني

السيف والرمح والقِرْطاسُ والقَلَمُ[١٦٠]

فقال قتلتني يا عبد، فوثب على القوم ولكنهم أحاطوا به فقتلوه، وكان ذلك سنة ٣٥٥ هـ. وقيل: إنَّ الذي قتله هو فاتك الأسدي. وتتعدد الروايات حول هذه الحادثة، وهو أمر يتصل بحقائق التاريخ أكثر من اتصاله بهموم الأدب.

هذه خلاصة سريعة لحياة المتنبي الذي يعد شعره مصدراً أساسياً لدراسة التاريخ والشخصيات والأحداث.[١٦١] ومن حياة المتنبي رأينا أنَّ أوفر البيئات نصيباً في صقل حسه وإثارة خاطره هي البيئة الشامية والبيئة المصرية حيث عاش بين الطمع والأمل واليأس والرجاء. أمَّا غيرها من البيئات فلم تصل إلى هذا المدى؛ وذلك لعزوف الشاعر عن الحياة اللاهية التي عاشها العباسيون وعمالهم من جانب، ولعدم ارتياحه إلى حكام العراق من جانب آخر، ولخلوده بعد إلى الراحة والسكينة وهدوء الحياة من حوله بشيراز.[١٦٢]

---

[١٦٠] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٣٦٩.

[١٦١] انظر المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين . حسن الإمراني ، ص ٩٤.

[١٦٢] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، عبد الرحمن شعيب ، ص ٣٠.

الفصل الثاني

ثقافة أبي الطيب المتنبي

ثقافة أبي الطيب المتنبي

إنَّ الحديث عن أثر الأقدمين في شعر أي شاعر لاحق، يحمل الباحث على تتبع الحركة الثقافية للشاعر؛ لأنَّ المقومات الثقافية لكل جيل من الناس تختلف عنها في جيل آخر، وأنَّ معارف الناس في تطور دائم ومستمر. ويعترف أكثر النقاد لأبي الطيب بالعلم والمعرفة والثقافة. لذلك اختارت الدارسة ثقافة المتنبي عنواناً لهذا الفصل؛ وإدراكاً للواقع العلمي والأدبي لعصر الشاعر، وللبيئات التي عاش فيها أو تأثر بها، وفهماً لجوانب شخصية الشاعر ومدى استفادته من ثقافة عصره وبيئته.

المبحث الأوّل: الثقافة في العصر العباسي:

يقصد بالحياة الثقافية كلَّ ما من شأنه أن يكون غذاءً للعقول ومهذباً للنفوس ومتصلاً بالفكرة، وليس من شك في أنَّ الحياة الثقافية في العصر العباسي كانت من الخصوبة والثراء بمكان، ولعل أهم العوامل التي أدت إلى ذلك تعدد روافد الثقافة ثم نشاط حركة الترجمة وتعدد منابر التعليم، والحرية الفكرية والعلمية التي سادت في هذا العصر ثم تبلور العلوم وظهور مبدأ التخصص ويسر الحالة الاقتصادية.

لسنا بحاجة إلى القول إنَّ العصر العباسي قد شهد تلاحقاً ثقافياً فريداً نتيجة لامتزاج العناصر المختلفة التي ورثت ثقافات متباينة، كل ذلك أدى إلى تعدد روافد الثقافة، ولكلِّ ثقافة خصوصيتها المميزة، والدليل على ذلك سرعة انتشار العربية بين مختلف الأجناس التي انضوت تحت جناح الإسلام، وكان الفرس أسرع النَّاس إلى تعلم العربية، وترك المفكرون من مختلف هذه الأجناس في إطار الثقافة العربية الإسلامية الواحدة آثاراً ملموسة في كل جانب من جوانب الثقافة، فكان للأدب الفارسي والفلسفة اليونانية والعلوم الهندية تأثيرها الواضح في الثقافة العربية الإسلامية، ولم يكن ذلك عملاً قسرياً بل جاء تلقائياً، وبقيت بعض اللغات حيَّة على الألسن، ويروي الجاحظ عن قاص من قصَّاص البصرة ووعاظها وهو موسى الأسواري فيقول عنه: (كان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه

والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله يفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا تدري بأي لسان هو أبين.[١]

يقول الدكتور شوقي ضيف معبراً عن هذه الظاهرة: ولا نبالغ إذا قلنا إنَّ كل ألوان الثقافات العامة التي كانت مبثوثة في البلدان المفتوحة من أواسط آسيا إلى مشارف البرانس تحولت إلى العربية دون حاجة إلى ترجمة منظمة لسبب طبيعي، وهو أنَّ شعوب هذه الثقافات تحولوا عرباً[٢] ويكاد يجمع معظم الباحثين على أنَّ الفرس كانوا أشد تأثيراً من غيرهم؛ لأنَّهم كانوا أكثر التصاقاً بالعرب.[٣]

وعن تعدد منابر التعليم فلقد كان للكتاتيب دورها في التعليم الأولي، فكان معلم الصبيان عنصراً من عناصر التعليم، وللكتاتيب دورها الذي لا يخفى على أحد في ثقافة الشعراء، وقد تحدث عنها الدكتور طه حسين في كتابه (الأيام) طويلاً. وشكلت بعضها في ذلك العصر منبراً من منابر التعليم، أمَّا معلمو الخاصة فقد كان دورهم أهم، وكانوا على جانب من الثقافة والعلم المتخصص ينتمون إلى خيرة الأدباء واللغويين والمحدثين والفقهاء، ولم يكن أمر التعليم الخصوصي متاحاً للعامة، بل يكاد أن يكون مقصوراً على أبناء الخلفاء والولاة والأمراء وأبناء الطبقة العليا من المجتمع. ومن معلمي الخاصة المشهورين الكسائي، النحوي المعروف، معلم الرشيد وأبنيه الأمين والمأمون، ومنهم الفراء، معلم أبناء المأمون.

من منابر التعليم في ذلك العصر، الأسواق الأدبية ومنها: سوق المربد الذي كان الشعراء وغيرهم من طالبي العلم والثقافة يؤمّونه ويتلقون الشعر والأخبار على يد فصحائه. ولقد كانت المساجد مدارس مبثوثة في طول البلاد وعرضها، وحلقات العلم التي يلتف طلاب العلم حول أستاذهم فيها أشبه بالفصول الدراسية حيث تمل المحاضرات، ولذلك انتشرت كتب الأمالي، وكان يقبل على هذه الدروس الناس من كافة الطوائف، فقد روي في معجم الأدباء أنَّ الزَّجاج رغب في تعلم النحو، فلزم حلقة

---

[١] البيان والتبيين، الجاحظ ، ج/١، مطبعة الفتوح الأدبية ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ ، ص ٣٦٨.

[٢] العصر العباسي الأوَّل، شوقي ضيف، دار المعارف مصر ، د ت ، ص ٩٤.

[٣] في الأدب العربي القديم ، مج/ ٢ ، محمد صالح الشطئ، ص ٣٤.

المبرد بجامع بغداد، فسأله المبرد أيُّ شيء صناعتك ؟ فأجابه: أخرط الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم، وسأظل أعطيك إياه أبد الدهر، فلزمه وعني بتخريجه.[٤]

نشأت جماعة من العلماء والأدباء في العصر العباسي كان همها الأخذ من كل العلوم فتنقلوا بين مختلف الحلقات وكان يطلق عليهم في البصرة اسم المسجديين، وكانوا ذوي ولع خاص بالجدل والحوار في مختلف فنون المعرفة. وكان لتشجيع الخلفاء دور في نمو الحياة الثقافية والعلمية، ولعلَّ من المنابر المهمة التي أدت إلى شيوع وثراء الثقافة المكتبات العامة والخاصة، وساعد على ذلك كثرة دكاكين الوراقين وتوفر الورق. كما نجد مجالس الخلفاء التي كانت أشبه بحلقات الدرس، وكانت ميدانا للجدل والمناظرة.

من الروافد التي كانت تغني حلقة التعليم، الشغف الشديد بالرحلة إلى البلدان المختلفة للالتقاء بأشهر العلماء والمحدثين، فكان اللغويون– على سبيل المثال – يرتحلون إلى البادية لتلقي اللغة من مظانها (مصادرها) الأساسية وكان الفقهاء يرتحلون إلى الأئمة في مختلف الأقطار، ويذكر الدارسون أنَّ الرحلة لم تكن تقتصر على العلماء من المتخصصين فحسب بل كان يشارك فيها العديد من محبي العلم والثقافة من عامة الناس.

سادت الحرية الفكرية والاعتقادية ردحاً من الزمن في العصر العباسي، حيث كان الزنادقة وغيرهم من أصحاب المعتقدات المنحرفة يعرضون أراءهم في حلقات الدرس دون تحفظ في بعض الأحيان، على الرغم من أنَّ المجتمع في جوهره كان مجتمعاً إسلامياً، وكان يشتد الجدل في المجالس الخاصة التي بيع فيها الحديث في مختلف شؤون الفكر. وكان يلتقي في هذه الحلقات أصحاب الملل المختلفة، فقد كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم وهم: الخليل ابن أحمد صاحب العروض (سُنّي)، والسيد بن محمد الحميري (رافضي)، وصالح بن عبد القدوس (ثنوي)، وسفيان بن مجاشع (من الخوارج)، وبشار بن برد (خليع)، وحماد عجرد (زنديق)، وابن رأس الجالوت الشاعر (يهودي) وابن نظير (نصراني)،وعمرو بن

---

[٤] في الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطيء ، مج/٢، ص ٢٥.

أخت الموبذ (مجوسي)، وابن سنان الحرَّاني الشاعر (صابئي)، فتتناشد الجماعة أشعاراً وأخباراً[٥]. تقف رواية صاحب النجوم الزاهرة شاهداً على مدى الحرية الفكرية التي كانت سائدة في ذلك العصر.

تعد الترجمة من روافد الثقافة التي نشطت حركتها منذ القرن الرابع الهجري نشاطاً ملموساً، واستمر هذا النشاط حتى القرن التاسع، كان من أشهر المترجمين حنين بن إسحاق، كما أنَّ مدرسة جند نيسابور القريبة من البصرة مركزاً مهما من مراكز الترجمة والتعريب، وقد نقل ابن المقفع منطق أرسطو، وكليلة ودمنة الهندية الأصل، وترجم أبو يحيى البطريق طائفة من كتب أبقراط وجالنيوس الطبية، واشتدت حركة الترجمة في عهد الرشيد وأبنائه، وخصوصاً المأمون.

لقد انتقل التعليم في هذا العصر من المشافهة إلى التدوين، فكان كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان للجاحظ ورسائل العلماء والرواة في مباحث خاصة تدون وتجمع كما يجمع شعر شاعر أو شعراء قبيلة في ديوان واحد كرسائل ابن المقفع، ورسائل سهل بن هارون في الأدب، وكتاب النوادر وكتاب الأراجيز، وكتاب معاني الشعر للأصمعي وكتب: البُلْه والضيفان، والشعر والشعراء، والمعاتبات والملاومات والمثالب ومآثر العرب، وأدعية العرب لأبي عبيدة، وهناك من يرى أنَّ ابن المقفع هو الذي ابتدع كليلة ودمنة، ونحله الهند والفرس، وبذا يكون أوَّل كتاب خاص ظهر في الأدب العربي، ولمَّا كثرت الرسائل الخاصة في المسائل المتقاربة الموضوعات دون العلماء منها كتبا مبسوطة، وكان الجاحظ أوَّل من خاض هذه التجربة ثم اقتفى أثره أحمد بن طيفور في كتاب (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءاً، ثم ظهر كتاب الكامل والروضة لأبي العباس المبرد المتوفي في نهاية القرن الثالث الهجري. ثم توالى مصنفو الأدب وذوو الاختصاص كالعتابي وأبي حنيفة الدينوري وأبي زيد البلخي والبلاذري والجهشياري وأبي بكر الصولي وابن قتيبة صاحب كتاب (أدب الكاتب) وأبي حيان التوحيدي.[٦]

---

[٥] راجع النجوم الزاهرة ، ابن تغري بردي، ج/٢ ، ص ٢٩، نقلاً عن العصر العباسي الأوَّل، شوقي ضيف، ص ١٠٦، ١٠٧.

[٦] في الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطيء، مج/٢، ص ٣٧.

المبحث الثاني: ثقافة المتنبي اللغويـــة:

يعرف جمهور المتأدبين أبا الطيب شاعراً واسع المعرفة باللغة، ولكنَّهم لا يعرفونه إماماً من أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري، الأمر الذي بينه د. عبد الوهاب عزام في كتابه[٧]. والمعروف أنَّ أبا الطيب قد بلغ من العلم باللغة وغريبها وشواهدها ما لم يبلغه شاعر من شعراء العربية في عصره.[٨] فقد عرف المتنبي بمعرفته اللغوية والنحوية والصرفية. ومن أجل ذلك ترجم له ابن الأنباري في كتابه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) الذي ترجم فيه لرجال الأدب واللغة والنحو. ولم يذكر غيره من الشعراء إلا أبا نواس وأبا تمام وابن المعتز وابن الجهم والمعري وأبا إسحاق الغزي.[٩]

ترى الدارسة أنَّ جداول شتى قد أمدت المتنبي بمصادر اللغة وروافدها، ويتضح هذا الأمر في ديوانه الذي احتفل به الأدب العربي قروناً طويلة وما زال، وقد كان أثر البيئة واضحاً في رسم إطار هذه الثقافة، سواء أكانت بيئة الكوفة التي عاش فيها الشاعر طفولته وصباه، أم بيئة البوادي التي ارتحل إليها، أو البيئات ذات الثقافة الراقية التي استقر فيها. وكان للبادية دور بارز في هذه الثقافة، فقد هيَّأت له منبعاً صافياً استقى منه اللغة، فقويت سليقته اللغوية وأغنى حصيلته من المفردات والأساليب.

لقد حظيت الدراسات اللغوية والنحوية باهتمام كبير في البيئات التي عاش فيها الشاعر حيث التقى بأعلام اللغة؛ كابن خالويه، وأبي الطيب اللغوي وأبي علي الفارسي، وأبي الفتح بن جني وعلي بن حمزة البصري، وغير هؤلاء ممن أغنوا المكتبة العربية بأفضل المؤلفات، فكان من الطبعي أن يوجه الشاعر اهتمامه إلى هذه الدراسات؛ ليحمي شعره من السقط الذي قد يجعله هدفاً لسهام انتقادات هؤلاء العلماء، ولكي يستطيع الإسهام فيما يدور بينهم من محاورات. وقد أسهم محفوظ المتنبي من أشعار الفحول الذين قرأ شعرهم في إثراء مكنوزه من المفردات.

---

٧ انظر ذكرى أبي الطيب المتنبي. عبد الوهاب عزام ، ص ٢٢٣.

٨ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

٩ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ، ص ٢٦ .

إنَّ الأهمَّ من هذا كلِّه ما نعلمه من شغف الشاعر بالقراءة والاطلاع وقوة الذاكرة، وقد وجه لعلوم النحو واللغة اهتماماً واضحاً مِمَّا حدا بابن خلكان إلى القول بأنَّه كان (من المكثرين من نقل اللغة[١٠] وتحدث أبو القاسم الأصفهاني عن اطلاع الشاعر على كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم ابن سلام وهو من المعاجم الغنية، ويعده بعض المعاصرين من خير ما ألف أبو عبيد، كذلك قرأ كتاب الجمهرة في اللغة لأبي بكر بن دريد، وقد نقل منه- فيما يرى الاصفهاني- لفظ المجلحة في قوله:

وأمشى كما يمضي السنان لطيتيّ

وأطوي كما تطوي المجلْحة العُقد[١١]

قصر الأصفهاني حديثه على هذين المؤلفين، مِمَّا قد يوحي للقارئ بأنَّ الشاعر لم يطلع على غيرهما. وترى الدراسة أنَّ هذا الحكم مخالف للشائع عن المتنبي، وللمكانة التي شغلها، وهو الشاعر الذي وصفه الأصفهاني نفسه بأنه من حفاظ اللغة. كذلك أشار علي بن حمزة البصري راوية المتنبي، إلى اطلاع الشاعر على كتاب المنقوص والممدود لابن ولاد، (توفي ٣٢٢هـ) وقد قرئ هذا الكتاب على الشاعر في مصر، وله عليه ملاحظات[١٢]. وقد كان الشاعر في ردوده على الانتقادات التي وجهت لشعره يستشهد بأقوال العلماء، وإن ورد بخاطره ذكرى الموضع الذي سجل فيه اللغوي ما ذهب إليه لم يكن ليغفل عن ذكره، ومن هذه الملاحظات استطاعت الدراسة أن تعرض بعض المصادر التي قرأها الشاعر والتي أسهمت في تكوين ثقافته اللغوية، مثال ذلك ما أورده رداً على انتقادهم لقوله:

أحاد أم سداس في أحاد

لبلتنا المنوطة بالتناد[١٣]

---

[١٠] وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ص ١٠٤.

[١١] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الاصفهاني، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠م، ص ٣٧، جمهرة اللغة، ابن دريد ، حيدر اباد ، الدكن ١٣٤٥هـ (جلح)، ٢/٥٧- ٥٨.

[١٢] التنبيهات ،علي بن حمزة البصري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، القاهرة، د -ت، ص ٣٢٥.

[١٣] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ٣٥٣.

فقد احتج الشاعر لاستعماله (سداس) بقوله (إنَّه قد جاء عن العرب خماس وسداس إلى عشار، ذكره أبو حاتم في كتاب الإبل، وزعم أبو عبيدة في المجاز أنَّه لا يعلمهم قالوا فوق رباع).[١٤] وقال مرَّة أخرى (وهذا أبو زيد يروي عن العرب أثاب الرجل إذا ثاب له جسمه، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف).[١٥] إنَّ هذه الأقوال التي وردت على لسان الشاعر تؤكد اطلاعه على كتابي أبي حاتم السجستاني (الإبل) و(المذكر والمؤنث)، و(كتاب الغريب المصنف)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

أمَّا كتاب الإبل لأبي حاتم فقد أورد عنه ابن وكيع التنيسي في كتابه المنصف ما يؤيد رواية المتنبي، مِمَّا قد يرجح صحة هذه النقول. لقد كان علم الشاعر وسعة اطلاعه على النحو واللغة مِمَّا أشاد به الباحثون، ولكنَّنا نجد إلى جانب النظرة العادلة المنصفة التي وضعت الشاعر في المنزلة التي تليق بمكانته حملة ظالمة شنها خصوم الشاعر، كالحاتمي، وابن وكيع التنيسي. ونلمح تحامل الحاتمي واضحاً خلال موضحته وفيمَّا نقله الباحثون عنه، فما فتئ يحاول التدليل على ضعف المتنبي في العربية، فنراه على سبيل المثال يعيب على الشاعر قوله (غير محتشم)، بمعنى غير منقبض في بيته:

ضَيْفٌ أَلَمَّ برَأْسِي غَيرَ مُحْتَشِمٍ

وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ [١٦]

ويرى في قول المتنبي مخالفة لما عليه محصلو أهل العلم؛ إذ الحشمة عن العرب الغضب ثم ذكر استشهاد المتنبي بقول الشاعر:

أخاف تكرار قولي كل فأحشمه

والصمت ينزله مني على بخل[١٧]

[١٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني ، ص ٤٥٧.

[١٥] المصدر نفسه ، ص ٤٥٣.

[١٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ،ص ٣٤.

[١٧] ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٢م، ص ١٣١.

تضاربت آراء الحاتمي وتناقضت أقواله في مدى معرفة الشاعر باللغة، ففي الوقت الذي نراه يسلم له بالعلم الواسع قائلاً: (أنت أبو عذرته وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقاتها والكلام على أفانينها، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك).[١٨] نجده قد هاجم الشاعر قبل هذه المقالة بأنه لم يمعن النظر في كتب اللغة وعلوم العرب.[١٩] ترى الدارسة أن ما هاجم به الحاتمي المتنبي لم يقصد به غير التعريض، وإنما عدته من باب التناقض البين لناقد واحد فتراه يقول في موضع آخر: (أتراك مع فضلك وتوسعك في أدبك لم تطالع كتاب الفصيح)[٢٠]

شبيه بهذه المحاولات ما نراه لدى ابن وكيع التنيسي الذي ألَّف كتاب المنصف للبحث في سرقات الشاعر، ونراه في كتابه ينعى على الشاعر ضعفه في العربية؛ إذ نقل محاورة جرت بين الشاعر وأبي الحسن المهلبي قال: حضرته في مجلس مع بعض الرؤساء، وجرت مسألة في المذكر والمؤنث فقلت قد يؤنث المذكر إذا نسبت لمؤنث مثل (كما شرقت صدر القناة من الدم فقال – أي المتنبي– من قال هذا ؟ قلت سيبويه، فقال لا أعرف هذا ولعله مذهب البصريين ولا أعمل على قولهم قال: فقلت هذا في كتاب ابن السكيت في المذكر والمؤنث، فقال: ليس ذلك فيه. فأخرجته من خزانة الرئيس الذي كنا عنده، فلما قرأه قال: ليس هذا بخط جيد، أنا أكتب خيراً منه، فقلت ما جلسنا للتخاير بالخطوط، فانقطع في يده.[٢١]

وردت هذه الواقعة مرتين باختلاف في اسم صاحب المجلس مِمَّا قد يوحي بالشك فيها أصلاً، ولا تستبعد الدارسة أن تكون هذه الواقعة من اختلاقات المهلبي وابن وكيع؛ وتحامل هذين الرجلين على الشاعر في غنى عن الوصف، ورغم الشك الذي يغلف هذه الرواية لضعفها وموقف صاحبها العدائي تجاه الشاعر فإنَّه لا يعيب

---

[١٨] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ص ١٤١.

[١٩] المرجع نفسه، ص ١٤١.

[٢٠] الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، الحاتمي ، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥، ص ٦٣.

[٢١] انظر ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤوطي ، (صور من جامعة الرياض – المملكة العربية السعودية) الرقم العام ٢٣٧١٧٦ ، مكتبة م. ، ص ١٥٦.

المتنبي ألا يكون قد اطلع على كتاب ابن السكيت، أو أنَّه سها عن ورود هذه المسألة في كتاب سيبويه. وقد علل إحسان عباس قولة المتنبي (ليس هذا بخط جيد) بأنَّه إنكار من الشاعر أن يكون الكتاب بخط العالم الذي أسموه له.[٢٢] وتلمح الدارسة تناقض الحكم على الشاعر عند التنيسي أيضاً، إذ يقول مرة أخرى (وأنا أعرف رجلا تزيد محبته أبا الطيب على محبته أمه وأباه، وقد ذكره فقال: أما اللغة فكان فيها إماماً لم تضرب العرب بعصا إلا وعنده منها خبر، وأمَّا الشعرِّ فأنَّه لسان الزمان لا ينطق أو يستأذنه، وأمَّا النحو فهو على مذهبه في النحو نحوي).[٢٣] فقد نقل ابن وكيع هذه الشهادة على لسان رجل أطلق عليه هذا الوصف حتى يوحي للقارئ بأنَّ هذه المقالة يشوبها الغلو لتحيز صاحبها وميله الواضح للشاعر، مِمَّا يحول دون إصدار حكم سليم على الشاعر وشعره ولم تعرف الدارسة شيئاً عن هذا الرجل سوى هذا الوصف الذي أورده ابن وكيع وإن لم يشهد بباطل، فعلم الشاعر بالنحو واللغة مِمَّا نوه به كثير من القدماء، وترى الدارسة أنَّ الرجل قد أصاب حين وصف الشاعر بقوله (إمام).

كان علي بن حمزة أحد أئمة اللغة في القرن الرابع واشتهر بمؤلفاته التي يرد فيها على علماء اللغة ككتاب الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره، وكتاب الرد على أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات[٢٤]... فقد ربطت بين المتنبي وهذا اللغوي الكبير صداقة عميقة. ولعَّل ملازمته له قد هيَّأت له مناخاً علمياً سليماً، ولم تغفل الدارسة عن استفادة الشاعر بالوسط المثقف في القرن الرابع الهجري الذي شهده المتنبي وتثقَّف منه.

تشير الدارسة هنا إلى ما أملاه الشاعر من شروح لأشعاره باختصار؛ فإنَّه يكشف عن اتساع آفاق ثقافة الشاعر اللغوية كشفاً لا مجال فيه لنزاع، وأوَّل ما

---

[٢٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس ، طبع دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ٣٠٦.

[٢٣] المنصف، ابن وكيع التنيسي، (خ ١٦٠ ، ب- ١٦٩ أ) نقلاً عن ثقافة أبي الطيب المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناؤوطي .

[٢٤] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، ج/١٣، ص ٢١٠.

يتبادر إلى الذهن هو صحة صدور هذه الأمالي عن الشاعر، لا سيما أنَّ بعضها قد خرج عن مهمة المعنى وشرحه إلى سرد معلومات لغوية ونحوية، وتذكر الدراسة بعضاً من الذين أرَّخو للشاعر كابن خلكان الذي يشير إلى أن الشاعر (ما سئل عن شيء إلا واستشهد بكلام العرب من النظم والنثر).[٢٥] وقد وردت هذه الأمالي في شروح الديوان، كابن جني والمعري والعكبري، وفي بعض الدراسات النقدية التي ألفت حول الشاعر كالوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، والمنصف لابن وكيع التنيسي، والنظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام لابن المستوفي، وقد لمحت الدارسة كثيراً من التوافق بين بعض هذه النصوص المنقولة مِمَّا يُوحي بالثقة أنَّ هذه الأقوال قد صدرت عن الشاعر حقاً. وإلى جانب ما ذكرته الدارسة فإن في ثقافة الشاعر الواسعة وحرصه على وضوح شعره في الأذهان ورغبته في ارتداء زي العلماء في الأوساط التي غشيها، ما لا يستبعد معه أن تكون هذه الملاحظات صادرة عنه.

كان المتنبي يشرح من الألفاظ ما يراه غامضاً مبهماً للمعنى الذي قصده، ويسرد شاهداً أو أكثر يتضح به المعنى كقوله:

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الحَشْرِ تَجْدو

لأعْطَوْكَ الَّذي صَلّوْا وَصَامُوا[٢٦]

قال: جددت استرقدت وأنشد:

جددت أناسا موسرين فما جدو

ألا الله فاجدوه إذا كنت جادا[٢٧]

وكان يستعين لإيضاح المعنى بحصيلته اللغوية الوفيرة فيذكر للفظ عدة مترادفات كقوله:

يَهَابُهُ أبْسأُ الرِّجال بِهِ

وتَتَّقِى حَدَّ سَيْفِهِ البُهَمُ[٢٨]

---

[٢٥] وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج/١، ص ١٠٥.

[٢٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤، ص ٧٧.

[٢٧] ديوان المتنبي، تصحيح عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٤م، ص ٩٥، لسان العرب، ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (جدا).

[٢٨] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤، ص ٦٠.

بسَت به: أي أنست به، وكذلك بسأت وبهأت وأنشد:

فقد بهأت بالجاهلات إخالها

وسيف كريم ما يزال يَصُوْعُها [29]

ولعلَّ المتنبي كان يجيب على الاستفسارات التي كانت تعرض له من جلسائه وكان حريصاً على إفادة كل منهم بما يقنعه، وقد أعانه على بلوغ هذه الغاية ما اكتنزه في محفوظه من أشعار السلف، وما تميز به من ذاكرة قوية وبديهة حاضرة. وتتمثل عنايته بالمترادف في مثل قوله:

ألغت مسامعُهُ الملامَ وغادرت

سمةًُ على أنف اللئام تلوح [30]

قال: اخترتها من أخوات لها عشر فقدمتها، وهي نبذت، تركت، طرحت، عادت، نقصت، كرمت، ردت[31]. ولعل غايته من هذا السرد أن ينبه السامع إلى أنَّه قصد هذه اللفظة بعينها، وأنَّ غيرها من الألفاظ لا يحل محلها، وإن كان بمعناها.

يحضر الدارس في هذا المقام قول المعري: (لا تظن أنَّكَ تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها، فجرب إن كنت مرتاباً)[32] ، فقد حكم المعري بأن لِّكل كلمة في شعر المتنبي مكانها الذي لا يحل غيرها من الألفاظ فيه.

وإذا عرضت له صيغة غير شائعة تراه يبادر إلى إيراد الصيغ المختلفة للفظٍ مُميِّزٍ بين ما وافق القياس منها وما خالفه مستشهداً لِّكل صيغة بشاهد شِّعري يدعم به رأيه ويعطي لاستعماله سنداً يقره النقاد مثل قوله:

إذا عرضت حاجُ إليه فنفسه

إلى نفسه فيها شفيع مشفْعُ [33]

---

[29] لسان العرب، بهأت .

[30] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١، ص ٢٥٤.

[31] النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام، ابن المستوفي، معهد المخطوطات العربية، (٧٣٣) أدب، نقلاً عن ثقافة أبي الطيب المتنبي، هدى الأرناؤطي، ص ٢٢٥ ب.

[32] وفيات الأعيان، ابن خلكان ، ج/١، ص ١٥٣.

[33] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢، ص ٢٤٣.

قال: (يقال: حاجة وحاج وحاجات وحوج، وعلى غير القياس حوائج، وتقول العرب في نفسي منك حوجاء: أي حاجة، وأنشد:

ألا ليت سوقا بالكنانة لم يكن

إليها لحاج المسلمين طريق[٣٤]

وأنشد لامرئ القيس: (لنقض حاجات الفؤاد المعذب)[٣٥] وللشماخ:

تقطع بيننا الحاجات إلا

حوائج يعتسفن مع الجري[٣٦]

كأنَّنا هنا أمام عالم من علماء اللغة، فالفكرة واضحة منتظمة في تناوله لجزئيتها واستشهاده على صيغة ذكرها، ويمكن أن نلاحظ أنَّ ما استشهد به من أشعار مِمَّا تداولته المعاجم مِمَّا قد يوحي إلى الدارس بأنَّه كان يتعمد حفظ هذه المفردات من كتب اللغة التي تقع في متناوله. قد دلل في هذه الأمالي على سعة معجمه من الألفاظ، وكثيراً ما نراه يخرج عن إطار الشرح والتوضيح الذي قصده من تناوله لأشعاره، إلى عرض الصيغ المختلفة التي ذكرها مثل قوله في هاتا: هاتا بمعنى هذه وله ست لغات: هذه وتي وهذي وذي وهاتا وتا وتثنيتها كلها هاتان.

وقد عنى في شروحه بالألفاظ التي ارتبطت بحياة البادية والصحراء، وما يتصل بها من حيوان ونبات، عرف الشاعر بخبرته الواسعة بها نتيجة لاتصاله العميق بالأدب القديم، ولرحلة البادية التي عاش فيها في هذه البيئة بكل أحيائها وظروفها. وقد تمت هذه الشروح عن فهم دقيق للألفاظ التي عرضت له، مثال ذلك:

وأن إعطاءَهُ الصوارمُ والخيـ

ـل وسُمْرُ الرماح والعكرُ[٣٧]

---

[٣٤] المصدر نفسه والجزء ص ٢٦٧.

[٣٥] ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٤م، ص ٤١. (لنقض لبانات الفؤاد المعذب)

[٣٦] ديوان الشماخ ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م، ص ٤٦٣.

[٣٧] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ،٨٩.

قال المتنبي: العكر جمع عكرة وهي القطعة من الإبل، فيها فوق الأربعين ودون المئة.[٣٨]

ما قدَّمته الدارسة أعلاه يعد من أهمَّ مصادر ثقافته اللغوية وروافدها، ومن هنا رأت أن تقف على أهم آثار ثقافته اللغوية في شعره متناولة أبرز ظاهرة نحوية تحدث عنها النقاد في شعره وهي ما سلك فيه الشاعر مسلك مدرسة الكوفة فالشاعر – كما وصفه بعضهم– كوفي المولد ، كوفي المنشأ . وقد ورد على لسان الشاعر ما يمكن أن يبيح للنقاد أن ينسبوه إلى هذه المدرسة؛ فقد ذكر في إحدى مناقشاته مع المهلبي (هذا على مذهب البصريين، ولا أعمل عملهم).[٣٩] وترى الدارسة انَّه من الطبعي أن يكون المتنبي الشاعر المثقف مطلعاً على مسائل الخلاف النحوية مِمَّا قاد الدارسة إلى عرض بعض المسائل التي اندرجت تحت هذا الباب ومنها:

أفعل التفضيل: قال المتنبي:

إبْعَدْ بَعِدْتَ بَياضاً لا بَيَاضَ لَهُ

لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُلَمِ[٤٠]

صاغ الشاعر هنا أفعل التفضيل من اللون، وقد ذكر في شرحه الذي أملاه لهذا البيت يقال هو أشدَّ سواداً من كذا، وأسود من كذا. قال طرفة:

إن قلت نصر فنصر كان شرفني

قدماً وأبيضهم سربال طباخ[٤١]

فقد أورد الشاعر هنا ما ساقه نحاة الكوفة من النقل للتدليل على جواز بناء اسم التفضيل من الألوان، ونراه من ناحية أخرى يشرح تأويل الجمهور لاستعمال هذه الصيغة فيقول: (وإن أرِدت أسود من ظلم سود أي أنت من الظلم جاز. قال ويكون معناه لانت أسود في عيني. وتم الكلام. ثم قال: أنت من الظلم كما تقول هو مقعد من الزمن.[٤٢] ولعل المتنبي اعتمد هنا على

---

[٣٨] لسان العرب ، (عكر).

[٣٩] المنصف، ابن وكيع (خ ٣٤ ،) نقلاً عن ثقافة أبي الطيب المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناؤوطي.

[٤٠] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤، ٣٥.

[٤١] ديوان طرفة بن العبد البكري، مكس سلغسون طبع بو طرايد ١٩٠٠م ، ص ٤٢ .

[٤٢] الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٥م، ط١، ص ١٥٣ .

تأويلهم لقول طرفة (أبيضهم) بأنَّه من قبيل الصفة المشبهة كقولنا هذا أحسن منه وجهاً، وهو أحسن القوم وجهاً، فإنَّ مجيء الصفة المشبهة من الألوان مألوف مثل فلان أبيض اللون.... تلمح الدارسة في مثل هذه المسائل إلمام الشاعر الكامل بمسائل النحو.

إضافة ذو إلى الضمير:

وقد يضيف ذو إلى الضمير خلافاً لجمهرة العرب، التي تمنع إضافتها لغير اسم الجنس، فقال:

سِرْبُ مَحاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا

دانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا[٤٣]

وقد أجاز ذلك الكوفيون قياساً على المسموع من قول كعب بن زهير:

صبحن الخزرجي مرهفات

أياد ذوي ارومتها ذووها[٤٤]

منع الصرف:

إلى واحد الدنيا إلى ابن محمد

شجاعِ الذي لله ثم له الفضل [٤٥]

فقد حذف تنوين شجاع – لالتقاء الساكنين– سكونه وسكون اللام الأولى من الذي، وهذا ما أبيح للشاعر في الضرورة كقول أحدهم:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مسنتون عجاف[٤٦]

تذكر الدارسة إصرار بعض الشراح على الإقرار بكوفية الشاعر، فقد فسر العكبري هذا البيت وفقاً لمذهب الكوفة، ذاكراً حجتهم في ترك صرف ما ينصرف، معدِّداً من وافق الكوفيين من نحاة البصرة ومن خالفهم.

العطف على الضمير :

ومِمَّا أوردوه العطف على الضمير المتصل المرفوع. قال:

---

[٤٣] الإنصاف في مسائل الخلاف ، ابن الأنباري ، ص ٣٥٤ . ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ج/١، ص ١٥٤.

[٤٤] شرح ديوان كعب بن زهير (صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٥٠م، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٥م. ص ٢١٢.

٤٥ ديوان امرئ القيس ، ص ٦٦.

٤٦ ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٣ ، ص ١٨٤.

يا عدن حباً يجتمعن ووصله فكيف بحب يجتمعن وصده[47]

أجاز الكوفيون العطف على الضمير المتصل المرفوع، ومنعه البصريون في غير ضرورة الشعر. ويمكن أن نعد ما ذكره المتنبي ضرورة اقتدى فيها المتنبي بمن سبقه. قال جرير:

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه

ما لم يكن وأب له لينالا[48]

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به :

حملت إليه من لساني حديقة

سقاها الحجى سقيَ الرياض السحائب[49]

فقد فصل المتنبي بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، وقد أجاز الكوفيون الفصل بينهما بغير الجار والمجرور والظرف، وقصر البصريون ذلك على الشعر من باب الضرورة. وقد ورد ذلك كثيراً في أشعار العرب. قال الشاعر:

فزججتها بمزجة

زج القلوَص أبي مزادة [50]

وقال الطرماح:

يصفن بجوزي المراتع لم ترع

بواديه من قرع القسي الكنائن [51]

رأت الدراسة أن تقف على بعض الأساليب التي خالف فيها المتنبي مذهب جمهور العرب؛ مِمَّا يجعله عرضة للنقد والتجريح، كما ترى أن الشاعر لم يأت بهذه الأساليب عن جهل بالنحو وإنمَّا عن سعة اطلاع؛ فقد يقدم على بعضها اضطراراً لا اختياراً، ثم يجد لما أورده نظائر في شعر العرب المحتج بهم فلا يعدل عمَّا ذكر. فقد يأتي الشاعر بعلامة المثنى أو الجمع في الفعل المسند إلى الظاهر، في مثل قوله:

---

٤٧ ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٣ ، ص ١٨٤

[48] شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة ، ١٩٣٥م، ص ٤٥١.

[49] الإنصاف في مسائل الخلاف ، ابن الأنباري ، ص ٤٧٤.

[50] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/١، ص ١٥٨.

[51] الانصاف ابن الأنباري ، ص ٤٥٨.

نفديك من سيل إذا سئل الندى

هول إذا اختلطا دم ومسيح[52]

العارفين بها كما عرفتهم

والراكبين جدودهم أمّاتِها[53]

وقد تبع الشاعر في مسلكه لغة طائفة من العرب، قد تكون طيًّا أو شنوءة، وعلى هذه اللغة حمل قوله تعالى: (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)[54] وقول الرسول ﷺ (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار).[55] وقد ترددت هذه اللغة في أشعار العرب، كقول عبد الرحمن بن عبد الله العتبي:

رأينَ الغواني الشيب لاح بعارضي

فاعرضن عني بالخدود النواضر[56]

وقول أبي فراس:

نتج الربيع محاسنا

ألقحتها غُرُ السحائب[57]

وقد عيب على الشاعر أنه أوقع الضمير المتصل بعد إلا . قال:

لَيْسَ إلاَّكَ يا عَلِيُّ هُمَامٌ

سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ[58]

أَلَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إلاكَا

لاَ لِسِوَى وُدِّكَ لِي ذَاكَا[59]

فالمشهور عن جمهرة العرب أن ينفصل الضمير عن إلا كقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ

---

[52] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ٣٠٩ .

[53] المصدر نفسه ، ج/١، ٢٥٣.

[54] سورة الأنبياء الآية ٣.

[55] البخاري : ج١، ص ٢٠٣ ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، حديث رقم ٥٣٠.

[56] ديوان المتنبي، شرح البرقوي ، ج/٢٢٩/١ ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، القاهرة ،ط١٤ ، ١٩٦٤م، ٤٦٩/١ .

[57] ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق: سلمى الدهان، ج/١ ، ص٥٢ ، بيروت، د ت .

[58] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ١٥٦.

[59] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/٣، ص ١٤٦.

الإِنْسَانُ كَفُورًا)[٦٠]، ولكنهم أجازوا الوصل لضرورة الشعر. وقد رد الشاعر على من أخذ عليه هذا القول، محتجاً بما أنشد الفراء:

فما نبالي إذا ما كنتِ جارتنا

ألا يجاورنا إلاك ديار[٦١]

ونظير ذلك قول الشاعر:

أعوذ برب العرش من فئة بغت

عليّ، فما لي عَوْضُ إلاهُ ناصر[٦٢]

وقد تبع مسلك من أجاز تقديم ضمير الغائب المتصل على المخاطب، ومِمَّا رووه في هذا الباب حديث عثمان رضي الله عنه (أراهمني الباطل شيطانا)[٦٣] قال الشاعر:

خَلَتِ الْبِلادُ مِنَ الْغَزَالةِ لَيْلَها

فَأعاضَهاكَ اللهُ كي لاَ تَحْزَنا[٦٤]

فخالف بذلك رأي الجمهور في تقديم الأخص من الضميرين المتصلين هنا – وهو ضمير المخاطب– وكان الأولى به أن يقول أعاضكها أو يفصل بين الضميرين فيقول أعاضها إياك.

لم تغفل الدراسة في نهاية حديثها عن ثقافة المتنبي اللغوية أن تتحدث عن أثر مهم من أثار ثقافته اللغوية وهو: ولعه بالغريب من المفردات والصيغ، ومخالفته للسماع في بعض الجموع. فلقد عاش المتنبي – كما عرفنا– بين الأعراب في البوادي عدة سنوات في مرحلة مبكرة من عمره كان مهيئاً لاستيعاب ما يعرض له من الألفاظ، فاكتسب ذخيرة واسعة من المفردات والصيغ التي دارت على مسامعه. وتشير الدراسة إلى أنَّ المتنبي قد أقبل على دراسة اللغة باهتمام كبير، فاطلع على دقائقها وحفظ غريبها حفظ الباحث الذي لا تفوته شاردة فيها فكان بذلك عضواً مهِّماً في المناقشات اللغوية التي جرت في بلاط سيف الدولة الحمداني، وحضرها خيرة

---

[٦٠] سورة الإسراء الآية ٦٧.

[٦١] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٢ ، ٣٨٣.

[٦٢] الوساطة الجرجاني، ص ٤٥٧.

[٦٣] شرح ابن عقيل ، ج/١ ، ص٨٩.

[٦٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٢٠٧.

علماء اللغة كابن خالويه وأبي الطيب اللغوي؛ ولعل هذا ما حدا بأبي علي الفارسي إلى توجيه السؤال إلى الشاعر حول الجموع على وزن فعلى ثم انفاق الفارسي ثلاث ليالِ ليجد لما ذكر المتنبي تصحيحاً فلم يعثر على ضالته، وهو ما جعل أديباً كابن العميد يستنير برأيه حول ديوانه الذي قيل إنَّه جمعه في اللغة فقرأه عليه.[٦٥] أضف إلى ذلك ما استفاده الشاعر من محفوظه الشعري الغزير من مفردات أمدته بأسانيد من التراث فيما استعمل في أشعاره من الخاص.

أكسبته هذه الثقافة الواسعة باللغة ثقة بطبعه وقوة سليقته اللغوية جعلته يقدم على كثير من الألفاظ التي يراها مؤدية لما أراد من المعاني دون أن يلتفت إلى أنَّها من الألفاظ التي أسقطتها الحضارة، ولفظها المعجم العربي المتطور؛ لذلك رأيناه يجيب حين سئل عن لفظ مرجاه في قوله:

مال لمن ينصب الحبائل في الأرض

ومرجاه أن يصيد الهلالا [٦٦]

قلتها بالطبع ثم وجدتها في شعر الأعشى[٦٧] ويرد على من انتقد عليه أحد أقواله قائلاً: (أمري على طبعي وأقول ما يسوغه لساني).[٦٨] وقد أجاد ابن رشيق في تصوير جرأته على الألفاظ وثقته الواضحة بمسلكه اللغوي بقوله: (أبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة، أو الشجاع الجريء يهم على ما يريده لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع[٦٩]). ولم يكن يعوز هذه الجرأة على الألفاظ إمعان النظر فيها والتأكد من سلامتها وخلوها مِمَّا يجعل شعره عرضة للنقد والتجريح؛ إذ إنَّ الشاعر كان حريصاً على تأييد العلماء أكثر من حرصه على ممدوحه.[٧٠]

إذا طرحنا بعض الألفاظ، التي أطلق عليها بعض النقاد كالحاتمي والصاحب بن عباد والثعالبي صفة الغريب وعدوها من العيوب كان الأولى بالشاعر أن يتجنبها،

---

[٦٥] الصبح المنبي ، يوسف البديعي ، ص ١٤٣.

[٦٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، .

[٦٧] الواضح في مشكلات شعر المتنبي الاصفهاني ، ص ١٦.

[٦٨] تصحيح ديوان المتنبي ، عبد الوهاب عزام ، ص ٤٠٦.

[٦٩] العمدة في نقد الشعر ، ا بن رشيق . ص ٤٥

[٧٠] الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، ص ٧٧ .

فإنَّنا نلاحظ أنَّ كثيراً منها لحقته هذه الصفة؛ لأنَّه لم يكن مألوفاً من شاعر متحضر عاش في القرن الرابع الهجري وفي بيئة ذات حضارة راقية كحلب ومصر، ومن ثم فقد عد استعماله لها من التفاصح والتعالم الذي عيب عليه، فنرى ابن عباد يقول: (ومن أظلم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة، حتَّى كأنَّه وليد خباء أو غذي لبن ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر.[٧١]) وجعله ابن رشيق متعمداً إظهار علمه باللغة وغريبها.[٧٢]

ولعل ما تعرفه الدارسة من إقرار العلماء بطول باع المتنبي في اللسان العربي وسعة اطلاعه على دقائقه مِمَّا لا يحوج الشاعر إلى تعمد إظهاره ليبهر هؤلاء العلماء، فترى الدارسة أنَّ الحكم الذي أصدره ابن عباد يفتقر إلى بعض الموضوعية كغيره من الأحكام التي حفلت بها رسالته. ويبدو أنَّ الثعالبي كان متأثراً بابن عباد إلى حد كبير فيما أصدر من أحكام بالإضافة إلى ما أورده من آراء ابن عباد نفسه، فرأيناه يصدر بعض الأحكام التي تتسم بالعموم، كقوله (لم اسمعه في شعر غيره) وغير ذلك من الأحكام التي يمكن أن تنسب إلى مرحلة متقدمة من تاريخ النقد العربي كالحكم بأمدح بيت وأهجاه.

تعرض الدارسة فيما يلي بعض الألفاظ التي عدَّت من الغريب في شعره:

١- جَفَّخَتْ وهم لاَ يَجْفَخُونَ بها بهم

شِيمٌ على الحَسبِ الأغَرَّ دلائِلُ[٧٣]

يرى ابن عباد أن المتنبي أورد لفظ جفخت ليدل على علمه بالغريب ولعل الشاعر قد استقى اللفظ من قول أحدهم:

أتوعدني بجفخ بني عمير   وقد أقحمت شاعر كل حي[٧٤]

---

[٧١] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، تحقيق: محمد حسن آل يس ، مطبعة المعارف، بغداد ، ١٩٦٥م ، ص ٤٨.

٧٢ العمدة في نقد الشعر ، بن رشيق القيرواني ، ص ٢٦٦.

[٧٣] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٢٥٨.

[٧٤] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، ص ٤٨.

وبرجوع الدارسة إلى الديوان وجدت البيت كما قال ابن وكيع مأخوذاً من قول حبيب الآتي:

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ

وَطِيبُ تُرابِ القَبرِ دَل عَلَى القَبرِ [٧٥]

٢- ومنها كلمة (يلل) التي ذكرها في قوله:

وَإلى حَصَى أرْضٍ أقَامَ بِها

بالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِها يَلَلْ [٧٦]

وقد وصف الثعالبي هذا اللفظ بالغرابة والندرة وأنَّه لا يسمعه في غير شعر الشاعر [٧٧]. والمعروف أنَّ اليلل قصر الأسنان والتصاقها على غار الفم، وقد يبدل على اليلل، ومنه وصف الرجل بأنَّه أيل.

٣- ومن هذه الألفاظ الحزائق بمعنى الجماعات في قوله:

هو البين حتى ما تأتي الحزائق

ويا قلب حتى أنت ممن أفارق [٧٨]

ولفظة الحزائق جمع من المنقول الصحيح، ومفردها: حزيق، وقد وردت في شعر العرب المحتج بهم: قال لبيد:

ورَقَاقِ عُصْبٍ ظُلْمَانُه

كحزيق الحبشيين الزُّجَلِ [٧٩]

فشاعرنا لم يسلك في بيته غير ما أثر عن العلماء والشعراء، ولعل وجود نظائر للفظ في الشعر يؤكد لنا أن ما أصدر النقاد على هذا البيت ونظيره من أحكام لم تأت بعد بحث واستقصاء لمدى صحة اللفظ وسلامة مصدره.

٤- وقوله:

أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطامِهِ

---

[٧٥] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٢٥٨.

[٧٦] المصدر نفسه، ص ٣٠٦، . (لسان العرب يلل) .

[٧٧] يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج/١ ، ص ١٣٤.

[٧٨] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢ ، ص ٣٤١.

[٧٩] ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت ١٩٦٢م، ص ١٧٤.

وَيأْكُلهُ قَبْلَ البُلوغِ إلى الأكْلِ[٨٠]

أوردَ الشاعر لفظ توراب، وهي لغة صحيحة في تراب كالتورب والتيرب والترباء إلى آخره وعلى الرغم من سلامة مصدرها فقد عابها عليه بعض النقاد، وعدوها من الألفاظ الجافية التي كان من الأولى أن يتجنبها[٨١]. ومن هذا الغريب استعماله الكيذبان والكذاب محل الكذاب والكذب، في قوله:

أأخفت العين عنده خبرا

أم بلـغ الكيذبـان ما أملـه

إن الكـذب الذي أكـاد بـه

أهـون عنـدي من الذي نقلـه[٨٢]

وقد أمدَّه حفظه للأشعار واختلاطه بالقبائل بطائفة من الصيغ واللهجات التي تكلمت بها العرب في أقوالها وأشعارها، فانسابت على لسانه مِمَّا جعله معرَّضاً لطعن الطاعنين وانتقاد الناقدين، وقد علل أحدهم ذلك بأنَّ كل شاعر من شعراء العرب نطق بلغته التي لا يعرف سواها أو استمرأ لسانه عليها فهذا هو ديدنه. أمَّا الشاعر الحضري الذي تعلم وتأدب وحفظ اللغات والأشعار، فإنَّ عليه أن يختار منها الأعرق؛ حتى لا ينصرف القارئ عن تذوق شعره ببحثه عمَّا غمض من ألفاظه.[٨٣]

ومن ذلك استخدامه للغات المختلفة للاسم الموصول (الذي) كقوله:

لو لم تكن من ذا الورى ألّذْ منك هو

عقمت بمولد نسلها حـواء[٨٤]

فقد استعمل (اللذ) بدلا من (الذي). وكذلك (اللّذّي) بتشديد الياء:

أهذا اللذيا بنت وردان بنتـه

هما الطالبان الرزق من شر مطلب[٨٥]

---

[٨٠] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٥٠.

[٨١] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب بن عباد ، ص ٤٩

[٨٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣، ص٣٧١ .

[٨٣] ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالفسر ، شرح: عثمان ابن جني ، ج/١ ،١٠٨.

[٨٤] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣١.

[٨٥] المصدر نفسه ، ص ٣٩

٥- وكان الشاعر يميل إلى إيراد بعض الجموع النادرة أو الغريبة ، من ذلك جمعه: أخ على : أخا ، في قوله:

كُلُّ آخائِـهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنْـ

يَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الكِرَامِ[٨٦]

فعلى الرغم من أنَّ هذا اللفظ من الصحيح الذي أثر عن العرب، وقد حكاه سيبويه عن يونس وورد في قول الشاعر:

وجدتم بنيكم دوننا إذ نسيتم

وأي بني الأخاء تبنو مناسبه[٨٧]

إلا أنَّنا رأينا من النقاد من أنكر على الشاعر أن يورد مثل هذا الجمع ومن هؤلاء ابن عباد.[٨٨] ومن النادر الذي ذكره: (أروض) في جمع أرض ، قال:

أُرُوضْ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ

وَأْرضُ أَبِي شُجاعٍ مِنْ أَمانِ [٨٩]

وهو قياس صحيح، ومن أقوالهم ما أكثر أروض بني فلان، وقد ندر سماع هذا الجمع؛ لامتناع العرب عن تكسير أرض استغناء بقولهم: أرضات وأرضون، فيما روى أبو الفتح ابن جني عن سيبويه.[٩٠]

٦- وقد نعى عليه بعض النقاد إيراده لبعض الجموع التي قلَّما تسمع في الشعر، فقد جمع: دنيا على دنا، نظير كبر في جمع: كبرى قال:

أعز مكان في الدنى سرج سابح

وخير جليس في الزمان كتاب[٩١]

تَتَقاصَرُ الأَفْهامُ عَنْ إدْرَاكِـهِ

---

[٨٦] المصدر نفسه ، ج/ ٣ ، ص ٣٧٨

[٨٧] لسان العرب (أخو)

[٨٨] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، ص ٥٤.

[٨٩] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤، ص ٢٥٨.

[٩٠] المصدر نفسه والصفحة.

[٩١] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/ ٢، ص ١٩٣.

مِثْلُ الَّذي الأَفْلاكُ فِيِه والدُّنا[92]

المبحث الثـالث: ثقافة المتنبي الدينيـة:

نتعرف في هذه الجزئية على ثقافة المتنبي الدينية، والتي نعتمد فيها على المهاد العقائدي الذي أثر في تكوين هذه الثقافة ووجه مسارها في مراحل حياة الشاعر المختلفة، ملميِّن بمكوِّنات هذه الثقافة من قرآن ومأثورات دينية يهودية ومسيحية وإسلامية، إلى جانب بعض الآراء المتصلة بديانات أخرى كالمجوسية. ويعتمد تكوين هذا المهاد – بطبيعة الحال– على عنصرين مهمين:

أوَّلاً: البيئة وظروفها التي عاش فيها الشاعر سواء في نشأته الأولى حيث كانت نفسه بكرا مهيئة لتقبل كثير من المذاهب والآراء، أو البيئات التي تنقل فيها الشاعر طوال حياته.

ثانيـاً: جوانب شخصية الشاعر، التي تبين مدى استعداده لتقبل المذاهب المختلفة والآراء المتباينة.

ولعلَّ أكثر البيئات تأثيراً في التوجيه المذهبي لشاعرنا هي بيئة الكوفة، حيث ولد الشاعر في أسرة شيعية،[93] وجهته توجيهاً دينياً خاصاً حين ألحقته بمدرسة أشراف العلويين[94]، فتلقى مبادئ دينية خاصة فرضها وضع هذه المدرسة. وقد تضافرت عوامل متعددة جعلت من الكوفة مدينة ذات سمات مذهبية خاصة؛ فقد سكنتها أجناس مختلفة من عرب وفرس وسريان، حملت معها رواسب دينية متعددة من مجوسية ويهودية ونصرانبية.[95]وقد كانت الكوفة معقل للتشيع؛ فهي مركز خلافة علي وشيعته وشيعة أولاده من بعده.[96] ومنها انبثقت المذاهب التي غزَّاها التشيع على مرَّ تاريخها. وقد عاصر المتنبي إحدى الحركات المنبثقة عن المذهب

---

[92] المصدر نفسه ، ج/٤، ص ٢٠١ .

[93] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ، ص ٢٠٤

[94] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الأصفهاني، ص ٦.

[95] حياة الشعر في الكوفة ، يوسف خليف، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨. ص ١٥٧.

[96] فجر الإسلام ، أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٢٦.

الإسماعيلي ممثلة في القرامطة، وما أن أهلَّ القرن الرابع حتى كانت مدينة الكوفة هدفاً لغارات القرامطة وهجماتهم المتكررة ما بين سنتي ٣١٥- ٣٥٣هـ[97].

وفي البادية اصطدم الشاعر ببيئة قرمطية؛ فقد استطاع زكرويه بن مهرويه – داعية القرامطة- أن ينشر دعوته في بادية السماوة[98] وبعض مدن الشام. ويتخذ له أنصاراً يدينون له بالولاء أبرزهم قبيلة كلب[99]. التي كانت من أشَّد القبائل حماساً لحركته، وقد عاش الشاعر زمناً في هذه القبيلة.

ننتقل مع الشاعر إلى بيئة الحمدانيين حيث قضى أكثر سنوات حياته أماناً واستقراراً.[100] لذلك رأينا للتشيع – باعتباره المذهب الرسمي للدولة-، بصماته الواضحة في أدبهم، وشغل التشيع جانباً واضحاً في دواوين الشعراء الذين التفوا حول الحمدانيين. لقد اعتمد الباحثون على الشِّعر الشيعي الذي أنشد في بلاط الحمدانيين؛ من أجل تحديد المذهب الذي انتمى إليه بنو حمدان، حيث ذهب إلى أنهم كانوا شيعة اثني عشرية[101]. وكان دليله على ذلك هذه الأبيات لأبي فراس:

شافعي أحمد النبي، ومولا
ي علي والبنت والسبطان
وعلي وباقر العلم والصا
دق ثم الأمين ذو التبيان
وعلي ومحمد بن علي
وعلي والعسكري والداني
والإمام المهدي في يوم لا ينـ
فع إلا غفران ذي الغفران[102]

---

[97] الكامل ، ابن الأثير، ج/٨ ، حوادث سنة ٣١٥.

[98] تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠م ص ٢١٤- ٢١٦.

[99] المصدر نفسه، ص ٢١٤.

[100] ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ج١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ٧٥.

[101] فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مصطفى الشكعة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص ٣٠١.

[102] ديوان أبي فراس الحمداني، ج/٢ ، ص ٤٢٩.

فقد كان ترتيب أئمة الشيعة في هذه الأبيات موافقاً لمذهب الشيعة الاثني عشرية، ولَمَّا كان أبو فراس ابن عم سيف الدولة وقد تربى على يديه، فقد عدَّ مذهبه مذهباً للدولة كلها. وعلى الرغم من أنَّ المتنبي كان شيعي المولد والنشأة، وكان يدين بالولاء لسيف الدولة الحمداني، وكان شعره معبِّراً عن آمال الممدوح وأمانيه ومهلِّلاً لانتصاراته، فإنَّ صوت الشعر الشيعي في ديوانه خافت. وقد أحس معاصروه بهذا الأمر فسأله بعضهم: لم لم تمدح عليّاً ؟ فقال:

وتركت مدحي للوصي تعمداً

إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وإذا استقل الشيء قام بذاته

وكذا ضياء الشمس يذهب باطلا [١٠٣]

تبدو ضآلة هذا الجانب في شعر المتنبي واضحة إذا قارنا بينه وبين أحد الشعراء الذين عاصرهم في بلاط سيف الدولة؛ كأبي فراس الذي عقد للشعر الشيعي قصائد طويلة. وإذا استعرضنا بعض شعره الذي نلمس فيه سمة تشيع نرى منه أبياتاً متناثرة في مدح آل البيت دعت إليها المناسبة، مثل ما ورد في مدحه لطاهر بن الحسين العلوي فقال:

الطيب مِمَّا غنيت عنه

كفى بقرب الأمير طيبا

يبني به ربنا المعالي

كما بكم يغفر الذنوبا [١٠٤]

هذا الشعر يثبت لنا اتصال المتنبي بالقرامطة الذين اتصل بهم في الكوفة التي تعرضت لهجماتهم. وقد وجد بعض الباحثين في سمات شخصية المتنبي دعماً لما ذهبوا إليه من دعوى قرمطيته. وكان في ميل الشاعر إلى الشِّدة والعنف – الذي يبدو واضحاً في شعره – دليل على تأثره بالعنف الذي تميزت به الحركة

[١٠٣] ديوان المتنبي. شرح الواحدي ، ص ٨٥٦.

[١٠٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ١٤٦.

القرمطية[105]. كما تملكت الشاعر نزعة قوية إلى السيادة والحكم، يغلب على الظن أنَّها كانت سبب سجنه في كلب ودافعاً وراء رحلته إلى كافور الإخشيدي نرى لها صدى في قوله:

وَغَيرُ كَثْيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ

فَيَرْجِعُ مَلَكْاً للعراقيين واليا[106]

قد تنبه بعض القدماء إلى هذه السمة فقال الثعالبي: (وما زال في برد صباه إلى أنَّ أخلق برد شبابه، يدور حب الولاية والرئاسة في رأسه. ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان، والاستظهار بالشجعان، والاستيلاء على بعض الأطراف).[107]

لم يفت المتنبي أن يشير إلى تضليل القرامطة للنَّاس بادِّعائهم العلم بالغيب وتلقي الروح، فهم حاربوا على النوق؛ لأنَّهم أمروا بألا يركبوا فرساً[108]. وقد ذكر المتنبي القرامطة مرَّة أخرى في قصيدته التي مطلعها:

ضَيْفٌ ألَمَّ برَأْسِي غَيرَ مُحْتَشِمِ

وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بالِّلمَمِ[109]

نجد المتنبي يُعرِّض بالقرامطة في شعره ذاكراً ما أسخط جمهور المسلمين عليهم ودعوتهم ممَّثلاً في التصرف في الفرائض. وما ارتكبه القرامطة من اعتداء على الحجاج وسفك دمائهم. ومهما كان من أمر عقيدته ومذهبه، فإن شعره يكشف عن سماع بالقرامطة، واتصال بهم ومعرفة ببعض أقوالهم واتصال بهم وتسجيل لها.

أشار المتنبي في شعره إلى بعض المعتقدات التي عرفها العرب، أو من اتصل بهم من الأمم كالفرس والهنود؛ منها ديانة الصائبة وهي إحدى الديانات التي عرفها العرب قبل الإسلام. وقيل إنها انتشرت بوجه خاص بين عرب الجنوب.[110] إذ

---

[105] مع المتنبي ، طه حسين ، ص ٤٣.

[106] ديوان المتنبي، شرح للعكبري ، ج/٤ ، ص ٢٩٠.

[107] يتيمة الدهر، الثعالبي ، ج/١ ، ص ٩٣.

[108] ديوان المتنبي ، شرح الواحدي ، ص ٤٠٠.

[109] انظر صفحة ٦٢ من هذا البحث .

[110] محاضرات في الفلسفة الإسلامية ، يحي هويدي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥م ، ص ٤٤.

كان منهم صائبة مشركون عبدة للكواكب والنجوم. وقد أشار إليهم القرآن بقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[١١١]. أشار المتنبي إلى خلود النجوم في معتقدهم قائلاً:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالدُ

وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فيها التَّوَاكِلُ[١١٢]

وقد ذكر عبادة المجوس للنار عدة مرات في شعره . من ذلك:

أَوْ كانَ لِلنِّيرَانِ ضَوْءُ جَبِينِه

عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالِمُونَ مَجُوسَا[١١٣]

فقد قدم الشاعر فكرته في إطار صورة استقاها من عبادة المجوس للنار، واستعان بها في المبالغة في وصف الممدوح بإشراق الجبين ولو كان للنيران ضياء هذا الجبين، لاستطاع المجوس أن يحولوا العالمين جميعاً إلى عبدة للنار. وقد كان هذا القول من سلسلة أبيات ذكر فيها عدداً من مأثوراته الدينية (موسى– عيسى – ذو القرنين– المجوس).

ذكر المتنبي في إحدى مدائحه لكافور المانوية إحدى ملل الفرس التي تؤمن بالسنوية أو القول بإلهين أحدهما للنور والآخر للظلمة. وقد جعلوا النُّور رمزاً للخير وحملوا الظلمة الشرور والآثام.[١١٤]

في هذه القصيدة تحدث الشاعر عن مسيره من حلب إلى مصر، فوصف الطريق التي سلكها، وذكر تستره بالليل خوفاً من عيون أعدائه حتى تمكن من الخروج إلى مصر، وهنا تداعى إلى خيال الشاعر رأي في الليل ضد لما ذكر، وهو

---

[١١١] سورة فصلت، الآية ٣٧.

[١١٢] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ١١٩.

[١١٣] المصدر نفسه ، ج/١ ، ص ١٩٩.

[١١٤] الملل والنحل الشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز محمد ، مؤسسة الحلبي، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ج/٢ ، ص ٤٩.

قول المانوية بأنَّ الليل مصدر الشُرور، فصدر به حديثا مدللاً على كذب مزاعم هؤلاء. قال الشاعر:

عشية أحفى الناس بي من جفوته
وأهدى الطريقين التي أتجنب

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر أن المانوية تكذب

وقاك ردى الأعداء تسري عليهم
وزارك فيه ذو الدلال المحجب[١١٥]

وقد ذكر الاصفهاني أنَّ الشاعر أشار إلى مذهب القائلين بالتناسخ[١١٦] في قوله:

تَمَتَّعْ مِنْ سُهادٍ أوْ رُقادٍ
وَلاَ تَأْمُلْ كَرَىً تَحْتَ الرِّجامِ

فَإنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنىً
سِوَى مَعْنَى انْتِباهِكَ وَالْمَنامِ[١١٧]

والتناسخ من الديانات الهندية القديمة التي تقضي بانتقال الأرواح من جسد لآخر، وأنَّ ما يلقاه المرء في حياته مترتب على ما أسلفته الروح وهي في جسد آخر.[١١٨] وقد قصد الشاعر بثالث الحالين الموت الذي هو غير النوم واليقظة.[١١٩] وقد لمح ابن جني إلى ما يحتمله قول الشاعر (ولا تأمل كرى تحت الرجام) من إنكار للبعث بعد الموت بذكر نومة القبر التي لا انتباه بعدها[١٢٠]. ولعلَّ قول ابن جني محاولة لتبرئة الشاعر مِمَّا ينسب إليه من إيمان بعقيدة التناسخ التي تكفر بالقيامة؛ لاعتقادها بأن العقاب يكون في الدُّنيا في الأجساد التي تنتقل فيها الروح.

---

[١١٥] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١، ص ١٧٩.

[١١٦] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الاصفهاني ، ص ٨.

[١١٧] ديوان المتنبي، شرح العكبري ،ج/٤ ، ص ١٤٩.

١١٨ الملل والنحل، الشهرستاني ، ج/٢ ، ص ٥٨.

١١٩ انظر ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤوطي ، ص ١٥٦.

[١٢٠] الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، ابن جني ، تحقيق: محمد غياض، سلسلة كتب التراث، مطبعة الجمهورية ، بغداد ١٩٧٣م ، ص ١٦٠.

تأثر أبو الطيب المتنبي بالقرآن تأثراً واضحاً في شعره. وقد تضافرت عوامل متعددة وجهته لدراسة القرآن والتراث الديني الإسلامي؛ فنشأة الشاعر الدينية بالكوفة هيَّأت له علاقة مبكرة بكتاب الله، وطبيعة تكوينه الفكري كشاعر وهب نفسه لفن النظم، وجهته لتمثل أرقى نمط بلاغي في الأساليب العربية. وقد كان اهتمامه بالنحو واللغة العربية دافعاً لحفظ أجزاء كبيرة من القرآن، كان الشاعر يستند عليها في المناقشات التي دارت بينه وبين من ناظروه في كثير من مسائل النحو واللغة.

لم يفت المتنبي أن يستوحي القصص الديني في شعره، وكثير من شعره يؤكد ذلك، فعلى سبيل المثال نجده يستوحي قصة نوح والطوفان في تصوير كرم ممدوحه إذ يقول:

لَوْ كُنْتَ بَحْراً لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ

أوْ كُنْتَ غَيْثاً ضَاقَ عَنْكَ الُّلوحُ

وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلاَدِ وَأهْلِهَا

مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوْحِ نُوحُ[١٢١]

شبه المتنبي ممدوحه في البيت الأوَّل بالغيث والبحر سيراً على الأنماط المألوفة في المدح، وقد جعل المشبه يفوق المشبه به في العطاء، الذي لا ساحل له وقد ضاق عنه الفضاء. فكان خوف الشاعر على البلاد من الطوفان وقد كان إنذار نوح لقومه وليد السياق، إذ كنَّى به الشاعر عن الطوفان الذي ورد في قوله تعالى: (أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).[١٢٢] فنقل الصورة من العذاب إلى الكرم.

استوحى الشاعر أيضاً قصة يعقوب وقميص يوسف؛ لكي يعطي صورة لكرم كافور الذي لا يرد سائلاً يقصده؛ لأنَّ سؤال طالبي نعمه يجلب الفرح الغامر إلى قلبه، كفرحة يعقوب بقميص يوسف. فيقول:

كَأَنَّ كُلَّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ

قَميصُ يوسُفَ في أَجفانِ يَعقوبِ [١٢٣]

---

[١٢١] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٢٥٤.

[١٢٢] سورة نوح الآية (١).

[١٢٣] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣٤٧.

وفي هذا البيت يعرض في مدحه لكافور الإخشيدي لقصة قميص يوسف ويوضح في الوقت نفسه ما يضمره من احتقار لكافور ولكنَّه لم يلمح تلميحاً خفيَّاً إلى أنَّ كافور لم يكن ممن اعتاد الملك والقصاد من الشعراء وغيرهم فيقول:

إذا غَزَتهُ أَعاديهِ بِمَسئَلَةٍ

فَقَد غَزَتهُ بِجَيشٍ غَيرِ مَغلوبِ [١٢٤]

فقدوم هؤلاء على كافور يحمل روح المفاجأة التي حملها قميص يوسف لأبيه. وفيه يفخر المتنبي بنفسه؛ إذ هو أحد السائلين الذين كان لزيارتهم لكافور صدى عميق أشبه بالفرحة التي غمرت قلب يعقوب. ومن القصص التي ذكرها في شعره قصة ذي القرنين، الذي يمثل شخصية حظيت بإرادة صلبة. إلى جانب ما زودت به من عطاء إلهي . قال تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا). [١٢٥] واستطاع بذلك أن يطوي الأرض حتى بلغ أرض الظلمات وان يبني سدَّاً منيعاً حال بين المؤمنين وبين من أفسدوا من قوم ياجوج وماجوج، وقد استمد المتنبي صورة السد من هذه القصة إذ يقول:

كَأَنّي دَّحْوتُ الأَرْضَ مِنْ خِبرتي بِها

كأني بَني الإسكندَرُ السَّدَّ من عزْمي[١٢٦]

وقد شغلت المأثورات المسيحية جانباً واضحاً في الصور التي استقاها الشاعر من القرآن، ولعل الحروب المستمرة بين سيف الدولة والدولة البيزنطية قد أثارت في خيال الشاعر كثيراً من آرائها. وقد تطرق في شعره إلى دعوة المسيح لبني إسرائيل وادعاء المسيحية لبنوة المسيح لله، وحديث صلب المسيح. ثم معجزات عيسى؛ كشفاء المرضى وإحياء الموتى. ومن ذلك قوله:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا

كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ [١٢٧]

---

٣ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣٤٧.

[١٢٥] سورة الكهف الآية (٨٤)

[١٢٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٥٢.

[١٢٧] انظر صفحة ٣٩ من هذا البحث .

يقدم لنا الشاعر في هذا البيت صورة الاغتراب الذي أحس به الشاعر في أرض نخلة. ويشبهه بصورة المسيح بين اليهود. ويؤيد ذلك تقديم الشاعر لصورة مماثلة في البيت الذي تلاه قائلاً:

أَنا في أُمَّـةٍ تَدارَكَهـا اللَـ

ـهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ[128]

ويتضمن البيت الإشارة إلى ما لحقه من أذى مثل ما أوذي المسيح ويتفق ذلك مع ما نقله المؤرخون من أخبار سجنه وتعذيبه. والذي يتتبع ديوان أبي الطيب المتنبي يجد نماذج عديدة تأثر فيها بالقصص القرآني.

يعد الفقه من آثار الثقافة الدينية التي ظهرت في شعر المتنبي في نواح مختلفة من ديوانه؛ حيث اتخذ الشاعر من شعره معرضاً لبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدود والمواريث وغيرها من الأحكام. وأدار في قصائده بعض المصطلحات التي تداولها الفقهاء والقضاة. ومن أوائل شعره الذي ظهر فيه هذا الأثر الفقهي قوله في سجنه:

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجوبَ الحُدودِ

وَحَدّي قُبَيلَ وُجوبِ السُجودِ [129]

فقد أشار الشاعر إلى أنَّه لم يصل سن البالغ الذي يجب عليه الحد؛ إذ مازال دون سن السجود وقد كان ذلك محاولة لنفي التهمة عنه بتصغير نفسه أمام المحاكم. واستطرد إلى التفريق بين إرادة الفعل والفعل نفسه، إذ لا يعاقب ناوي الحرام حتى يرتكب الإثم بالوقوع فيه وذلك في قوله:

وَكُن فارِقاً بَينَ دَعوى أَرَدتُ

وَدَعوى فَعَلتُ بِشأوٍ بَعيدِ [130]

فَلا تَسمَعَنَّ مِنَ الكاشِحينَ

وَلا تَعبأَنَّ بِمَحكِ اليَهودِ [131]

---

[128] انظر صفحة ٣٨.

[129] انظر صفحة ٣٨ من هذا البحث.

[130] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/١ ص ٣٤٧.

وتعرض في القصيدة نفسها للشروط التي يجب توافرها في الشهادة حتى يقبلها أولو الأمر فقال:

فَما لَكَ تَقبَلُ زورَ الكَلامِ

وَقَدرُ الشَهادَةِ قَدرُ الشُهودِ [132]

فأشار بذلك إلى بطلان الحكم عليه بالسجن؛ إذ إنَّ من شهد ضده لم تتوافر فيه شروط الشاهد العدل، إذ هو عدو مبغض للشاعر ومن ثم فشهادته زور لا يؤخذ بها.

وقد تكون شخصية الممدوح واتصالها ببيئة الفقهاء أو القضاة دافعاً يقود الشاعر إلى إضفاء مسحة فقهية على صوره وألفاظه. نلمح ذلك في قصيدة مدح بها القاضي الأنطاكي قال فيها:

أَلقى الكِرامُ الأُلى بادوا مَكارِمُهُم

عَلى الخَصيبِيِّ عِندَ الفَرضِ وَالسُنَنِ

فهن في الحجر منه كلما عرضت

له اليتامى يدا بالمجد والمنن[133]

فقد ورث هذا القاضي المكارم التي خلَّفها الرَّاحلون الكرام، فهي تحت تصرفه يتكفل أمرها شأنها في ذلك شأن من يتولى أمرهم من اليتامى. وقد قادته شخصية القاضي الذي يمدحه إلى جعل المكارم في صورة الأيتام بإيقاعها تحت الحجر، وكانت هذه الصورة وراء ذكره للفرض والسنن في البيت الأوَّل ليمهد لذكر اليتامى في البيت الثاني. وهكذا جمع الشاعر في البيتين بعض الألفاظ التي اتصلت ببيئة الفقهاء نحو (الفرض– السنن – اليتامى – الحجر).

ونرى مثل ذلك في مدحه للقاضي أبي الفرج أحمد بن الحسين المالكي:

أقاضينا هذا الذي أنت أهله

غلطت ولا الثلثان هذا ولا النصف

وذنبي تقصيري وما جئت مادحاً

---

[131] المصدر نفسه والصفحة

[132] انظر صفحة ٣٧ من هذا البحث

[133] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٢٠٤.

بذنبي ولكن جئت اسأل أن تعفو [١٣٤]

حيث استمد الشاعر بعض الألفاظ التي ترد في أحكام المواريث. مِمَّا أضفى على البيت هذا القالب الحسابي. ومثل هذه الألفاظ المتعلقة بقوانين المواريث والوقف قوله في مدح محمد بن زريق الطرسوسي:

لَو جادَتِ الدُنيا فَدَتكَ بِأَهلِها

أَو جاهَدَت كُتِبَت عَلَيكَ حَبيسا [١٣٥]

ومن هذه الإشارات جعله سخاء سيف الدولة بمنزلة اعتقاده بدين الإسلام، فهو لا يحيد عن كرمه كأنَّه يخاف عاقبة الارتداد عن الدين من القتل ودخول النار فيقول:

كَأَنَّ سَخاءَكَ الإِسلامُ تَخشى

إِذا ما حَلتَ عاقِبَةَ اِرتِدادِ [١٣٦]

وبرجوعنا إلى شعره نجد كثيراً من الإشارات الفقهية التي تؤكد امتثاله للموروث الفقهي، والتي من خلالها يظهر تأثره بثقافة عصره الدينية.

ترى الدراسة أنَّ المتنبي قد تأثر أيضاً بالجانب الصوفي؛ لأنَّه عاصر فترة مزدهرة من تاريخ التصوف الإسلامي أوائل القرن الرابع الهجري حيث انتشرت الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي، وانتظموا طوائف وجماعات وأصبح لهم مريدون وأنصار.[١٣٧] واستطاع كثير منهم التعبير عن تأملاتهم في أشعارهم التي تعد من دواعي ازدهار التَّصوف وانتشاره. وإلى جانب هؤلاء الصوفية الذين قصروا أشعارهم عن التصوف وموضاعاته، ظهر أثر التصوف في شعر بعض الشعراء ممن يميلون إليه أو ممن أعجبتهم أساليبهم، وظهر أثر ذلك في إنتاجهم الشعري.[١٣٨]

---

[١٣٤] المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٢٩٠ .

[١٣٥] المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٠٢.

[١٣٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣٥٩.

[١٣٧] الحياة الروحية في الإسلام ، محمد مصطفى حلمي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٥م ص ١٠٨.

١٣٨ تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، ترجمة صادق نشأت ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢ ص ٥٣٣ وما بعدها.

ولعلَّ الصوفية من أبرز الجماعات التي تحدث المؤرخون والنقاد عن أثرها في شعر المتنبي، وخص سعد بن محمد الأزدي (ت ٣٨٠هـ) بالذكر طائفة من متصوفة الشام، أطلق عليهم اسم عين الجمع.[١٣٩] وقد عزز حديث الشراح والنقاد عن امتثال المتنبي لأساليب المتصوفة هذا الرأي إلى حد كبير. وهنالك جماعة من النقاد تحدثوا عن وجود هذه الظاهرة في شعره منهم: الحاتمي، والصاحب ابن عبَّاد، والثعالبي الذي خصص فصلاً في اليتيمة للحديث عن امتثال الشاعر لأساليب المتصوفة، كما أشار إلى ذلك ابن وكيع التنيسي والعميدي.

لقد كان حديث النقاد عن هذا الأثر الثقافي في شعر المتنبي، في إطار العيوب التي رأوا فيها خروجاً عن عمود الشعر وتقاليده الموروثة، والنماذج التي دللوا بها على ذلك تندرج في ظاهرتين:

أوَّلاً: امتثال الشاعر للصوفية وذلك من خلال الأسلوب الرمزي الذي عرفوا به للتعبير عن أفكارهم التي لا تستوعبها اللغة، أو بخلاً بها على غير خاصتهم أو خشية ما يلحقهم من أذى رجال الدين والفقهاء الذين وجدوا في بعض آرائهم – خاصة ما تأثروا فيه بالفلسفة – خروجاً على الدين، فكان الرمز وسيلتهم في التعبير؛ مِمَّا أكسب أشعارهم طابعاً مميزاً. واعتمدوا على عدد من المصطلحات الخاصة بهم في التعبير عن أنفسهم[١٤٠]. وقد اقتبس الشاعر بعض المصطلحات، ولعل صحبته لهذه الطائفة قد جرت ألفاظها على لسانه.

ثانياً: إلى جانب مصطلحات التصوف وإشاراته فقد ألحق غموض الفكرة في شعر الصوفية بأشعارهم بعض السمات الخاصة نحو الإكثار من الأدوات.

عندما نتأمل شعر المتنبي نجد بعض سمات الصوفية إذا ما قورنت ببعض شعر المتصوفة نحو الحلاج، والجنيد، والشبلي وغيرهم، نجد أنَّ هذا المنحى الصوفي يبدو واضحا إلى حد كبير في شعره. وتشير الدراسة إلى بعض النماذج التي تؤكد صحة ما ذهبت إليه. وإذا استعرضنا شعر المتنبي نجده مليئاً ببعض المصطلحات الصوفية

---

[١٣٩] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، ص ٢٩٢.

[١٤٠] انظر الحياة الروحية في الإسلام ، محمد مصطفى حلمي ، ص ٥٨.

كمصطلح الكشف والوقت. والكشف في اللغة رفع الحجاب[١٤١]. فقد مدح المتنبي القاضي المالكي بأنَّه لا نظير له فقد طال بحثه عن مثل له يقرنه به فلم يجد وطال الفقد وبطل الكشف (أي زال) لأنه يئس من العثور على ضالته فيقول:

وَلَمَّا فَقَدنا مِثلَهُ دامَ كَشفُنا

عَلَيهِ فَدامَ الفَقدُ وَانكَشَفَ الكَشفُ [١٤٢]

أمَّا الكشف في المصطلح فهو البحث عن (الحقيقة المدركة من عالم الغيب؛ كالصفات الربانية والعرش، والكرسي، والملائكة، والوحي، والنبوة، والروح).[١٤٣] ولَّمَّا كانت شخصية الممدوح ذات صفات متميزة حارت الأوهام فيها كما يقول الشاعر. إنَّ هذا اللفظ الصوفي قد أضفى ظلالاً صوفية على صورة الممدوح، تتناسب مع سمو المعاني التي رمز إليها الصوفية إلى بحثهم عنها بالكشف. ولعلَّ هذا هو الأمر الذي وضع شراح هذا البيت في الحيرة. إذ يقول الواحدي: (لو حكيت تخبط الناس في هذا البيت وأقوالهم المرذولة والروايات الفاسدة طال الخطب)[١٤٤] ومن المصطلحات التي وجدها النقاد في شعر المتنبي مصطلح القرب والبعد والذي قال فيه:

أَلَم يَكُ بَينَنا بَلَدٌ بَعيدٌ

فَصَيَّرَ طولَهُ عَرضَ النِجادِ [١٤٥]

لعلَّ أوَّل ما يتبادر إلى ذهن القارئ هو غرابة الصورة التي قدم بها الشاعر المعنى الذي أراده؛ وهو أن المسير قد قربه إلى الممدوح بقدر ما كان من البعد. فيواصل الشاعر قائلاً:

وَأَبعَدَ بُعدَنا بُعدَ التَداني

وَقَرَّبَ قُربَنا قُربَ البِعادِ.[١٤٦]

---

[١٤١] التعريفات للجرجاني، ليتزيج ، ١٩٨٥م ، ص ٨٠.

[١٤٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/ ، ص ٢٨٧.

[١٤٣] الحياة الروحية في الإسلام ، مصطفى حلمي ، ص ١٣٥.

[١٤٤] ديوان المتنبي ، شرح الواحدي ، ص ١٦٩،

[١٤٥] ديوان المتنبي، شرح للعكبري ، ج/١ ، ص ٣٥٨..

[١٤٦] المصدر نفسه والصفحة

فصار الممدوح على غاية من القرب منه بعد أن كان بعيداً عنه. وأغلب الظن أنَّ سيطرة المصطلح الصوفي على ذهن الشاعر، هي التي ساقته إلى تكرار لفظي (القرب والبعد)، وجمع اللفظ وضده في تركيب جملتين متماثلتين، مِمَّا أضفى على البيت غموضاً حمل ابن وكيع على القول بأنَّه يشبه كلام أهل الباطن. وقد استمد المتنبي من القرآن إحدى الآيات التي اعتمد عليها الصوفية في مبحثهم عن القرب[١٤٧]. في قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[١٤٨]. فقال:

دَعَوتُكَ عِندَ اِنقِطاعِ الرَجا

ءِ وَالمَوتُ مِنّي كَحَبلِ الوَريدِ [١٤٩]

ولقد استخدم الشاعر مصطلحات صوفية كثيرة منها الحجاب والوقت والحال واليقين وغيرها مِمَّا لا يسعنا المجال لذكرها والوقوف عندها في مثل هذه الدراسة. والذي يهمنا أنَّ الدارسة بالفعل قد وقفت على بعض من المصطلحات الصوفية التي يبدو أثرها واضحاً في شعر المتنبي، ولعلَّ هذه الملامح الصوفية جعلت الغموض يحوم حول أبياته.

---

[١٤٧] تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، ص ٤٥٩.

[١٤٨] سورة ق الآية . ١٦.

[١٤٩] انظر صفحة ٣٧ من هذا البحث.

المبحث الرابع : الفلسفة وأثرها في شعر المتنبي:

الفلسفة من المؤثرات المعروفة التي تركت بصمات واضحة في شعر المتنبي، حيث تضافرت عوامل متعددة هيأت للمتنبي ثمار الفلسفة التي نضجت في القرن الرابع الهجري منذ نشأته الأولى بمدينة الكوفة، فذخرت المساجد بألوان الجدل بين مختلف الفرق الإسلامية التي استعانت في تقديم فكرها باسانيد فلسفية، مستمدة من الفلسفة اليونانية التي كانت مؤلفاتها المنقولة إلى العربية وما نشأ حولها من دراسات على يد أعلام الفلسفة الإسلامية كالكندي والفارابي في متناول الدارسين.

يمكننا القول إنَّ الشاعر قد اتصل في الكوفة ببعض الأوساط المعنية بالفلسفة؛ فقد حكى الأصفهاني أنَّه وقع في صباه إلى أحد المتفلسفة[١٥٠]. وقد التقى الشاعر بأحد أعلام الفلسفة الإسلامية البارزين؛ أبي نصر الفارابي، الذي عاش في كنف سيف الدولة الحمداني، في فترة استقرار الشاعر بحلب[١٥١]. ولعل ظهور مثل هذه الشخصية في بلاط حلب قد أضفى على مجالسها شيئاً من ألوان الجدل الفلسفي، ولم يصلنا شيء من هذه المجالس، ولكننا نرى نموذجاً مشابهاً لها في كتاب المقابسات وكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي حيث شغلت مسائل الفلسفة جانباً واضحاً منهما.

لا يفوت الدارسة أن تلتفت إلى العلاقة التي قامت بين الفارابي وأبي الطيب المتنبي بالرغم من ابتعاد الفارابي عن حياة القصر ومجالسه؛ لتفرغه للتأليف في الرياض التي قصدها ليخلو إلى تأملاته[١٥٢]. والمعروف أنَّ مجالس الأمير الحمداني لم تغن كثيراً بحضور هذا الفيلسوف. وإن كان عدم وجوده بالمجالس لا يمنع رواد الفلسفة وقراءها من الاستفادة من نتاج مؤلفاته التي تم وضعها قبل قدومه إلى حلب.[١٥٣]

---

[١٥٠] الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، الأصفهاني ، ص ١٣٧

[١٥١] وفيات الأعيان، ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٢٤١.

[١٥٢] المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

[١٥٣] وفيات الأعيان، ابن خلكان ، ص ٢٢٩.

وعلى الرغم من فارق السن الذي فصل بين الشاعر والفيلسوف. واختلاف الهدف الذي قاد كلاً منهما إلى حلب. جمعت بين الشخصيتين بعض الجوانب التي قد تسمح بتصور قيام صلة بينهما؛ إذ إنَّ الفارابي كان ممن أولوا علوم اللغة والنحو اهتماماً واضحاً.[١٥٤] واتجه الفارابي لدراسة الشعر بتأثير أرسطو وكتابه في فن الشعر، شأنه في ذلك شأن غيره من الفلاسفة الذين نظروا إلى الشعر كقسم من أقسام المنطق الارسطي وذلك في رسالته في قوانين صناعة الشعر(التي درس فيها الشعر اليوناني، وما وجده في الأقاويل المنسوبة إلى أرسطو في صناعة الشعر وغيره من القدماء المفسرين لكتبهم[١٥٥]. وللفارابي كتب كثيرة منها (جوامع الشعر) و(إحصاء العلوم).

قد شغل الحديث عن صلة المتنبي بالفلسفة جانباً من المؤلفات التي درست فن المتنبي في القرن الرابع وما تلاه؛ نرى ذلك في جهود أبي القاسم الاصفهاني الذي أورد بعض الأشعار التي رأى فيها أثراً فلسفياً، وأبي علي الحاتمي الذي وضع رسالة في البحث عما وافق به الشاعر أقوال فيلسوف اليونان أرسطو طاليس، والثعالبي الذي جمع بعض آراء الفلسفة في فصل مآخذ الشاعر وعيوبه. وكذلك لم تخل شروح الديوان من مثل هذه الإشارات التي أوردها هؤلاء النقاد وغيرهم.

اتجه بعض النقاد إلى إهمال أو تجاهل الأثر الذي أحدثته الثقافة الفلسفية في شعر المتنبي، وعلى رأس هذه الطائفة ابن الأثير الذي نفى أثر الفلسفة على طائفة من الشعراء والكتاب، عد منهم المتنبي، إذ إنَّ هؤلاء– فيما يرى– لم يطلعوا على شيء من علوم اليونان[١٥٦]. وقد سار بعض الباحثين كأحمد أمين وشكيب أرسلان وطه عبد الفتاح في ركاب ابن الأثير. ودلل أحمد أمين على وجهة نظره بأنَّ الشاعر اقتصر في بنائه الثقافي على الثقافة العربية، فهو بعيد كل البعد عن الفلسفة

---

[١٥٤] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٣٩.

[١٥٥] رسالة في قوانين صناعة الشعر ضمن فن الشعر لأرسطو: تحقيق عبد الرحمن بدوي ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٣ ص ١٤٩.

[١٥٦] المثل السائر ابن الأثير، بولاق ١٢٨٢هـ، ص ١٨٦.

ورجالها.[١٥٧] وترى الدراسة أنَّ هذه الآراء بعيدة عن الموضوعية؛ إذ إنَّها تجاهلت التيار العارم من الثقافة الفلسفية الذي غمر البيئات العربية، وترك آثاراً واضحة على الفكر العربي. وكأنَّ هؤلاء – في رأي الدراسة – قد عزلوا الشاعر عن ثقافة عصره، وهو الشاعر الذي عرف بولعه الشديد للقراءة والمعرفة، فإنَّ وجود أثار هذه الثقافة في شعره يعد دليلاً على أنَّه نال شيئاً من الفلسفة بالقراءة أو بعدمها.

تعد الرسالة التي ألفها الحاتمي من أكبر الآثار التي وصلتنا عن ثقافة الشاعر الفلسفية من النقاد المعاصرين للشاعر؛ إذ أفرد لها الحاتمي مؤلفاً خاصا ذكر فيها مائة بيت من شعر المتنبي، ومائة من حكم أرسطو، التي ذكر أنَّ الشاعر قد اقتبسها في شعره. وتكشف هذه الرسالة عن مدى انتشار أقوال حكماء اليونان في أوساط غير الفلاسفة من اللغويين والأدباء. ويؤيد وجهة النظر هذه ما ورد في الإمتاع والمؤانسة وغيره من أقوال بعض حكماء اليونان[١٥٨] غير أرسطو مثلاً؛ ذيوجانس، وفيثاغورس، وسقراط، وأميروس، وانكساغورس، وأسطفاس، وطيماتاوس، وطيماتاوس، ومقاربوس، وزيموس، واسفلييوس، وثيودوروس مِمَّا يزيل عن ذهن الباحث بعض ما يراوده من شك.اختيار الحاتمي يؤكد الانتشار الواسع الذي صادفته فلسفة أرسطو ومؤلفاته لدى فلاسفة الإسلام برأي الدراسة. ومن ناحية أخرى ترى الدراسة أنَّ الأمر محاولةٌ من الحاتمي بتوجيه الأنظار إلى معتقد الشاعر وتغذية الاتجاه العام الذي كان يحاول النيل منه ووسمه بضعف العقيدة. وقد يعزز فرض الدراسة حديث أبي القاسم الأصفهاني الذي ربط بين ميل الشاعر إلى الفلسفة ووسمه بالضلال، عند ذكره لأبي الفضل – المتفلسف الذي لقيه المتنبي بالكوفة– وتذييله لبعض أبيات المتنبي التي لمح فيها روحاً فلسفية، بقوله: (إنَّ الإنسان إذا خلع ريقة الإسلام من عمره وأسلمه الله جلَّ جلاله إلى حوله وقوته، وجد في الضلالات مجالاً واسعاً، وفي البدع والجهالات مناديح وفسحاً)[١٥٩].

---

[١٥٧] هل كان المتنبي فيلسوفاً ؟ أحمد أمين ، مجلة الهلال ، مجلد ١٩٣٥ ، ص ١٣٤.

[١٥٨] الامتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة بيروت، د ت ج١ ، ص ٢٢ ، ٥٢، ٦٣.

[١٥٩] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الأصفهاني ، ص ٨ .

وإذا قرأنا الرسالة الحاتمية – مع ما نعرفه من روح العداء والتحامل الواضح التي اتسم بها نقد الحاتمي للمتنبي– بحديث الثعالبي عن الفلسفة كأحد عيوب شعره، فإن الدارسة تخلص من ذلك كلِّه إلى تصور روح العصر في صلة الشعر بالفلسفة، كما ترى أنَّ حكم الثعالبي على الفلسفة بوصفها أحد مساوئ الشاعر يقودنا إلى هدف الحاتمي من وضع رسالته. وتعرض الدارسة أيضاً إشادة الحاتمي بالشاعر وتعظيمه للأقوال الحكمية التي جاء بها وذلك في قوله (أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعاني منطقية، فإن كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة. وهو في الحالتين على غاية من الفضل، وسبيل نهاية من النبل)[١٦٠].

درس النقاد – من بعد الحاتمي وإلى يومنا هذا– هذه الحكم التي تكشف لنا عن ثقافة المتنبي الفلسفية العميقة والتي تؤهله لهذا النقد الذي تصدى له تصدي العارف المثقف، وربما اعترض على محفوظه فيما ذكر من حكم. ومن الذين تناولوا هذه الثقافة عبد الرحمن شعيب والذي أثبت صحة نسبة هذه الحكم لأرسطو. وقد حاول إحسان عباس أيضاً إثبات صحة نسبة هذه الحكم بردها إلى مظانها. وقد توصل مندور من تتبعه لأشعار المتنبي وحكم أرسطو إلى أنَّ الحاتمي قد افتعل كثيراً مِمَّا رآه اتفاقاً بين الأبيات والحكم، وذهب إلى أنَّ الشاعر – وإن وافق في بعض أقواله حكم أرسطو– فإنَّ هذا الاتفاق في الغالب وليد المصادفة. ويؤيد ذلك قرب معاني هذه الأبيات وصياغتها العربية التي يراها بعيدة عن الاقتباس أو الأخذ من أرسطو.[١٦١] وقد استشهد مهدي علام على وجهة نظره المماثلة لما ذكر ببعض الحكم التي وردت مسجوعة ما يشير بأثر الصناعة العربية عليها.[١٦٢]

ترى الدارسة أنَّ اختلاف آراء النقاد أمر طبعي حول أي ظاهرة من الظواهر الشعرية. وترى أنَّ الرسالة الحاتمية قد قدمت دليلاً على أنَّ الشاعر عاش في مناخ الفكر الفلسفي. وانَّ هناك شبه إجماع على استفادة المتنبي من هذا المناخ إلى حد كبير. وكل ما أدخله المتنبي من نظرات فلسفية إنَّما هو نتاج عقله بتأثير ثقافته وتكوينه الفلسفي، ولم تكن هذه الثقافة مقتصرة على الفلسفة بل تألف إطارها من معارف أخرى ومصادر متنوعة منها ما وضحته الدارسة في حدود ما أتيح لها.

١٦٠ الرسالة الحاتمية. الحاتمي، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ ص ١٤٤.

١٦١ النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٢ ، د ت ص ٢١٠.

١٦٢ فلسفة المتنبي، محمد مهدي علام ، صحيفة دار العلوم ، العدد الأوَّل ، يونيو ١٩٣٦م ، ص ١١.

قد وضع الحاتمي رسالته وقدمها نموذجاً واسعاً للبحث عن تأثر الشعراء بمعاني الفلسفة. وقد سار بعض معاصريه في هذا السبيل. وكان ذلك في صورة ملاحظات ترد بين حين وأخر؛ يوردون في هذه الملاحظات ما يرونه مماثلاً لبعض أقوال الفلاسفة من شعر المتنبي. نرى ذلك عند ابن جني الذي عدّ قول المتنبي:

يُريدُ مِن حُبِّ العُلى عَيشَهُ

وَلا يُريدُ العَيشَ مِن حُبِّهِ [163]

من قول بعض الفلاسفة (الناس يريدون الحياة ليأكلوا، وأنا آكل لأحيا)[164] كذلك ذهب المهلبي إلى أنَّ بيت المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها

منعنا بها من جية وذهوب[165]

وإنَّما هو مأخوذ من قول بعض الحكماء ببعض الملوك لمَّا كان: ما أطيب الملك لو دام. فقال: لو دام لم يصل إليك.[166]

لجأ فريق آخر من النقاد إلى أسلوب الموازنة بين أبيات المتنبي وما ذكر الحاتمي من حكم أرسطو؛ للوصول إلى ما استمده من الفلسفة وما كان بعيداً منها. يتضح هذا المنهج عند بعض القدماء كابن فورجة الذي وقف عند بعض أقوال الحاتمي مبيَّناً أوجه الضعف فيها. مصدراً بعض الملاحظات التي تميزت بشيء من الدقة. فيذكر مثالاً يربط فيه بين بعض أشعار المتنبي وأقوال أرسطو ذاكراً:

وَأَظلَمُ أَهلِ الظُلمِ مَن باتَ حاسِداً

لِمَن باتَ في نَعمائِهِ يَتَقَلَّبُ [167]

قال: (ويجوز أن يكون توهم (الهاء) في نعمائه عائدة إلى من بات. وإن كانت عائدة إليها كان المعنى مأخوذاً كما ذكر من قول أرسطو طاليس. وإنَّما الهاء عائدة على الممدوح. ومعنى البيت أنَّ أنعامه فائض على كل حد فأظلم النَّاس من يحسد من نال خيره، إذ كان خيره مبذولاً لكل واحد، فلم يبق للحسد وجه، إذ كان يقدر أن ينال مثله كل أحد. وإنَّما هذا مثل قوله:

لا يَحرِمُ البُعدُ أَهلَ البُعدِ نائِلَهُ

---

[163] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج١، ص ٣١٤.

[164] النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام ، ابن المستوفي ، نقلاً عن ثقافة أبي الطيب المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناؤوطي.

[165] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج١، ص ٥٠.

[166] كتاب المأخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ، أحمد بن علي المهلبي ، معهد المخطوطات العربية، خ/ (٧٠٣ أدب) ، نقلا عن ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤوطي ص ٢٠٣.

[167] التبيان للعكبري ، ٢٤٦.

وَغَيرُ عاجِزَةٍ عَنهُ الأُطَيفالُ [168]

لقد وقف ابن فورجة عند كثير من الأبيات التي ذكرها الحاتمي ودرس مواطن الضعف في بعضها مظهراً خطأ الحاتمي في ردها إلى أقوال أرسطو ومنها البيت أعلاه تأثر فيه الشاعر بقول أرسطو (أقبح الظلم حسد عبدك الذي تنعم

عليه لك). [169] قد حاول ابن فورجة أن يضيف إلى عمل الحاتمي بعض ما بدأ فيه أكثر تعسفاً من أقْوال الحاتمي، كمحاولته إيجاد صلة تربط بين قول المتنبي:

لَقَد ظَلَّت أَواخِرُها الأَعالي

مَعَ الأولى بِجِسمِكَ في قِتالِ [170]

وقول الفلاسفة: (أوَّل الفكرة آخر العمل. وآخر العمل أوَّل الفكرة). [171] يبدو للقارئ بوضوح قصد الشاعر من البيت. وهو تصوير حسد الثياب التي بدت للناظرين لما تلا جسم الممدوح من ثياب لقربها منه. ولم يكن ابن فورجة بحاجة إلى بيان مرمى الشاعر بقوله إنَّ ثيابه الأعالي هي أواخر ما يلبس إذا كانت أوائلها هي التي تلي جسده.

التفت بعض النقاد إلى مصدر مختلف للبحث عن مادة حكم المتنبي في حكم الفرس التي وظفت في شعر الشعراء قبل الفلسفة اليونانية لقدم عهدها عن الفلسفة لدى الفكر العربي؛ لذلك فقد رأى أبو هلال العسكري أنَّ المتنبي قد ألم في قوله:

الرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُجعانِ

هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني [172]

---

١٦٨ شرح مشكلات ديوان أبي الطيب المتنبي بن فورجة. ، تحقيق: محمد حسن غياض، مستلة من مجلد المورد الثاني ،، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٧٣م ، ص ٦٩.

١٦٩ الرسالة الموضحة، الحاتمي، ص ١٥٢ .

١٧٠ ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٢٤٦.

١٧١ الفتح على أبي الفتح بن فورجة ، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٤م ، ص ٧٧– ٧٨.

١٧٢ ديوان المتنبي ، شرح العكبري .ج/ ٤ ، ١٧٤.

يقول أبرويز: (لا يشحذ امرؤ منكم سيفه حتى يشحذ عقله)[١٧٣]. يمكن للباحث أن يتوصل إلى معرفة مكونات ثقافة الشاعر الفلسفية باستقراء الشواهد التي عرضها النقاد لما رأوا فيه أثراً فلسفياً من شعره. وقد تألفت هذه الثقافة من:

أوّلاً: بعض آراء الفلاسفة والمتكلمين فيما يتعلق ببعض القضايا التي شغلت جانباً واضحاً من الفكر الديني والفلسفي؛ كقضية الحياة والموت. والعلاقة بين النفس والبدن. وأصل الوجود. وغير ذلك من الآراء التي تتصل ببعض القضايا الفلسفية الخاصة.

ثانياً: بعض أقوال فلاسفة اليونان؛ كأرسطو وأفلاطون وغيرهم من حكماء اليونان الذين بحث تأثره بآرائهم فيما يتصل بالفلسفة الأخلاقية، التي وجد فيها المتنبي مادة غنية استمد منها حكمه وأمثاله التي مثلت جانباً واضحاً في شعره في مختلف مراحله. وتعد الرسالة الحاتمية أهم مصدر لدراسة هذا الجانب من ثقافته الفلسفية، إلى جانب غيره من النقاد الذين مسوا هذا الجانب مساً خفيفاً محتذين نهج الحاتمي.

ترى الدراسة إلى أن إشارة الشاعر إلى بعض القضايا الفلسفية لم تشغل حيزاً واضحاً في ديوانه، ولكنها إشارات عابرة ترد استجابة لبواعث من نفس الشاعر تحمله على التطرق لبعض القضايا من وجهة نظر، فيها أثر لبعض ما عرفه الشاعر من آراء فلسفية كانت مدار بحث وجدل كبيرين. وترد بعض هذه اللمحات في قصائد رِثاء حين يكون الحزن باعثاً قوياً على التفكير في المصير أو في حديث أكثر حرارة حين يأخذ الشاعر الحماس وعنف الشجاعة؛ للاستهانة بمصير الإنسان والتفكير في الموت من وجهة نظر فيها قدر من الاندفاع الذي يظلله الإيمان ببعض الغيبيات.[١٧٤]

قد يتطرق الشاعر إلى قضية العلاقة بين الجسم والنفس وما يحدث بعد الموت، مشيراً إلى ما سار حول هذا الأمر من جدل بين القائلين بفناء الأرواح ومن ذهبوا إلى خلودها فيقول:

تَخالَفَ الناسُ حَتّى لا اِتِّفاقَ لَهُم إِلاَّ

---

[١٧٣] ديوان المعاني العسكري ، مكتبة القدس، ١٣٥٢هـ ، ج/٢ ، ص٩١.

[١٧٤] ثقافة المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤطي ، ص ٢٠٦.

عَلى شَجَبٍ وَالخُلفُ في الشَجَبِ

فَقيلَ تَخلُصُ نَفسُ المَرءِ سالِمَةً

وَقيلَ تَشرَكُ جِسمَ المَرءِ في العَطَبِ [175]

المبحث الخامس: ولــع المتنبي بالتاريـخ:

لم يكن المتنبي أوَّل من التفت من الشعراء إلى التاريخ، فقد التفت كثير من الشعراء إلى تاريخ الأمم والشعوب، يستمدون منهم ما يعينهم على أداء صورهم الشعرية، وعرف بعضهم بولعه الواضح بهذا الجانب من ثقافته كأبي تمام[176]. أمَّا شاعرنا فإنَّ صوت التاريخ يبدو خافتاً في ديوانه إذا أفردنا الإشارات التاريخية ذات الطابع الديني ووضعناها في قسم خاص بها، حيث قلت شواهده بشكل واضح، وقد يكون مرد هذه الظاهرة قلة حصيلته التاريخية التي كان أثرها ضئيلاً في شعره، لا سيما أنَّنا لم نر في أخباره إشارةً إلى قراءة موجهة في هذا العلم. وقد تكون قلة الشواهد التاريخية نتيجة انصراف الشاعر إلى حياة من مدح ومجّد، فاستغنى بذلك عن التطلع إلى الماضي. ولعلنا نجد في هذين البيتين اللذين رد بهما المتنبي على الشاعر النامي– الذي مدح سيف الدولة بذكر آبائه في الجاهلية– تأييّداً لما ذكرنا:

وَالمَدحُ لِابنِ أَبي الهَيجاءِ تُنجِدُهُ

بِالجاهِلِيَّةِ عَينُ العِيِّ وَالخَطَلِ

لَيتَ المَدائِحَ تَستَوفي مَناقِبَهُ

فَما كُلَيبٌ وَأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ [177]

وقد كان الشاعر على قدر من الإلمام بأخبار الأمم البائدة كعاد وطسم وجديس. وبطرف من التاريخ القديم لبعض الأمم كالفرس واليونان. ولمحات عن بعض الأحداث التاريخية العربية في العصر الأموي والعباسي. وشيء من تاريخ الأنساب. وقد أشار إلى إرم في قوله:

الراجِعُ الخَيلَ مُحفاةً مُقَوَّدَةً

---

[175] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص٦٩.

[176] أبو تمام ثقافته من خلال شعره ، ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٢م ص ٥٠.

[177] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٨٠.

مِن كُلِّ مِثلِ وَبار أَهلُها إِرَمُ

كَتَلِّ بِطريقِ المَغرورِ ساكِنُها

بِأَنَّ دارَكَ قِنَّسرينُ وَالأَجَمُ [١٧٨]

وقد أجمل في هذه الصورة ما فصَّله في سائر القصيدة من ذكر إبادة الأمير لسكان المدن والقرى البيزنطية التي حاصرها ولم يبق منها – بما أضرم فيها من حرائق– بعد رحيل جيوشه عنها سوى رمم بين أطلال محترقة. وهو ما أشار إليه بقوله:

عَبَرتَ تَقدُمُهُم فيهِ وَفي بَلَدٍ

سُكّانُهُ رِمَمٌ مَسكونُها حُمَمُ [١٧٩]

وقد كان البيت صورة للدمار الذي لحق هذه المدن التي اغترت بقوتها وأعلنت عصيانها للأمير. حيث مثلها الشاعر بوبار وإرم في خراب المدن وفناء الخلق. وقد أعاد الشاعر ذكر عاد مع جرهم في قوله:

أَجارَ عَلى الأَيّامِ حَتّى ظَنَنتُهُ

تُطالِبُهُ بِالرَدِّ عادٌ وَجُرهُمُ [١٨٠]

وقد كانت القصيدة التي ورد فيها البيت مجسمة لفلسفة القوة التي آمن بها الشاعر. وإليها يرجع حبه للأمير الحمداني الذي استطاع أن يزود عن حمى الدولة ضد مطامع الدولة البيزنطية، فقد استطاع الأمير بقوته حكم العرب جميعاً فلم يخل منبر ولا درهم من ذكر اسمه. وامتد نفوذه إلى الشمس والقمر ومظاهر الطبيعة من رياح وأمطار، والى عالم

---

[١٧٨] المصدر نفسه ، ج/٤ ، ص١٧.

[١٧٩] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٣٥٥ .

[١٨٠] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/١ ، ص ٢١

الحيوان كما سنرى في المعارف العامة التي أثرت في تكوينه الثقافي. وقد استمد من ذكر عاد فكرة الإزالة من الوجود. التي نراها في القصيدة نفسها في قوله:

غَمَدتَ صَوارِماً لَو لَم يَتوبوا

مَحَوتَهُمُ بِها مَحوَ المِدادِ [١٨١]

ذكر الشاعر طسم وجديس في قوله:

وَمُلوكاً كَأَمسِ في القُربِ مِنّا

وَكَطَسمٍ وَأُختِها في البِعادِ [١٨٢]

حيث أشار إلى ما جرَّه الخلف بين طسم وجديس من هلاك للقبيلتين؛ فقد كانت طسم وجديس تعيشان في اليمامة وقد تولى أمرهما ملك من طسم أذلهما واستباح أعراضهما مِمَّا دفع جديساً للانتقام من هذا الظالم وقومه. وقد تمكنوا من التغلب عليهم، ولكنَّ جديساً لم تنعم بانتصارها على طسم؛ فقد فرَّ من الأخيرة رجل يقال له رباح بن مرة، واستغاث لحسان بن نفع فسارت حمير إليهم وتمكنت منهم.[١٨٣] يذكرنا هذا الحديث بمثل ضرب في قوة بصرهم (أبصر من زرقاء اليمامة)[١٨٤] وقد استمده الشاعر في قوله:

وَأَبصَرَ مِن زَرقاءِ جَوٍّ لِأَنَّني

إِذا نَظَرَت عَينايَ ساواهُما عِلمي[١٨٥]

وزرقاء جو هي اليمامة بنت مرة، التي حذر حسان بن نبع من حدة بصرها التي تكشف تحرك العدو من مسافة شاسعة؛ مِمَّا ألجأ هؤلاء إلى التستر بالشجر الموصول إلى جديس. وقد حدث ما توقعه إذ رأت اليمامة الجيش وحذرت قومها. لكنهم لم يصدقوها، فلم يصبح الغد إلا وقد اجتاحهم حسان بجيشه وقبض على اليمامة.

قد أشار الشاعر إلى بعض الأعلام في تاريخ الطب عند اليونان مثل جالينوس وأبوقراط في قوله:

---

[١٨١] المصدر نفسه، ج/١ ، ص ٣٦١.

[١٨٢] المصدر نفسه، ج/١ ، ص٣٤.

[١٨٣] تاريخ بغداد ومدينة السلام ، الخطيب البغدادي، ج/١، ص ٦٣٩.

[١٨٤] مجمع الأمثال ، الميداني ، بولاق ١٢٨٤هـ ، ج/١ ، ص٩٩.

[١٨٥] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤، ص ٥١.

لَمّا وَجَدتُ دَواءَ دائي عِندَها

هانَت عَلَيَّ صِفاتُ جالينوسا[١٨٦]

يَموتُ راعي الضَأنِ في جَهلِهِ

مَوتَةَ جالينوسَ في طِبِّـهِ[١٨٧]

أَذا داءٌ هَفا بُقراطُ عَنـهُ

فَلَم يُعرَف لِصاحِبِهِ ضَريبُ[١٨٨]

وقد تناول هذين الاسمين وغيرهما كثير من الشعراء منذ فترة مبكرة ترجع إلى القرن الثاني للهجرة. وعلى الرغم من قلة الإشارات التاريخية في شعره نلاحظ أنَّه حشد عدداً منها في أبيات متتالية في إحدى قصائده في كافور، عرض فيها الشاعر للمؤامرة التي حاكها بعض المقربين للإيقاع بين كافور وابن الإخشيد. قال فيهما:

أَنتُما ما اِتَّفَقتُما الجِسمُ وَالرو

حُ فَلا اِحتَجتُما إِلى العُوّادِ

وَإِذا كانَ في الأَنابيبِ خُلفٌ

وَقَعَ الطَيشُ في صُدورِ الصِعادِ[١٨٩]

قدَّم المتنبي أمثلة من التاريخ القديم والحديث عن دور الشقاق والخلف في تمزيق الصفوف وضياع الهيبة والسطوة في قوله:

أَشمَتَ الخُلفُ بِالشَراةِ عِداها

وَشَفى رَبَّ فارِسٍ مِن إِيادِ

وَتَوَلّى بَني اليَزيدِيِّ بِالبَصـ

رَةِ حَتّى تَمَزَّقوا في البِلادِ

وَمُلوكاً كَأَمسِ في القُربِ مِنّا

وَكَطَسمٍ وَأُختِها في البِعادِ[١٩٠]

---

[١٨٦] المصدر نفسه، ج/٢ ، ص١٩٦.

[١٨٧] المصدر نفسه ،ج/١ ، ص٢١٣.

[١٨٨] المصدر نفسه ، ج/١ ، ص٧٤.

[١٨٩] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٢ ، ص ٣٣ ، ٣٤.

[٢] المصدر نفسه، ج/٢ ، ص ٣٤ .

تفترض الدراسة أنَّ الشاعر أورد هذه الأبيات لما يعرفه من ولع كافور بالتاريخ، الذي بدأ من اهتمامه بقراءة السير والأخبار في مجلسه وتشجيعه للتأليف في هذا العلم.[١٩١] وقد كان اختيار هذه الأمثلة خاضعاً لاتجاه عواطف الشاعر إزاء كافور الإخشيدي. ويستطيع القارئ أن يتبين ذلك بملاحظة الدوافع وراء ما ذكره مثلاً للخلاف بين المتفقين. فقد كانت حرب إياد وفارس وطسم وجديس دفعاً لظلم ألحقه أحد الفريقين بالآخر. ووجود كافور حاكماً على مصر ظلم لابن الإخشيد صاحب الحق الشرعي بدلاً من كافور، الذي كان في نظر الشاعر لا يستحق شيئاً غير الإزدراء والتحقير. أما قصة بني البريدي فمثلٌ واضحٌ على وصول بعض الناس بالحيلة والدهاء إلى مناصب ليسوا أهلاً لها.

التفت المتنبي في شعره إلى جانب حيوي في تاريخ العرب نال عناية فائقة منهم، هو تاريخ الأنساب، وتمت الملاحظات التي أوردها الشاعر بذكر سلسلة النسب لدى القبائل المختلفة، كما تمت بصلة إلى بعض الأعلام في شجرة النسب العربي. كل ذلك يدل دلالة واضحة على اطلاع الشاعر بقدر كاف على علم الأنساب، وكان من الطبعي أن يلم الشاعر بشيء عن الأنساب؛ فقد عرف العرب باعتزازهم بأصولهم. وكان الشاعر معتزا بعروبته إلى حد كبير، يستطيع الدارس أن يلمح صدى ذلك عندما يقارن قصيدة من شعره في سيف الدولة بأخرى في كافور الإخشيدي على سبيل المثال. وترى الدراسة أنَّ احترافه للمديح دفعه للاطلاع على النسب.

عاش الشاعر وأحيت في نفسه الروح القبلية، – سواء في البادية حيث تتطلب طبيعة الحياة بما فيها من تنافس استقلال القبائل واجتماع كل قبيلة يداً واحدة في اتجاه القبائل الأخرى– أو في الكوفة التي كانت صورة مجسمة للروح القبلية في تخطيطها وطبيعة الحياة فيها.

نبدأ عرضنا لهذه الأبيات ببيت أشار فيه الشاعر إلى أبناء نوح عليه السلام في قوله يمدح كافوراً:

وَمِن قَولِ سامٍ لَو رَآكَ لِنَسلِهِ

[١٩١] النجوم الزاهرة، ابن تقري بردي، ج/٤، نقلا عن العصر العباسي الأوَّل، شوقي ضيف، ، ص٦، المغرب في حلي المغرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف، جامعة القاهرة ١٩٥٣ ص ٢٠٠.

فِدى اِبنِ أَخي نَسلي وَنَفسي وَمالِيا [١٩٢]

وعلى الرغم من أنَّ البيت من قصيدة مدح فقد تضمن هجاءً لكافور، ذكر فيه انتمائه إلى حام بن نوح أبي السودان تعريضاً بسواده، وقد دأب الشاعر على ذكر سواد كافور في كثير من أبياته. وقد كان ذكره للأنساب في مدح كافور ضرباً من السخرية تعمده الشاعر بتذكيره أن لا نسب له. ومن ذلك قوله:

وَيُغنيكَ عَمّا يَنسُبُ الناسُ أَنَّهُ

إِلَيكَ تَناهى المَكرُماتُ وَتُنسَبُ

وَأَيُّ قَبيلٍ يَستَحِقُّكَ قَدرُهُ

مَعَدُّ بنُ عَدنانَ فِداكَ وَيَعرُبُ [١٩٣]

وقد جمع في البيت العرب جميعاً بذكر معد بن عدنان الذي يرجع إليه عقب عدنان كله[١٩٤] ويعرب الذي مثل قبائل قحطان.[١٩٥] وفي موضع آخر جعل جود كافور شاملاً للعرب جميعاً فقال:

عِندَ الهُمامِ أَبي المِسكِ الَّذي غَرِقَت

في جودِهِ مُضَرُ الحَمراءِ وَاليَمَنُ [١٩٦]

وقد أشار إلى تسمية مضر بن نزار بالحمراء لما يقال من وراثتها للذهب عند اقتسام ملك نزار، أو إلى ما عرف من اتخاذهم للرايات والعمائم والحمر شعاراً في الحرب.[١٩٧] وقال مشيراً إلى مجد مضر:

قَد كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ المَجدَ مِن مُضَرٍ

حَتّى تَبَحتَرَ فَهوَ اليَومَ مِن أُدَدِ [١٩٨]

---

١٩٢ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٩٣.

١٩٣ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/١ ، ص١٨٦.

١٩٤ معجم قبائل العرب ، القديمة والحديثة ، عمر رضى كحالة، المطبعة الهاشمية دمشق، ١٩٤٩ ، ج/٣ ، ص١١٣١.

١٩٥ المصدر نفسه ، ج/٣، ص ١٣٦٦.

١٩٦ ديوان المتنبي، شرح العكبري ،ج/٤ ، ص٢٣٨.

١٩٧ لسان العرب ، لابن منظور (مضر).

١٩٨ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص٣٥٢.

والبيت في رجل من بني بحتر – أحد بطون طي– وينتهي نسبها إلى أدد ابن قحطان[199]. وقد رأى الشاعر جود ممدوحه دليلاً على أنَّ قبيلته ورثت مجد مضر بن نزار، التي حظيت بشرف النبوة على يد النبي القرشي محمد ﷺ.

وقد استوحى الشاعر أحداث العداوة بين القيسية واليمنية في ذكر شبيب العقيلي:

بِرَغمِ شَبيبٍ فارَقَ السَيفُ كَفَّهُ

وَكانا عَلى العلاتِ يَصطَحِبانِ

كَأَنَّ رِقابَ الناسِ قالَت لِسَيفِهِ:

رَفيقُكَ قَيسِيٌّ وَأَنتَ يَمانِ

فَإِن يَكُ إِنساناً مَضى لِسَبيلِهِ

فَإِنَّ المَنايا غايَةُ الحَيَوانِ [200]

وممَّا يذكره المؤرخون أنَّ كافوراً حاول اغتيال شبيب فلم يفلح. ولكن القدر كان للأخير بالمرصاد فقتل في دمشق. وقد كان الشاعر معجباً ببطولة شبيب حريصاً على إظهار شجاعته. فجعله يقتل بحد سيفه، الذي لم يفارقه طوال حياته. وقد مجد قيساً في قصيدة مدح بها علي بن أحمد المري الخراساني، الذي يرجع نسبه إلى مرة بن عوف بطن من غطفان من غيث بن عدنان[201]:

كُتِبَت في صَحائِفِ المَجدِ بِسمٌ

ثُمَّ قَيسٌ وَبَعدَ قَيسِ السَلامُ

إِنَّما مُرَّةُ بنُ عَوفِ بنِ سَعدٍ

جَمَراتٌ لا تَشتَهيها النِعامُ [202]

فقد وصف بني مرة بأنَّهم قوم ذوو منعة وشدة بجعلهم جمرات[203]، أما قوله لا تشتهيها النعام فضرب من الاحتراس. وقد أشار في قصيدتين مدح بهما محمد ابن عبيد الله العلوي وطاهر بن الحسين العلوي إلى أنَّ العلويين هم أشرف قريش لانتمائهم إلى الرسول ﷺ، فقال في الأوَّل:

---

[199] معجم قبائل العرب ، عمر رضى كحالة ج/١ ، ص٦٦.

[200] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٤٣.

[201] معجم قبائل العرب ، عمر رضى كحالة ، ج/٣ ، ص ١٠٧٢.

[202] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٩٧.

[203] لسان العرب، (جمر) .

تاجُ لُؤَيٍّ بنِ غالِبٍ وَبـِهِ

سَما لَها فَرعُها وَمَحتِدُها

خَيرُ قُرَيشٍ أَباً وَأَمجَدُها

أَكثَرُها نائِلاً وَأَجوَدُها [٢٠٤]

وقال في الآخر:

فَحُيِّيتَ خَيرَ ابنٍ لِخَيرِ أَبٍ بِها

لِأَشرَفِ بَيتٍ في لُؤَيِّ بنِ غالِبِ [٢٠٥]

وقد كان الشاعر يرى في سيف الدولة حامياً للعروبة والإسلام، ومصدر الفخر للعرب الذين طالما فخروا بانتمائهم إلى عدنان، فقال:

رَفَعَت بِكَ العَرَبُ العِمادَ وَصَيَّرَت

قِمَمَ المُلوكِ مَواقِدَ النيرانِ

أَنسابُ فَخرِهِمِ إِلَيكَ وَإِنَّما

أَنسابُ أَصلِهِمِ إِلى عَدنانِ [٢٠٦]

وقال مرة أخرى مشيراً إلى عدنان والى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[٢٠٧]:

وَلَستَ مَليكاً هازِماً لِنَظيرِهِ

وَلَكِنَّكَ التَوحيدُ لِلشِركِ هازِمُ

تَشَرَّفُ عَدنانٌ بِهِ لا رَبيعَةٌ

وَتَفتَخِرُ الدُنيا بِهِ لا العَواصِمُ [٢٠٨]

وقد نراه يشير إلى المكانة التي تبوأها الأمير فجعله ملكاً للعرب، في قوله، من قصيدة رثى بها مولى تركيا لسيف الدولة يدعى يماك.

وَإِنَّ الَّذي أَمسَت نِزارٌ عَبيدَهُ

---

[٢٠٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣٠٦.

[٢٠٥] المصدر نفسه ، ج/١ ، ص ١٥٩.

[٢٠٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/ ٤ ، ص ١٨٥.

[٢٠٧] معجم قبائل العرب، عمر رضى كحالة ، ج/٣ ، ص١١٧٨.

[٢٠٨] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص٣٩١.

غَنِيٌّ عَنِ اِستِعبادِهِ لِغَريبِ [٢٠٩]

وقد عني الشاعر ببني نزار بن معد بن عدنان وخصهم بالذكر لما يعلمه من تمليك الحارث بن عمرو لنزار على قبائل العرب.[٢١٠] وقد صور الشاعر رعاية العربي لحرمة النسب في قصيدة ذكر فيها إيقاع سيف الدولة ببني كلاب قال فيها:

فَقاتَلَ عَن حَريمِهِمِ وَفَرّوا

نَدى كَفَّيكَ وَالنَسَبُ القُرابُ

وَحِفظُكَ فيهِمِ سَلَفي مَعَدٍّ

وَأَنَّهُمُ العَشائِرُ وَالصِحابُ [٢١١]

فقد انتمى بنو كلاب إلى مضر، ومضر وربيعة – رهط سيف الدولة– هما ابنا نزار بن معد[٢١٢]؛ لذلك رعى الأمير حرماتهم على الرغم من ضراوة المعارك التي خاضها ضدهم. وقد كان نسب بني حمدان مادة للجناس الذي أورده الشاعر في قوله:

مِن تَغلِبَ الغالِبينَ الناسَ مَنصِبُهُ

وَمِن عَدِيٍّ أَعادي الجُبنِ وَالبَخَلِ [٢١٣]

إذ إن بني حمدان بطن من بني عدي بن أسامة بن غانم بن تغلب.[٢١٤] وقد يذكر نسب تميم[٢١٥] من مدحه لمحمد بن سيار التميمي:

وَما عِشتُ ما ماتوا وَلا أَبَواهُمُ

تَميمُ بنُ مُرٍّ وَابنُ طابِخَةُ أُدُّ [٢١٦]

---

[٢٠٩] المصدر نفسه ، ج/١، ص٥٣.

٢١٠ معجم قبائل العرب ، عمر رضى كحالة، ص ١١٧٨ .

[٢١١] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/١، ص٧٦.

[٢١٢] معجم قبائل العرب ، عمر رضى كحالة، ج/٣ ، ص١١٧٨.

[٢١٣] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٨٠.

[٢١٤] معجم قبائل العرب ، ج/١ ، ص٢٩٨.

[٢١٥] المصدر نفسه ص١٣٦.

[٢١٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/١ ، ص ٣٨٢.

المبحث السادس :المعارف العامة في شعر المتنبي :

١) الحيوان أحواله وعاداته في شعر المتنبي:

قد حفل ديوانه بكثير من الإشارات التي تكشف عن خبرة واسعة بعالم الحيوان وأحواله وعادته. وقد أسهمت مصادر متعددة في إغناء هذا الجانب من ثقافته، فمنها ممارسته لحياة البداوة واختلاطه بالأعراب الذين عرفوا الحيوان معرفة جيدة؛ لأنهم – كما يقول الجاحظ– (كثيراً ما يبتلون بالناب والمخلب، واللدغ واللسع والعض والأكل؛ فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل ...)[٢١٧]. فاستمد الشاعر هذه الخبرة من منبعها الأصلي.

قد عرف الشاعر عالم الحيوان من اطلاعه على التراث الأدبي من أشعار وأمثال خاصة شعر الأعراب الذي اشتمل على كثير من الملاحظات الدقيقة عن الحيوان؛ فعد بذلك مصدراً اعتمد عليه الجاحظ في تأليف كتابه عن الحيوان؛ ثقة منه بصدق هذا الشعر في تصوير حياة الحيوان بمقارنته بما سمعه في باب معرفة الحيوان في مؤلفات الفلاسفة والأطباء[٢١٨].

وكانت ثقافته اللغوية مصدراً مهماً في تنمية هذه المعرفة، حيث اطلع على مؤلفات اللغويين الذين تحدثوا عن الحيوان كأبي عبيدة معمر بن المثنى[٢١٩]. وأبي زيد الأنصاري[٢٢٠]، والأصمعي[٢٢١]، وأبي حاتم السجستاني[٢٢٢]، وغيرهم. في مؤلفاتهم عن الإبل، والخيل، والوحوش، والطير، والنمل. وربما اطلع على كتاب الجاحظ (الحيوان). وقد اخترنا من شعره بعض الأبيات التي دلت على خبرة خاصة بأحوال الحيوان وعاداته. وفي إحدى مقدماته الغزلية ذكر البين الذي طالما اشتكى منه المحبون فقال:

---

[٢١٧] الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة،ط١، ١٩٤٤م ٢٠/١.

[٢١٨] الحيوان ، الجاحظ، ج/١ ، ص١٩.

[٢١٩] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ، ص ٨٨.

[٢٢٠] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري ، ص ١٠١.

[٢٢١] المصدر نفسه ص ٩٠.

[٢٢٢] المصدر نفسه ص ١٤٥.

لَقَد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بِها وَبي

وَزَوَّدَني في السَيرِ ما زَوَّدَ الضِبّا [٢٢٣]

فقد حرَّم الشاعر الوداع الذي يحيي في النفوس الأمل في اللقاء، فكأنَّه حرَّم الماء الذي يحرص الراحلون على التزود منه وصار كالضب الذي استغنى عن الماء، حتى قيل في المثل أروى من ضب[٢٢٤]. وأشار في شعره إلى صبر الضباب على العطش بقوله:

وَأَصبَرَ عَن أَمواهِهِ مِن ضِبابِهِ

وَآلَفَ مِنها مُقلَةً لِلوَدائِقِ [٢٢٥]

البيت من قصيدة تحدث الشاعر فيها عن إيقاع الأمير ببعض القبائل المتمردة، قال فيها:

تَوَهَّمَها الأَعرابُ سَورَةَ مُترَفٍ

تُذَكِّرُهُ البَيداءُ ظِلَّ السُرادِقِ

فَذَكَّرتَهُم بِالماءِ ساعَةَ غَبَّرَت

سَماوَةُ كَلبٍ في أُنوفِ الحَزائِقِ

وَكانوا يَروعونَ المُلوكَ بِأَن بَدَوا

وَأَن نَبَتَت في الماءِ نَبتَ الغَلافِقِ[٢٢٦]

فقد عرض الشاعر ما توهمه الأعراب من تجنب سيف الدولة غزو ديارهم؛ لعجزه عن تحمل حياة القفار بما فيها من مشاق وأخطار، فشبه ملوك الحضر بطحالب الماء التي لا تستغني عنه، ورد على توهمهم بصورة تناقض ما ذكره حين جعل ممدوحه أصبر على الماء من الضباب وأكثر تحملاً لحر الهجير، مثبتاً بذلك قصور إدراكهم بشخصية الأمير، وما تميز به من شجاعة وجلد عن القتال.

وفي القصيدة نفسها نرى نجاحه في الوصول إلى مرابعهم؛ حيث جمع إلى جانب جلده في مواجهة مصاعب القفار ذكاء وخبرة باختراق مسالكها، فقال:

---

[٢٢٣] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص٦٠.

[٢٢٤] مجمع الأمثال، الميداني ج/١ ، ص٢٧٧.

[٢٢٥] ديوان المتنبي، شرح العكبري ج/٢، ص ٣٢٨.

[٢٢٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢ ، ص ٣٢٨.

فَهاجوكَ أَهدى في الفَلا مِن نُجومِهِ

وَأَبدى بُيوتاً مِن أَداحي النَقانِقِ[٢٢٧]

اعتمد الشاعر في هذه الصورة على خبرته بعادات النعام في وضع أداحيه، حيث ذكروا أنه لا يتخذ لبيضه عشّاً على الرغم من كثرته وكبر حجمه[٢٢٨] الذين يجعلانه بادياً للعيان سهل المنال. يمكن القول إن تشبيه بيوتهم بأداحي النعام قد تضمن الإشارة إلى أنهم لم يستطيعوا حماية ديارهم في مواجهة جيشه القوي، فولوا عنها فارين كعادة النعام في الابتعاد عن أداحيه إذا أحس بالخطر[٢٢٩]. وفي موضع آخر من شعره نراه يشبه نفسه بالنعام في قلة وروده الماء[٢٣٠]، حتى قيل في المثل (أروى من نعامة)[٢٣١] فقال:

وَإِنّي لَتُغنيني مِنَ الماءِ نُغبَةٌ

وَأَصبِرُ عَنهُ مِثلَ ما تَصبِرُ الرُبدُ [٢٣٢]

ترى الدارسة في هذا البيت أنّ الشاعر أراد أن يدفع ما قد يظن به من الضعف وذلك بإشارته إلى صبره وجلده. نجد الشاعر في البيت الذي يلي البيت السابق يدور في فلك نفسه فيصف نفسه بقلة المأكل سيراً على عادة العرب بقلة الأكل، مشبهاً نفسه بالذئب الذي يقرنونه بالأسد في الصبر على الجوع[٢٣٣]، فقال:

وَأَمضي كَما يَمضي السِنانُ لِطِيَّتي

وَأَطوي كَما تَطوي المُجَلِّحَةُ العُقدُ [٢٣٤]

نجده يقرن الذئب والغراب في موضع آخر فيقول:

سَلَكتُ صُروفَ الدَهرِ حَتّى لَقَيتُهُ

عَلى ظَهرِ عَزمٍ مُؤيَداتٍ قَوائِمُه

---

[٢٢٧] المصدر السابق، ج/٢ ، ص٣٢٧.

[٢٢٨] الحيوان الجاحظ ج/٤ ، ص٣٢٧.

[٢٢٩] حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦هـ ٤٨٧/٢.

[٢٣٠] حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، ج/٢ ، ص٤٨٨.

[٢٣١] مجمع الأمثال، الميداني ج/١ ، ص٣٧٧.

[٢٣٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري ج/١ ، ص ٣٧٦.

[٢٣٣٢٣٣] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/١ ، ص٤٠٦.

[٢٣٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص٣٧٦.

مَهالِكَ لَم تَصحَب بِها الذِئبَ نَفسُهُ

وَلا حَمَلَت فيها الغُرابَ قَوادِمُه[٢٣٥]

فقد وصف مكابدته ومعاناته حتى تمكن من الوصول إلى سيف الدولة، الذي وجد الشاعر في صحبته راحة بعد طول عناء فذكر أنَّه قطع من أجل الوصول إليه طريقاً طويلاً محفوفاً بالمخاطر، يعجز عن قطعه الغراب والذئب اللذين عرفا بارتياد الأماكن النائية[٢٣٦]. ولعلَّ حديثه فيما سبق من أبيات عن صحبة الطير لجيش الممدوح قد أورد على ذاكرته حديث الذئب والغراب؛ لاعتيادهما الاحتفال بأشلاء القتلى عقب المعارك، وقد جمع بينهما لما عرف عن الغراب من تتبع الذئب لأكل ما فضل منه، ومنه ضرب المثل بالذئب والغراب في الرجلين إذا اتفقا دون خلاف[٢٣٧].

قد نمّت بعض أبياته عن إلمامه بمواطن سكنى الطيور المختلفة كما في نحو قوله:

فَالعُربُ مِنهُ مَعَ الكُدرِيِّ طائِرَةٌ

وَالرومُ طائِرَةٌ مِنهُ مَعَ الحَجَلِ[٢٣٨]

ذكر الشاعر فرار العرب والروم أمام جيوش ممدوحه سيف الدولة، فالعرب تلتمس السهول بحثاً عن ملجأ وتقصد الروم الجبال طلباً للسلامة، وفي السهول يعيش الكدري، أما الجبال فهي موطن الحجل.

يذكر الأسد في مقطوعة أنشدها في السجن فيقول:

أَهونِ بِطولِ الثَواءِ وَالتَلَفِ

وَالسِجنِ وَالقَيدِ يا أَبا دُلَفِ

غَيرَ اِختِيارٍ قَبِلتُ بِرَّكَ بي

وَالجوعُ يُرضي الأُسودَ بِالجِيَفِ[٢٣٩]

---

[٢٣٥] المصدر نفسه ج/ ٢ ، ص٦٢.

[٢٣٦] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/١ ، ص٤٠. مجمع الأمثال، الميداني ج/٢ ، ص٢٨٢.

[٢٣٧] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/٢ ، ص٢٤٤.

[٢٣٨] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٨٢.

[٢٣٩] المصدر نفسه، ج/٢، ص ٢٨١.

أورد الشاعر صورة مستمدة من طباع الأسد للتمثيل على أنَّ السجن لا يحط إباءه وعزة نفسه، إذ إنَّه قبل السجن اضطراراً كما يقبل الأسد أكل الجيف إن اشتد به الجوع، رغم ما عرف به من شرف نفسه الذي يمنعه من أكل فريسة غيره، بل عن العودة إلى فريسة تركها بعد شبع[٢٤٠]. يذكرنا هذا البيت بنظير له أشار فيه إلى أكل الضباع للميتة، يقول فيه:

لا تَحسبَوا مَن أَسَرتُم كانَ ذا رَمَقٍ

فَلَيسَ يَأكُلُ إلا المَيِّتَ الضَبُعُ [٢٤١]

والبيت من قصيدة أنشدها الشاعر بعد هزيمة منَّى بها الأمير فكانت صور القصيدة محاولة للتخفيف من وقع الهزيمة. وقال الشاعر يهجو أهل الزمان باللوم والجبن والقعود عن المكارم، مستعيراً أقوال العرب في صفات بعض الحيوان قائلاً:

أَذُمُّ إِلى هَذا الزَمانِ أُهَيلَهُ

فَأَعلَمُهُم فَدمٌ وَأَحزَمُهُم وَغدُ

وَأَكرَمُهُم كَلبٌ وَأَبصَرُهُم عَمٍ

وَأَسهَدُهُم فَهدٌ وَأَشجَعُهُم قِردُ[٢٤٢]

فقد أثبت تناهيهم في اللوم، حين جعل أكرمهم كالكلب الذي يضرب به المثل في اللوم[٢٤٣]. وقد اعتادت العرب أن تمتدح بقلة النوم؛ إذ إنَّه دليل على تكريس الجهد لنيل المعالي، لذلك هجاهم الشاعر مستعيراً صورة الفهد الذي عرف بكثرة نومه فقيل (أنوم من فهد)[٢٤٤].

من الحشرات التي أشار إليها الشاعر النبر، وبنت وردان، والنبر دويبة شبيهة بالقراد تلسع الإبل[٢٤٥] ذكرها الشاعر في قوله:

إِلَيكَ طَعَنّا في مَدى كُلِّ صَفصَفٍ

[٢٤٠] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/١ ، ص٣.

[٢٤١] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢ ص ٢٣٠.

[٢٤٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص٣٧٤.

[٢٤٣] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/١ ، ص٣٠٥.

[٢٤٤] مجمع الأمثال، الميداني ج /٢ ، ص٣٦٠.

[٢٤٥] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ٤٦٣/٢.

بِكُلِّ وَآةٍ كُلُّ ما لَقِيَت نَحرُ

إذا وَرِمَت مِن لَسعَةٍ مَرِحَت لَها

كَأَنَّ نَوالاً صَرَّ في جِلدِها النِبرُ [٢٤٦]

فقد وصف ناقته بالصلابة والشدة حين أشار إلى أنَّ لسعة النبرة وغيره من الحشرات لا تضعفها بل يزيد قلقها للسعة من نشاطها. ومن هذا المنطق شبه موضع اللسعة بصر الدراهم وضعها النبر في جلد الناقة. مستفيداً من الدلالة اللغوية للفظ مرح[٢٤٧] بمعنى: نشط وفرح في تقديم هذه الصورة. وذكر بنات وردان في هجائه لوردان بن ربيعة الطائي، حيث لفت انتباهه اتفاق اسم المهجو مع اسم بنت وردان وهي: ضرب من الدود يأكل العذرة[٢٤٨]. مِمَّا أورد على ذاكرته سيرة الخنزير لاتفاقه مع هذه الدودة فشبه المهجو بالخنزير لأنَّه يطلب كسبه من جهة خبيثة مثلهما في قوله:

لَحا اللَهُ وَرداناً وَأُمّاً أَتَت بِهِ

لَهُ كَسبُ خِنزيرٍ وَخُرطومُ ثَعلَبِ

إِذا كَسَبَ الإِنسانُ مِن هَنِ عِرسِهِ

فَيا لُؤمَ إِنسانٍ وَيا لُؤمَ مَكسَبِ

أَهَذا اللَذَيّا بِنتُ وَردانَ بِنتُهُ

هُما الطالِبانِ الرِزقَ مِن شَرِّ مَطلَبِ[٢٤٩]

أشار الشاعر كعادة – بعض الشعراء – إلى الدواب ومنها الحرباء في قوله:

يتلون الخريت من خوف النوى

فيها، كما يتلون الحرباء[٢٥٠]

وقد سبق هذا البيت وصف الطريق الذي سار فيها الشاعر إلى ممدوحه الأوراجي بأنَّها صعبة لم تسلك (وطريقها عذراء لذلك نراه يشير في البيت إلى حيرة الدليل فيها على الرغم من خبرته باختراق الصحاري والغفار، فلم يسر في طريقه

---

[٢٤٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢ ، ص ١٥٦.

[٢٤٧] لسان العرب(مرح).

[٢٤٨] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/٢ ، ص٥٥٣.

[٢٤٩] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص ٢١٩.

[٢٥٠] المصدر نفسه ج/١ ، ص١٧.

سير الواثق من السبيل الذي يسلكه بل هو في تخبط مستمر، وقد ملك الخوف لبه خشية التيه في هذه البيداء، فحال لونه وتبدلت سحنته مثل الحرباء التي عرفت بتلونها ألواناً كثيرة[٢٥١]. فقد أضفى هذا التشبيه إلى جانب اللون عنصر الحركة؛ لما عرف من عادات الحرباء في الحركة متابعة للشمس.

تختم الدراسة حديثها عن معرفته بالحيوان بالإشارة إلى أحد المعتقدات الشعبية التي عرفها العرب في إخراج الأفاعي والحيات من مكانها، حين يتولى الحواء أو الرفاه إخراجها بالهزيمة والإقسام عليها فتستجيب خارجة من مكمنها لفهمها لما يريد[٢٥٢] فيقول:

رُقاهُ كُلُّ أَبيَضَ مَشرَفِيٍّ

لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أُفعُوانِ

وَما تَرقى لُهاهُ مِن نَداهُ

وَلا المالُ الكَريمُ مِنَ الهَوانِ[٢٥٣]

وقد سبق هذين البيتين حديث الشاعر عن حرص عضد الدولة على أرضه من عبث اللصوص والمعتدين حيث قال:

أُروضُ الناسِ مِن تُربٍ وَخَوفٍ

وَأَرضُ أَبي شُجاعٍ مِن أَمانِ

تفترض الدراسة أن ذكر اللص أورد على ذاكرة الشاعر لفظاً يجانسه أطلق على الرجل الداهية هو (صل) في نحو قولهم: (فلان صل أصلال) وقول الشاعر:

إن كنت داهية نخشى بوائقها

فقد لقيت صلاً صل أصلال[٢٥٤]

وقد استدعت سيرة الصل والأفعوان – الذين شبه الشاعر بهما اللصوص- تشبيهاً آخر للسيف شرهما برقي الحيات، اعتمادا على هذا المعتقد الشعبي.

---

[٢٥١] حياة الحيوان الكبرى، الدميري ج/١ ، ص٣٦٢.

[٢٥٢] الحيوان، الجاحظ ج/٤ ، ص ١٨٤، ١٨٦.

[٢٥٣] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٥٩.

[٢٥٤] لسان العرب (صل).

٢) معرفة المتنبي الفلكية:

نجد في ديوان المتنبي عدداً من الأبيات يدفعنا إلى عقد صلة – وإن كانت ضئيلة – بين فكر الشاعر وما عرفه الشاعر عن عالم الفلك. وقد وجد الشاعر في متناوله طائفة من المؤلفات في هذا العلم، أسهم في وضعها علماء النحو واللغة الذين وجدوا مادة مؤلفاتهم في أسجاع العرب وأشعارها وألفاظها المتعلقة بالنجوم.[٢٥٥] إلى جانب المؤلفات التي وضعها علماء العرب المتخصصون في علم الفلك؛ كالخوارزمي ويحيى بن منصور، وموسى بن شاكر، والبناني، وغيرهم بتأثير اتصال العرب بغيرهم من الأمم الهنود والفرس واليونان، واستفاداتهم من مؤلفاتهم في هذا العلم.[٢٥٦]

لا يفوت الدارسة أن تذكر أنَّ الشاعر قد مارس حياة البادية وصحب الأعراب الذين كانوا مصدراً لمؤلفات الفريق الأوَّل من العلماء، بالإضافة إلى ثقافته اللغوية الواسعة والتي تعرضنا إليها في الصفحات السابقة. وبتتبعنا لأشعار الشاعر التي يلتزم فيها بنظرة علمية أو قريبة من العلمية، وارتباط بعضها بآراء العامة ومعتقداتها حول النجوم، وبوقوفنا على بعض نماذجه تؤكد الدارسة صحة ما ذهبت إليه. فهو يقول في مقطوعة أنشدها ارتجالاً في حضرة سيف الدولة ذاكراً الشمس:

تَكَسَّبُ الشَمسُ مِنكَ النورَ طالِعَةً

كَما تَكَسَّبَ مِنها نورَهُ القَمَرُ [٢٥٧]

يشير الشاعر هنا إلى نظام فلكي في عدِّه الشمس مصدراً لضوء القمر، إذ يستمد منها نوره وتتعدد حالاته من الاستهلال إلى انقضاء الشهر وفقاً لتأثره بنور الشمس.[٢٥٨] فما أشار إليه الشاعر خلافاً لما كان يشيع في أوساط العامة من عد

---

[٢٥٥] كتاب الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ط١ ، ١٩٥٦م ، المقدمة ، مج١ .

[٢٥٦] المصدر نفسه ، المقدمة ، مج١ .

[٢٥٧] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٢ ، ص٩٩.

[٢٥٨] الأرب ، في فنون الأدب ، النويري ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٢٩م، ص ٥٠، ٥٦ .

الشمس والقمر كوكبين مضيئين كغيرهما من الكواكب.[٢٥٩] وقال يذكر الأنواء[٢٦٠] في قصيد ة مدح بها هارون الأوراجي:

وَعِقابُ لُبنانٍ وَكَيفَ بِقَطعِها

وَهُوَ الشِتاءُ وَصَيفُهُنَّ شِتاءُ

لَبَسَ الثُلوجُ بِها عَلَيَّ مَسالِكي

فَكَأَنَّها بِبَياضِها سَوداءُ

وَكَذا الكَريمُ إِذا أَقامَ بِبَلدَةٍ

سالَ النُضارُ بِها وَقامَ الماءُ

جَمَدَ القِطارُ وَلَو رَأَتهُ كَما تَرى

بُهِتَت فَلَم تَتَبَجَّسِ الأَنواءُ [٢٦١]

إنَّ إسناد الفعل للأنواء في البيت قد يوحي بأنَّ الشاعر جعل للأنواء فعل إنزال المطر إقتداء بالعرب في الجاهلية.[٢٦٢] وهو ما نهى عنه الرسول ﷺ بقوله في حديث قدسي (قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب).[٢٦٣] وقد كان ارتباط الغيث بالكرم في التراث الشعري العربي دافعاً قاد الشاعر إلى ذكر الأنواء. وفي قصيدة أخرى نراه يمدح كرم بني عجل، فجعلهم يستوفون الكرم كله كما تستوفي الأنواء العام كله، إذ إنَّ الأنواء ثمانية وعشرون نوءً يسقط كل نوءً منها كل ثلاثة عشر يوماً، وبسقوط آخر نوء منها ينصرف العام.[٢٦٤] فقال:

وَقَبضُ نَوالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ

وَقَبضُ نَوالِ بَعضِ القَومِ ذامُ

[٢٥٩] كتاب الأنواء ، ابن قتيبة، ص ١٢٨.

[٢٦٠] لسان العرب (نوأ).

[٢٦١] التبيان ، العكبري ، ج/١ ، ص١٩.

[٢٦٢] كتاب الأنواء ، ابن قتيبة ، ص ١٤.

[٢٦٣] المصدر نفسه، ص ١٤.

[٢٦٤] المصدر نفسه ، ص ٧.

أَقامَت في الرِقابِ لَهُ أَيادٍ

هِيَ الأَطواقُ وَالناسُ الحَمامُ

إِذا عُدَّ الكِرامُ فَتِلكَ عِجلٌ

كَما الأَنواءُ حينَ تُعَدُّ عامُ [٢٦٥]

وعندما أراد الشاعر وصف سرعة سيره من شيراز إلى الكوفة استعان بصورة كوكب السماك، فقال:

فَلَو سِرنا وَفي تَشرينَ خَمسٌ

رَأَوني قَبلَ أَن يَروا السِماكا [٢٦٦]

فهو أسبق من الكواكب في الوصول إلى الكوفة؛ إذ إنَّ السماك من الكواكب اليمانية ويتم طلوعه بعد الخامس من تشرين.[٢٦٧]

ترى الدارسة أنَّ الشاعر ذكر السَّماك هنا لأنَّه؛ من الأنواء المحمودة المعتمد عليها في خصب العام[٢٦٨]، وذكر الشاعر في شعره الشِّعْرَى:

متى ما يبشر نحو السماء بوجهه

تخر له الشِّعْرَى وينخسف البدر[٢٦٩]

أورد الشاعر الشِّعْرَى هنا بتأثير ما يعرفه عن عبادة العرب القديمة لكوكب الشعري.[٢٧٠] يؤكد ذلك هذه الحركة العنيفة – برأي الدارسة – التي يصورها الفعل (خرّ). وما يوحي به اللفظ من الذل والخضوع. وقال يذكر زحلاً:

وأنني غير مخس فضل والده

ونائل دون نيل وصفه زحل [٢٧١]

---

[٢٦٥] ديوان المتنبي، شرح العكبري ،ج/ ٤ ، ص٧٦.

٢٦٦ ديوان المتنبي، شرح العكبري ،ج/ ٢ ، ص٣٩٥.

[٢٦٧] كتاب الأنواء ، ابن قتيبة ، ص ٦٥.

٢٦٨ المصدر نفسه والصفحة.

[٢٦٩] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/ ٢ ، ص١٢٦.

[٢٧٠] كتاب الأنواء ، ابن قتيبة ، ص ٤٦.

٢٧١ ديوان المتنبي، شرح العكبري ،ج/٣ ، ص ٣٦٦.

وقد تصورت الدارسة أنه خصَّ زحل بالذكر دون سائر الكواكب لأنَّه أبعدها عن الأرض.[٢٧٢] وبذلك يفي بمقصود الشاعر في تصوير التناهي في بعد المطلب وأشار في موضع آخر من ديوانه إلى الحكم الظني الشائع حول نحس زحل.[٢٧٣]

أَنتَ لِعَمري البَدرُ المُنيرُ وَلَـ
كِنَّكَ في حَومَةِ الوَغى زُحَلُ [٢٧٤]

شبه الشاعر في هذا البيت الممدوح في إهلاكه لمن حارب بكوكب زحل، وقد اقترن ذكر زحل بالنحس لدى كثير من الشعراء، كما نرى لدى أبي تمام في قوله:

إِحدى المَصائِبِ حَلَّت في دِيارِ بَني
عِمرانَ لَيسَت لَها أُختٌ وَلا مَثَلُ
أَلوى بِتيجانِهِم يَومٌ أُتيحَ لَهُ
نَحسٌ وَأَثقَبَ فيهِ نارَهُ زُحَلُ [٢٧٥]

ومن الكواكب النواحس الدبران[٢٧٦] وقد ذكره الشاعر في قوله:

نَفى وَقعَ أَطرافِ الرِماحِ بِرُمحِهِ
وَلَم يَخشَ وَقعَ النَجمِ وَالدَبَرانِ
وَلَم يَدرِ أَنَّ المَوتَ فَوقَ شَواتِهِ
مُعارُ جَناحٍ مُحسِنِ الطَيَرانِ [٢٧٧]

ورد البيت في قصيدة أنشدها الشاعر بعد مقتل شبيب العقيلي الذي خرج على كافور الإخشيدي. وقد كان المتنبي في هذه القصيدة مهتماً بفكرة حتمية القضاء

٢٧٢ كتاب الأنواء ، ابن قتيبة ، ص ١٢٦.
٢٧٣ نهاية الأرب ، النويري ، ج/١ ، ص٣٨.
٢٧٤ التبيان ، العكبري ، ج/٣ ، ص٢١٦.
٢٧٥ ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد عبده عزام ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٥م، ج/٤ ، ص١٢١.
٢٧٦ كتاب الأنواء ، ابن قتيبة ، ص ٣٧.
٢٧٧ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ٢٤٤.

والقدر، الذي أدى دوره في الصراع الدائر بين كافور وشبيب، فحكم لكافور وأهلك شبيب. كشأنه في إعطاء من لا يستحق:

وَلِلَّهِ سِرٌّ في عُلاكَ وَإِنَّما

كَلامُ العِدا ضَربٌ مِنَ الهَذَيانِ [٢٧٨]

ترى الدارسة أنَّ الشاعر طرح مزايا كل من الخصمين؛ فأسهب في وصف شجاعة شبيب، على الرغم من أنَّ موقفه كشاعر في بلاط كافور كان يحتم عليه تجنب هذا المسلك في ذكر رجل عادى كافور. ومن هنا كان وقوع النجم والدبران إحدى ضربات القدر التي استوحى الشاعر فيها رأي العرب في هذا الكوكب غير المحمود.

قد أورد الشاعر إحدى الأساطير العربية التي ربطت بين ظهور سهيل ووقوع الوباء في الحيوانات.[٢٧٩] وهي عادة معروفة عند العرب في نسبة كثير من الحوادث الطارئة أو العارضة إلى فعل الكواكب، فقال:

وَتُنكِرَ مَوتَهُم وَأَنا سُهَيلٌ

طَلَعتُ بِمَوتِ أَولادِ الزِنـاءِ [٢٨٠]

فقد هيَّأت له هذه الأسطورة المقابلة بين السمو الذي مثله بالنجم، والانحطاط الذي مثله بالبهائم، حين جعل ظهوره سبباً للهلاك الذي ألمَّ بهم. كما تحكي الأسطورة عن هلاك البهائم بظهور سهيل. وقال مشيراً إلى الجوزاء:

خَميسٌ بِشَرقِ الأَرضِ وَالغَربِ زَحفُهُ

وَفي أُذُنِ الجَوزاءِ مِنهُ زَمازِمُ [٢٨١]

ورد هذا البيت في قصيدة أنشدها عندما حاول البيزنطيون الاستيلاء على قلعة الحدث، بجيوش عظيمة امتد زحفها شرقاً وغرباً وبلغ ضجيجها عنان السماء ويمكن القول إن استعارة الأذن للجوزاء في البيت قد بنيت على تصور العرب لنجم

---

[٢٧٨] المصدر نفسه، ج/٤ ، ص ٢٤٠.

[٢٧٩] كتاب الأنواء ابن قتيبة، ص ١٥٥.

[٢٨٠] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص١٢.

[٢٨١] المصدر نفسه ، ج/٣ ، ص ٣٨٤.

الجوزاء حين مثلوه بالملك؛ إذ تراءى لهم تشكيل النجوم فيه بصورة رجل على رأسه تاج.[٢٨٢] وفيما جاء للفخر بروعة المنطق شبه نفسه بالجوزاء:

أَنا صَخرَةُ الوادي إِذا ما زوحِمَت

وَإِذا نَطَقتُ فَإِنَّني الجَوزاءُ [٢٨٣]

قد تتعدد الآراء حول تعليل إيراده للجوزاء في البيت؛ فكأنَّ وجه الشبه لدى البعض الارتفاع والسمو[٢٨٤]، كما هو متداول بشكل واسع في الشعر العربي في التشبيه بالنجوم. وقال آخرون إنَّه شبه الجوزاء بالإنسان العظيم. وذكر فريق ثالث إنَّه خصَّ الجوزاء لأنّها بنت عطارد الذي عرف لدى المنجمين بأنه نجم اللسن والفصاحة،[٢٨٥] ولهذا سمي بالكاتب.

بعد أن وقفت الدارسة على ثقافة المتنبي اللغوية والدينية والفلسفية والتاريخية، وتناولت المعارف الأخرى، لا تدعي بأنَّها قد ألمت إلماماً كاملاً أو أحاطت إحاطة شاملة، أو كشفت كشفاً دقيقاً مستفيضاً عن ثقافة المتنبي بجميع أبعادها؛ لأنَّها تدرك أنَّ جزءاً من ثقافة الإنسان – قد يكون صغيراً وقد يكون كبيراً – لا يظهر على لسانه وإن كان يؤثر تأثيراً كبيراً في سلوكه أو ذوقه، أو تفكيره أو خياله، كذلك فإنَّ الإشارات التي استقصاها هذا الفصل لا يمكن الادعاء بأنَّها ثقافة خاصة بالمتنبي؛ لأنَّ جزءاً من هذه الثقافة لم يحصل عليه الشاعر عن طريق الاطلاع الشخصي، أو الاجتماع الخاص بالعلماء وذوي المعرفة، وإنَّما تسرب إليه عن طريق المجتمع الذي عاش فيه وتأثر بفكره، فهي إذن ثقافة المجتمع– في القرن الرابع الهجري– وليست ثقافة الفرد.

---

[٢٨٢] كتاب الأنواء، ابن قتيبة، ص ٤٥.

[٢٨٣] ديوان المتنبي، شرح العكبري،ج/ ١ ، ص١٥.

[٢٨٤] ديوان المتنبي ، شرح ابن جني ، ص ٤٠٩.

[٢٨٥] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الأصفهاني ، ص ٩٣.

الفصل الثالث

الموروث الشعري في شعر المتنبي

الموروث الشعري في شعر المتنبي

اختارت الدراسة أثر الموروث الشعري عنواناً لهذا الفصل؛ لتقدم صورة لاستجابة الشعراء للتيارات الثقافية التي عرفها القرن الرابع الهجري، ومدى قدرة الشاعر على استخدام المعرفة في تقديم شعر معبر عن مدى انفعال عقل الشاعر بالثقافة المتاحة. ويقوم هذا الفصل على الإشارات المختلفة التي التقطها من ديوان المتنبي فيكشف عن معارفه وعن الآراء التي وضعها العلماء لهذا النوع من الدراسة.

لابد أن نتطرق في هذه الجزئية إلى ثقافة المتنبي الأدبية، وهي حصيلة من التراث الشعري الذي تناهى إليه عبر القرون. وهذا الجانب أكثر أهمية برأي الدراسة من غيره؛ إذ ليس لشاعر غنى عنه، فإذا كان حديثنا عن شاعر من رعيل القرن الرابع الهجري، أدركنا مدى أهمية هذا الجانب في شعره.

وقد حظيت دراسة أثر الموروث في شعر الشعراء باهتمام النقاد العرب وشغلت حيِّزاً كبيراً في الدراسات النقدية ممثلة في تتبع المعاني والصور لدى الشعراء من عصر لآخر. ومعرفة مدى تأثر اللاحق بالسابق، وما أضافه إليه فيما عرف بدراسة السرقات الشعرية. وقد كان استيحاء الموروث الشعري أو التأثر به من أقدم الظواهر في أدبنا العربي، ولا نكاد نجد شاعراً لم يستفد من شعر غيره الذي يمثل لديه حياة أخرى وعالماً آخر يذخر بالتجربة والفكر.

المبحث الأوَّل : حفظ الأشعار ودوره في تقوية الملكة الأدبية :

الشعر فن من فنون كلام العرب، عماده وسره وجوهره الموهبة أو الملكة أو الاستعداد الفكري لدى المرء. غير أنَّ هذه الملكة بحاجة إلى أدوات تعينها على الظهور حتى تقتدر في فنها. وقد اشتملت هذه الأدوات على إطار شعري يمثل صلة الإنسان بالتراث القديم في هذا الفن. إذ إنَّ الشعر ككل فن لم يخلق على غير مثال؛ لذلك كان للمعرفة أثرها البعيد في الفن الشعري وبالرغم من حاجة الشاعر إلى هذه المقومات أو الخبرات فإنَّها لا تؤتي ثمارها ما لم تتوفر لها تربة خصبة مؤهلة لهذا الفن. وقد أجاد ابن الأثير في تصوره حين قال: (متى لم يكن ثمت طبع لن تفد تلك الآلات شيئاً البتة، فمثل الطبع كمثل النار الكامنة في الزناد، ومثل الآلات كمثل

الحراق والحديدة التي يقدح بها، ألا ترى أنَّه إذا لم يكن في الزناد نار لا يفيد ذلك الحراق ولا تلك الحديدة شيئاً).[١]

ترى الدارسة أنَّ وجود الفنان أو الشاعر مرتبط بانبثاق هذه الملكة في نفسه، ومتى انعدمت فالأولى بالشاعر أن ينصرف عن هذا الفن، وأن لا يضني نفسه في طلبه ولكن هذه الملكة قد يلحقها العجز ما لم يتعهدها الشاعر بالعناية ويزودها بما تفتقر إليه. فالموهبة وحدها لا تخلق شاعراً قوياً، وهذا لا يعني أن ننكر على المطبوع قدرته على الخلق والإبداع. فقد يتحقق له ذلك دون وعي وبصيرة ومتى قصرت عن غايتها (كالمقعد الذي يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة)[٢]. ومن ثم كان لزاماً على الشاعر أن يتعهد هذه الملكة بالصقل والمران، وسيرته ووسيلته إلى ذلك حفظ الأشعار ودراستها. وقد تنبه النقاد منذ فترة مبكرة من تاريخ الأدب إلى أهمية الحفظ في تنمية ملكة النظم لدى الشاعر، لذلك رأينا رؤبة والأصمعي[٣] يقرنان صفة الفحولة بحفظ الشعر وروايته، ومنهم من جعل الرواية أحد الأسس التي تقوم عليها صناعة الشعر كما نرى لدى الجرجاني.[٤]

تحدث ابن طباطبا العلوي عن دور الحفظ في تنمية ملكة النظم فنراه يوصي الشاعر بأن: (يديم النظم في الأشعار لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه وتصير مواد لطبعه ويذوب لسانه بألفاظها، فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده نظره فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة سبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن، وكما قد اغترف من واد قد مدَّته سيول جارية من شعاب مختلفة، وكطيب قد تركب من أخلاط كثيرة فيستغرب عيانه ويغمض مستنبطه[٥]).

---

[١] الجامع الكبير ، ابن الاثير، تحقيق: مصطفى جواد ، المجمع العلمي ، بغداد ١٩٥٦م، ص ٦.

[٢] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج/١ ، ص٩٧.

[٣] المصدر السابق ، ج/١ ، ص١٩٧.

[٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني ، ص ١٥.

[٥] عيار الشعر ، ابن طباطبا، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٥٦م ص ٧.

عرف الشعراء منذ العصر الجاهلي نظام التلمذة، فالشاعر منهم يلزم الآخر زمناً طويلاً يروي شعره، ويتعلم منه قوانين النظم وأصول الصنعة الشعرية، وعرف بعضهم برواية شعر بعضهم الآخر؛ فزهير راوية أوس، والحطيئة راوية زهير، وأبو ذؤيب راوية ساعدة بن جؤبة.[٦] والى جانب نظام التلمذة – الذي رأيناه عند هؤلاء وغيرهم – وجدنا من الشعراء من يعكف على دواوين الفحول بالقراءة الواعية حتى يحقق لنفسه ثقافة شعرية واسعة، كما نرى لدى الفرزدق الذي عرض في قصيدة له مكونات ثقافته الشعرية وثقافة أقرانه؛ كالمساور بن هند بن قيس العبسي والراعي والأخطل. وقد تألف محفوظه من شعر أصحاب المعلقات؛ كامرئ القيس ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى، وعبيد بن الأبرص، والنابغة الذبياني، وغيرهم من أعلام الجاهلية؛ كالمخبل ربيعة بن مالك، وبشر بن أبي حازم، ومن المخضرمين؛ مثل كعب بن زهير، وحسان ابن ثابت، والحطيئة، ومن الإسلاميين الراعي.[٧]

لعل في اختيار الفرزدق لشعر هؤلاء الأعلام ما يوحي بأنَّ الشاعر كان يختار المحفوظ بوعي كامل وفقاً لموقفه الخاص. وقد يكون اشتراك طائفة من الشعراء في موروثهم الشعري ما يجوّز لنا التشابه الذي قد نلاحظه في نتاج هؤلاء الشعراء. وعرف عن كثير من الشعراء اهتمامهم بالمحفوظ؛ فهذا هو الأصمعي يمتحن أبا نواس فيجده حافظاً لشعر ثمانين امرأة مكثرات مقلات[٨]. ويروى عن أبي تمام أنَّه كان يحفظ ألف أرجوزة، وأنّه لم يكن ليضيع أدنى فرصة تتهيأ له ليحفظ المزيد من الشعر يغذي به ملكته.[٩]

تجد الدارسة من النقاد من حاول أن يهيئ للشاعر هذا المحفوظ؛ مثل ذلك الكتاب الذي ألفه ابن طباطبا تحت عنوان تهذيب الطبع. وفي اسم الكتاب إشارة واضحة إلى الهدف الذي وضع من أجله؛ وهو صقل الموهبة وتهذيبها بتهيئة

---

[٦] الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني ، ص ١٥.

[٧] نقائض جرير والفرزدق ،أبو عبيدة (معمر بن المثنى) تقديم بفان (انتوني اشلي ، مطبعة ليدن ١٩٠٥– ١٩٠٧م.

[٨] ديوان أبي نواس ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ج/٤ ، ص ١٢.

[٩] ديوان أبي تمام ، ج/٤ ، ص ٦٠٤.

الأشعار التي رأها الناقد مؤدية لهذا الغرض. وقد حدد ابن خلدون في مقدمته ما يحتاج إليه الشاعر من محفوظ، وعين أقل قدر منه في إطار شعر شاعر من الفحول الإسلاميين؛ كابن أبي ربيعة، وكثير، وذي الرمة، وجرير، وأبي نواس، وحبيب، والبحتري، والرضي، وأبي فراس، وذكر كتاب الأغاني كجامع لأشعار الطبقة الإسلامية ومختار الجاهلية.[١٠]

فللمحفوظ أثره الكبير في نمو ملكة النظم وتوجيه مسارها؛ لأنَّه يسهم إلى حد كبير في تكوين خصائص الأسلوب وسماته، لذلك رأينا ابن خلدون يعزو ما يجده من صعوبة في نظم الشعر – مع حفظه لجيد الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب– إلى ما حصل من خدش في وجه النظم عنده؛ لحفظه الأشعار العلمية، والقوانين التأليفية، ومن هذا المنطلق رأيناه يحكم على شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار بالقصور، وانحراف العبارة عن أساليب العرب في كلامهم.[١١]

لقد أدرك الشعراء والنقاد أهمية الموروث الشعري؛ فالشاعر يكوّن أسلوبه بطريق القراءة وحفظ النماذج، ثم يبدأ في الصوغ على أنماطها، وهو ما أطلق عليه الجرجاني اسم الدربة وجعله قرين الطبع والرواية، ويمكن القول إنَّ هذا المران يسهم في تنظيم هذا الموروث الشعري في ذاكرة الشاعر، وبالتالي تزداد قدرة الذاكرة على الاستفادة مِمَّا حفظت؛ ويجعل ذلك الشاعر مهيئاً لإنتاج ناضج قد حوى ثمرات ما قرأ وحفظ. ويبدو هذا واضحاً عندما نقارن بين أسلوب شاعر في مرحلتين متباعدتين من حياته الشعرية؛ ومتى تكون للشاعر أسلوب خاص بعد التمرس بإشعار غيره لا نجد هذا الأسلوب مطابقاً لأسلوب شاعر بعينه ممن حفظ لهم، بل إنَّ نتاج هذه القراءة يبدو من خلال شعره نتيجة للتفاعل الذي تم بين محفوظه وأسلوبه الخاص، وهو ما وصفه ابن طباطبا بالسبيكة المفرغة من جميع الأصناف، وبالوادي الذي أمدته شعاب مختلفة.[١٢]

---

[١٠] مقدمة ابن خلدون، دار الشعب ، القاهرة ، د ت ، ص ٥٣٨.

[١١] المصدر نفسه ، ص ٥٨٣.

[١٢] عيار الشعر، ابن طباطبا ، ص ٧.

ترى الدارسة أنَّ لهذا المحفوظ مميزات حسنة تتمثل في صقل موهبة الشاعر وتقوية ملكته وبذا يحقق المحفوظ فائدة كبيرة للشعراء، ولكن في الوقت نفسه له خطره، فقد يؤدي هذا المحفوظ إلى خلق شاعر مقلد لا إبداع له، إذ إنَّ التصاقه الشديد بالنماذج الشعرية يصبغ إنتاجه بصبغتها، فتقحم نفسها – دون وعي منه أحيانا وعن وعي أحيانا أخرى – فيما يصدر عنه من أشعار، ومن ثم يبقى الشاعر عالة على معاني غيره.

وقد تنبه النقاد إلى هذا الجانب السلبي لدراسة الموروث الشعري، لذلك رأيناهم يشيرون على الشاعر بأن ينسى ما حفظ من نماذج قبل أن يشرع في النظم، نستدل على ذلك فيما يروى عن نصيحة عبد الله القسري لابنه خالد حين أمره بنسيان ألف خطبة كان قد أمره بحفظها،[١٣] وتوجيه خلف الأحمر لأبي نواس بنسيان ألف قصيدة ومقطعة بعد حفظها.[١٤]

الاستفادة من المحفوظ تتم على خطوات؛ تبدأ بالدراسة الواعية للأشعار التي يراها الشاعر أهَّم من غيرها، وبعد أن يتم له حفظها يخلد ذهنه إلى فترة من الراحة والكمون ينسى خلالها ما حفظ (لتحمي رسومه الظاهرة إذا هي صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب منها كأنَّه منوال يأخذ للنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى مشابهة).[١٥] والى جانب الاتصال بالموروث الشعري لصقل الموهبة وتطويرها بالدربة والمران فقد يحتاج الشاعر إلى تقويم أداة التعبير عمّا يجول بخاطره من الصور والمعاني، وسبيله إلى ذلك تحصيل العلوم التي تحقق هذه الغاية، كالنحو واللغة ليصلح بهما لسانه ويقوم إعرابه فيما يرى الأصمعي وابن طباطبا وابن رشيق،[١٦]

اقترح حازم وسيلةً رأى فيها خير معين للشاعر على تحصيل اللغة واستيعاب قواعد العروض، تلك هي العيش بين الفصحاء المستعملين للأناشيد المقيمين

---

[١٣] المصدر نفسه، ص ١٠.

[١٤] أخبار أبي نواس، ابن منظور، شرحه وضبطه: محمد عبد الرسول وعباس الشربيني، مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٢٤م ص ٥٥

[١٥] مقدمة ابن خلدون، ص ٨٣٨.

[١٦] عيار الشعر، ابن طباطبا، ص ٤ . العمدة، ابن رشيق، ج/١، ص ١٩٧.

للأوزان.[17] وترى الدارسة أنَّ حفظ الشعر والتمرس به قد يغني الشاعر في بعض الأحيان عن الاستيعاب الموجه لبعض هذه العلوم، فالحفظ وسيلة ناجعة لتحصيل المواد اللفظية وتقوية السليقة اللغوية وتنمية الإحساس بموسيقى الشعر. ولعل ابن رشيق كان مدركاً لهذه الناحية حيث أشار إلى أنَّ الشاعر المطبوع مستغن بطبعه عن دراسة علم العروض، بخلاف ضعيف الطبع من الشعراء الذي يفتقر إلى شيء منه بعينه في نظمه، كذلك فطن الشاعر إلى أهمية الاتصال بالأشكال الأدبية غير الشعرية، وخاصة ما كان منها على درجة عالية من البلاغة متفق عليها بين النقاد، فاهتم الشعراء بحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي؛ اللذين يمثلان أرقى مراتب البلاغة العربية، لذلك وصف ابن خلدون كلام الإسلاميين من العرب بأنَّه أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم، لأنَّ هؤلاء سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث.[18]

ولمَّا كان الشعر ديوان العرب ضمنته كل معارفها فقد كان الشاعر مطالباً بالأخذ بطائفة من المعارف إلى جانب ثقافته الأدبية لاتساع الشعر واحتماله كلَّ ما حمل، ويمكن القول إنَّ هذه المعارف تشكل جانباً من ثقافة الشاعر لا يقل أهمية، فالشاعر مفتقر إلى استيعابها؛ لكي يتمكن من فهم ما يحفظ من شعر يصقل به ملكته. كما هو بحاجة إلى استمدادها حيث ينظم. فالأنساب كعلم اتقنه العربي؛ ليعينه في ذكر المثالب والمناقب فيما قصد من مدح وذم[19]، وتاريخ العرب بما حوى من الأخبار والأيام ليصطنعها في ذكر الآثار وضرب الأمثال.[20] ولقد أضاف ابن رشيق علوماً أخرى تشكل جانباً من بناء الثقافة العربية وهي الفقه والفرائض والحساب[21].

---

[17] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦م ص ٤٠ .

[18] مقدمة ابن خلدون، ص ٨٣٩.

[19] عيار الشعر، ابن طباطبا ، ص٤ ، والعمدة، ابن رشيق ، ج/١ ، ص ١٩٧.

[20] العمدة، ابن رشيق ، ج/١ ، ص ١٩٧.

[21] المصدر نفسه ،ج/١ ، ص ١٩٦.

إلى جانب ما ذكرت الدارسة من معارف اشتملت على التاريخ وعلم الأنساب والفقه والفرائض والحساب، فقد عرف أدباؤنا علوماً أخرى دخلت في إطار الثقافة العربية نتيجة لنضج العقلية العربية، بما تهيأ لها من اختلاط بأمم ذات علوم مستقرة، فمنها ما دخل في نطاق العلوم العقلية، كالمنطق والفلسفة، وما دخل في العلوم الطبيعية كالفلك والطب وغيرها، مثال ذلك ما ذكره ابن قتيبة عن أبي نواس من أنَّه مفتن في العلم قد نظر في النجوم (الفلك) تارة[٢٢]، وعن أنَّه نظر في علم الطبائع[٢٣] تارة أخر، وما اشتهر من تعلق المحدثين – كأبي تمام والمتنبي – بالفلسفة، رغم شيوع هذه المعارف في الوسط الأدبي وإقبال الأدباء عليها؛ إدراكاً منهم لحاجة الأديب أو الشاعر إلى الإلمام بما يعرض له من العلوم، وهو ما عبر عنه ابن قتيبة قائلاً: (من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً. ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم[٢٤]).

ترى الدارسة أنَّ هذا العلم بالمعارف المختلفة لم يقبله كثير من النقاد؛ ولعل هذا الرفض يرتبط بفهم هؤلاء النقاد لماهية الشعر وغايته، فالشعر عندهم ما حرك النفوس وهز الأفئدة، بخلاف العلوم التي تتعلق بالإدراك الذهني أو العقلي، وللشعر معانيه وألفاظه التي فطرت النفوس على التأثر بها من المحسوس والمجرد؛ فإنَّ أدخلنا المعاني العقلية في الشعر نأينا به عن غايته، وهي التأثير في نفوس المتلقيين. إنَّ إدخال العلم في الشعر كان في نظر هؤلاء تجديداً خالف به الشعراء المحدثون ما ورثوه من تقاليد السلف التي سار عليها الشعراء في نظمهم. وعلى الرغم من استبعاد النقاد لهذه الثقافة العامة من ميدان الشعر – رفض الجاحظ لمصطلحات المتكلمين[٢٥]، وعد الآمدي فلسفة أبي تمام من عيوب شعره ،[٢٦] فإن هذين الناقدين وغيرهما كابن رشيق وابن سنان الخفاجي لم يملكوا إزاء انتشار العلوم في الوسط الأدبي وإقبال الأدباء عليها إلاَ أن يتسامحوا بالقليل منها، فأجاز الجاحظ ذلك ، على سبيل

---

[٢٢] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٧م ص ١٩٨.

[٢٣] المصدر نفسه ، ص ٨٠٢..

[٢٤] المصدر نفسه ، ص ٨٠٣.

[٢٥] البيان والتبيين، للجاحظ ، ص ٧٨ ، ٧٩.

[٢٦] الموازنة ، الآمدي ، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ١٩٧٢م ص ٣٧.

التملح والتظرف. ولم يمانع ابن رشيق في وقوع قدر من العلم في الشعر على ألا يجعل نصب العين فيكون متكأ واستراحة –على حد تعبيره–.[27]

وعلى الطرف الآخر نرى ناقداً كابن الأثير يرحب بإدخال المحصول الفكري في الشعر، لأنَّ الشعر في نظره مستمد من كل علم وكل صناعة، والشاعر حر في استخدام الألفاظ والمعاني التي تفي بالغرض أيَّاً كان مصدرها[28]. ونرى حازماً القرطاجني يتخذ موقفاً متوسطاً بين هذين النقيضين ونلمح لديه اهتماماً واضحا بجمهور المتلقين. ومن هذا المنطلق وضع تقسيمه للمعاني التي يستعيرها الشاعر من ثقافته، وهي ما أطلق عليها اسم المعاني غير الجمهورية. فيجعلها قسمين:

أوَّلهما: معاني غير جمهورية يمكن للجمهور أن يتذوقها إن عرف بها؛ كالأخبار القديمة وطرائف التاريخ، وقد استحسن إيراد هذا النوع في الشعر.

ثانيهما: معاني غير جمهورية بعيدة عن إدراك جمهور المتلقين، وإن قاربت إدراكه لم يتذوقها؛ كمعاني العلوم والصناعات، وهذه لا تحسن في الشعر فيما يرى. وقد علل حازم رفضه لهذا النوع من المعاني بأنَّها مرتبطة بما يدركه الذهن، فاختلفت بذلك على المدركات الحسية التي يقوم عليها بناء الشعر، ولمَّا كانت هذه المعاني مِمَّا لا يرد إلا تابعا للمدركات الحسية، فالأولى بالشاعر أن يتجنبها حتى لا يجره استعمالها إلى مخالفة المعهود من تشبيه الأظهر بالأخفى.[29] وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي ارتضاه حازم نراه يحاول أن يبعد الشعر عن تيار الغموض– الذي قد ينجرف إليه الشاعر مدفوعاً برغبته في عرض ثقافته خلال شعره– وذلك حين نجده يقيد ما استحسن إيراده في الشعر من التاريخ والقصص بصفة الشهرة.

يحاول حازم أن يتجنب الوقوع في مزالق الحكم العام؛ فيبيح للشاعر أن يستخدم المعاني العلمية إذا كان غرض الشاعر مبيَّناً على ذكرها؛ فالشاعر – في رأيه – حر في

[27] العمدة ، ابن رشيق ، ج/١ ، ص ١٢٨.

[28] المثل الثائر ، ابن الأثير ، ص ٤٦٤.

[29] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني، ص٢٥ وما بعدها.

اختيار المعاني التي تعينه على تحقيق مقصوده.[٣٠] وهو بذلك يخالف ابن سنان الخفاجي في حصر الصناعة على ألفاظ ومعانٍ لا تحيد عنها.[٣١]

ترى الدارسة أنَّ حازماً قد تعرض لكيفية استخدام الشاعر بما استحسنه من الثقافة في الشعر، فذكر أنَّ إيراد الشاعر للمعاني التي يستعيرها من ثقافته يتطلب مهارة فنية واسعة، فليس الشاعر مجرد ناقل لنخبة من المعلومات بينها خلال شعره كيفما اتفق، وإنَّما يجب عليه أن يعمل فكره في إيجاد التناسب بين المقاصد الأساسية التي عليها شعره وما يستعيره من المعاني.

تحدث حازم أيضاً عن الأمثال والحكم كمصدر للمعاني أغرم به الشعراء، فأورد ضروبا من التصرف والتغيير للشاعر والتي يستخدمها ليتم له إيراد هذه الأمثال على الوجه الذي يراه مناسباً. وذكر أنَّ إرداف الشاعر لمعانيه لهذه الأمثال يكون بالتضمين أو بالإشارة؛ للاستدلال أو التعليل. وللشاعر أن يغير من العبارة التي ورد بها المثل، وأن يختصر الأمثال ويجمع عدداً منها في البيت الواحد. وقد تمتد يده للمناسبة التي يذكر فيها المثل فيتمثل به في غيرها، فإن وفق فيما قصد حسن منه ذلك وإن لم يوفق – وبقي أصل المثل أفضل – لحقه التقصير.[٣٢]

هذه صورة موجزة لموقف الأدباء العرب من الملكة الأدبية وما تحتاج إليه من صقل، وهي معروضة أمام المتنبي اختار ما أراده منها وترك سواها.

---

[٣٠] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ١٩٠.

[٣١] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي ، تصحيح وتعليق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة صبيح القاهرة ١٩٥٣م ص ١٩٥ .

[٣٢] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، ص ٣٩٠ وما بعدها.

المبحث الثاني: إلمام المتنبي بأشعار القدماء:

اختارت الدراسة هذا الجزء لتقدم صورة لاستجابة المتنبي للتيارات الثقافية. فلم يغفل المتنبي عن أهمية التراث الأدبي في حياة أيّ شاعر، فقد أشار إلى بعض الجوانب المهمة في عملية الإبداع الفني، ومدى استفادته من محفوظ الشاعر الذي اختزنته الذاكرة فيستمد منها الصور والمعاني التي يوردها في شعره، فالذاكرة عنده تقوم بدورها في التذكر التلقائي اللاواعي، إلى جانب التذكر المتعمد أو استدعاء المعاني التي يحتاج إليها الخيال، فيجد الشاعر في الذاكرة منجماً يغني الملكة ويغذيها. ولا يبرئ الشاعر خاطره مِمَّا قد ينساب على قلمه دون وعي منه لكثرة ما يحفظ من أشعار غيره؛ فالحفظ سبب قوي في تأثر الشاعر بغيره واستيحائه معانيه.[٣٣]

تنبه إلى ذلك كثير من النقاد؛ فالآمدي يفرق بين تعمد الشاعر للأخذ عن غيره وعفويته، فيعلل تأثر البحتري بأبي تمام وأخذه عنه بكثرة ما كان يطرق سمعه من شعره[٣٤]، كذلك كان شغف أبي تمام وجُهده في جمع المختارات الشعرية سبباً فيما أخذ عليه من ترسم معاني غيره[٣٥] تحدث المتنبي في مجلس المهلبي وفي حضرة العلماء عن التشابه الذي يقع بين معاني وصور بعض الشعراء، فيُتهم بعضهم بالأخذ عن بعض، واستنكر الإجحاف بحق الشاعر في تناول ما يلوح له من المعاني والألفاظ، كأنَّه يشير بذلك إلى محنة الشعراء المحدثين الذين لم يسلموا من النقد بسبب تداولهم المعاني التي سبق للمتقدمين أن طرقوها، في الوقت الذي لم يبرأ فيه شاعر جاهلي أو إسلامي من التأثر بغيره والاستعانة بشعره.[٣٦]

ولكي يدلل المتنبي على أنَّ تأثر الشعراء وأخذهم ممن سبقهم مسلك مألوف في تاريخ الأدب اتبعه شعراء الجاهلية والإسلام من الفحول الذين عدَّهم الشعراء في العصور التي تلت مثلا أعلى يحتذونه ويترسمون خطاه، عرض بعض أشعار الجاهلية مثل شعر

---

[٣٣] الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، ص ١٠٧.

[٣٤] الموازنة، الآمدي ، ص ١٤

[٣٥] المصدر نفسه، ص ٤٦.

[٣٦] انظر الرسالة الموضحة ، الحاتمي ص ٤٣.

امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى والأعشى، فامرؤ القيس استوحى

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر [٣٨]

قوله:

كأن غلامي إذ علا حال متنه

على ظهر باز في السماء محلق [٣٧]

من قول أبي دؤاد الإيادي:

إذا شاء راكبه ضمه

كما ضمّ باز إليه الجناح [٣٩]

اتبع زهير ابن أبي سلمى المسلك نفسه حين ترسم خطى المهلهل في قوله:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا [٤٠]

قال المهلهل:

انبضوا معجس القسيّ وابرقِ

نا كما توعد الفحول الفحولا [٤١]

ثم قدم المتنبي صورةً لهذا المسلك من شعر المحدثين؛ كأبي نواس، والبحتري، وأبي تمام. فأبو نواس أسوةً لمن أتى بعده وهو القائل:

وتدخل عينها في كل قلب

مداخل لا تغلغلها المدام [٤٢]

---

[٣٧] ديوان امرئ القيس ، ص ١٣١.

[٣٨] الرسالة الموضحة، الحاتمي، ص ١١٠. ، ديوان ذي الرمة ، تحقيق كارليل هنري هيس ، طبع كمبردج ، ١٩١٩م ص ٢١٣.

[٣٩] انظر الرسالة الموضحة ، الحاتمي ص ١٤٣.

[٤٠] الرسالة الموضحة، الحاتمي ، ص ١٤٥. شرح ديوان زهير ،صنعة أبي العباس ثعلب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ص ٥٤.

[٤١] الرسالة الموضحة، للحاتمي ، ص ١٤٥.

[٤٢] المصدر نفسه ، ص ٢١٠ . ديوان أبي نواس، ص ٣٧٩ .

ويدخل حبه في كل قلب مداخل لا تغلغلها المدام

واسترشد فيه بقول ذي الرمة:

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ[٤٣]

وقد وجد المتنبي في شعر أبي تمام دليلاً واضحاً على التأثر بالموروث الشعري واستيحائه فيما نظم، ونراه يعرض لبعض أشعاره التي بدأ فيها التأثر واضحاً فقد أخذ قوله:

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل

كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من نوْر تفتحه الصبا

بياض العطايا في سواد المطالب[٤٤]

من قول الأخطل:

رأين بياضاً في سواد كأنه

بياض العطايا في سواد المطالب[٤٥]

قدَّم المتنبي بهذه المناقشة لشعر بعض فحول الجاهلية والإسلام ومشاهير المحدثين صورة لما حواه موروثه الشعري الذي تألف من عناصر مختلفة تجاور فيها القديم بالحديث، مؤلفاً بذلك حصيلة أغنت خياله وأمدته بمادة وفيرة استعان بها فيما نظم. ترى الدراسة أنَّ دخول الشاعر في مناقشة شعر هؤلاء وغيرهم في مجلس المهلبي، وفي حضرة معارضيه دليل واضح على ثقته باطلاعه الدقيق على شعرهم، وتتبعه للمنابع أو الأصول التي استمدوا منها معانيهم؛ إحساساً منه بأهمية هذا الجانب في دراسة الشعر.

لقد أخضع المتنبي ذاكرته لعمليات منظمة لتكوين موروث شعري تعددت مصادره وتنوعت، وقد بدأ هذا الجُهد في سن مبكرة بلا شك يمكن أن نرجعها إلى حياته الأولى في كتاب الكوفة، حيث كان الشعر جزءاً مِمَّا يتعلمه الصبي ثم تلقفته

---

[٤٣] ديوان ذي الرمة ، ص٣٩.

[٤٤] الرسالة الموضحة، الحاتمي، ص ١٦١. ، ديوان أبي تمام ، ص ٢٠٥.

[٤٥] المصدر نفسه ، ص ١٦١. البيت غير موجود بديوان الأخطل.

دكاكين الوراقين التي حفلت بدواوين الشعراء، إلى جانب ما ذخرت به بيئة القرن الرابع من مؤلفات مختلفة. وقد كان الصبي يعد نفسه لنظم الشعر ومن ثم أقبل على الحفظ وساعده على تنمية هذا الجانب ما تميز به من حافظة نادرة ومثابرة على الدرس والتحصيل.

لقد أبدى المتنبي اهتماماً بحضور مجالس الشعراء وكتابة ما يملونه على الحضور، فقد ادعى الناشئ الأكبر أنَّ الشاعر كان يحضر مجلسه بالكوفة، وقد كتب عنه بعض أشعاره التي استوحاها في بعض شعره[٤٦]. وقد نشك في مثل هذا القول إذ إنَّه صادر عن الناشئ نفسه ويحمل في أعطافه اتهاماً بالسرقة، مِمَّا يدفع الباحث إلى تصور الوضع فيه؛ فقد كان الناشئ من شعراء الشيعة الذين سخروا شعرهم لمدح آل البيت وقد زار حلب ومصر وبغداد[٤٧]، ولكنَّه لم ينل شهرة كالمتنبي ولعله أراد المشاركة في الحركة النقدية التي اتجهت لدراسة أثر التراث الشعري في شعر المتنبي من خلال بحث سرقاته.

نظير ذلك ما رواه ابن وكيع التنيسي، عن علي بن حمزة البصري، من أنَّ المتنبي عارض في مطلع حياته شاعر البصرة نصر بن أحمد الخبز أرزي في قصيدته الشاطرية[٤٨]، وإن لم تجد الدراسة بالديوان هذه القصيدة، فإنَّ المعارضة منهج معهود من الشعراء ؛ للدربة أو تدريب الملكة من جهة، ولإظهار البراعة والاقتدار من ناحية أخرى. لم يقتصر هذا الجهد لتكوين ثقافة شعرية على مراحل حياته الأولى بل لازمه طوال حياته. نستدل على ذلك بما تناوله المؤرخون عن لزومه لديواني أبي تمام والبحتري واصطحابه لهما في أسفاره حتى أنَّه عند مقتله وجد الديوانان في تركته وقد كتبهما بيده وعليهما ملاحظات دونها الشاعر نفسه،[٤٩] وترى الدراسة أنَّ قراءة الشاعر لهذين الديوانين لم تكن قراءة شاعر لديوان شاعر آخر يشغل شعره جانباً من محفوظه الذي يضم الكثير، بل كانت قراءة موجهة توجيهاً

---

٤٦ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ..ج/ ١٣ ، ص ٢٩٠.

٤٧ المصدر نفسه، ج/١٣ ، ص ٢٨٢.

٤٨ المنصف، بن وكيع التنيسي ، نقلاً عن ثقافة المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناؤطي ، ص ١٣١.

٤٩ الواضح في مشكلات شعر المتنبي، الأصفهاني ، ١٠. الإبانة عن سرقات المتنبي، العميدي ، تحقيق: إبراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م، ص ٢٤ .

خاصاً تنم عن أعجاب واضح بالشاعرين، وحرصٍ من المتنبي على التأثر بهما واستيحاء معانيهما كما يبدو من دراسة شعره.

إنَّ ما ذكرته الدراسة هنا يتنافى مع ما أشيع في الأوساط الأدبية في القرن الرابع من إنكار المتنبي أنَّه اطلع على ديواني الشاعرين أبي تمام والبحتري[٥٠]، وكلاهما نال من الاشتهار ما ينتفي معه جهل أحد من متأدبي العصر بهما، فإنْ كان هذا الإنكار من شاعر ذي علم كالمتنبي فإنَّه يحمل الكثير من التساؤلات.

ظهرت هذه الدعوة في حلب[٥١] أوَّل الأمر، ثم تلقفها الحاتمي وروَّج لها في الرسالة الموضحة، فإن صحت دعوى الحاتمي وغيره في إنكار المتنبي لشعر الشاعرين، فلعل ذلك كان حرصاً من المتنبي على بقاء هذا الجانب المهم في عملية الإبداع الشعري في إطار خفي، ولذلك أخفى الشاعر محاولته لتكوين ثقافة أدبية على الرغم من أهمية هذا الجانب في دراسة فنه، فالمقارنة بين الشعراء تكشف عن التقاليد الأدبية التي اتبعها الشاعر حين نعدد الشعراء الذين عدهم مثلاً أعلى احتذاه، وتكشف بالتالي عن مدى تأثره بهم وما أضافه إليهم، وقد يكون المتنبي مأخوذاً بما رآه من اهتمام النقاد بتتبع معاني الشعراء وصورهم، والإلحاح في طلب التأثر بالتراث، وعدهم السرقة من مآخذ الشعراء على الرغم من إقرارهم من استفادة المتأخر.

ترى الدراسة أنَّ هذه الدعوى باطلة، وقد أثبت ذلك الحاتمي نفسه الذي يغلب على الظن أنَّه مصدر هذه الدعوى؛ فقد التقى بالشاعر في حلب، ولعله تعمد نشر الخبر في الموضحة مكرَّراً ليثبت ما أثار حفيظته من غرور الشاعر واستعلائه، الأمر الذي يقطع كل شك، إن صحت رواية الأصفهاني والعميدي، وهو ما سبق أن ذكرته الدراسة من أنَّ تركة الشاعر اشتملت على ديواني الشاعرين الكبيرين. ولم ينس الحاتمي أن يلمح إلى هذا التناقض الذي صوره في مؤلفه فيعنف المتنبي قائلاً: (من أوضح البرهان أنَّكَ تصفحت شعر أبي تمام، وتأدبت بمعانيه، وقفوت مذهبه،

---

٥٠ الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، ص ١١.

٥١ الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ص ١٣٤.

واقتربت طرقك فيه تتبعك هذه المواضع عليه وتعينك عليها وإشارتك عليها ومدحك فيها).[٥٢]

لم يفت أبو القاسم الأصفهاني والصاحب ابن عباد الإشارة إلى ما شاع حول صلة المتنبي بالشاعرين. أمَّا ابن وكيع فيحلل الأمر بصورة أخرى حيث يعزو ما ورد على لسان المتنبي من إنكار اطلاعه على شعر أبي تمام إلى تلاعب لفظي تعمده الشاعر، فهو إمَّا أنَّه قال الشعر في مطلع شبابه دون أن يطلع على شعر أبي تمام – وهذا معقول في نظر ابن وكيع– أو أنَّه لم ير شعره قط ولم يسمع به، ويتنافى هذا التصور مع شهرة أبي تمام وشيوع ذكره في المجالس ودكاكين الوراقين التي كان المتنبي أحد روادها، إلى جانب تأثر المتنبي الواضح بشعر أبي تمام.[٥٣] يجعل العميدي من هذه الرواية سبًبا قوياً يحفزه على البحث في سرقات المتنبي، فقد أثار حفيظته ادعاء المتنبي الجهل بالفضلاء الذين لا يشك أحد في اطلاعه على دواوينهم واستنارته بهديهم.[٥٤]

إنَّ فهم المتنبي لأثر الموروث الشعري في عملية النظم، إلى جانب ما أثر عنه من أخبار محاولاته لتكوين هذا الموروث، وما حفلت به المصادر من مناقشاته لشعر غيره، تقدم للباحث تصوراً لمكونات هذا الموروث لديه. ويدعم هذا التصور ما حفلت به المصادر التي تتبعت ما ادعى المؤلفون أنَّه قد سرقه من حديث عن الشعراء الذين تأثر بأشعارهم أو استوحاها فيما نظم، ولعل من مزايا شاعرنا انه ظفر بقدر كبير من الدراسات حول سرقاته، لم يظفر به شاعر آخر، مِمَّا هدانا إلى تصور جوانب ثقافته الشعرية إلى حد كبير. ومن هذه المؤلفات: الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني، والرسالة الموضحة لأبي علي الحاتمي، والمنصف لابن وكيع التنيسي والوساطة للجرجاني، والإبانة للعميدي، والاستدراك لابن الأثير ،وسرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام.

---

[٥٢] الرسالة الموضحة،. الحاتمي ، ص ١٧٧.

[٥٣] انظر المنصف ابن وكيع التنيسي (خ– ٣٥) .

[٥٤] الإبانة، العميدي، ص ٢٤.

قدمت هذه المؤلفات صورة واضحة عن الشعراء الذين تأثر بهم الشاعر أو استوحى معانيهم فيما نظم، إذ بذل مؤلفوها جُهداً في تتبع معانيه وصوره وعقد الصلة بينه وبين من سبقه، ولكن الدوافع التي كانت وراء تأليف معظم هذه الدراسات تجعل من الضروري تلمس الحقيقة من خلالها بقدر كبير من البحث والنظر؛ إذ إنَّ إكبار هؤلاء الباحثين للتراث، وتعلقهم بظاهرة الإسناد التي تنشأ عن (الاعتقاد بأنَّ معنى الكلام أو قيمته ليست في ذاته وحدها بل هناك قيمة أخرى تنشأ عن الارتباط بشخص معين تقدم أو تأخر)[٥٥] شأنه في ذلك شأن المحدثين واللغويين، إلى جانب ما اشتهر عن المتنبي من تعاظم وإنكار لكثير من المواهب، كل ذلك يجعل هذه المؤلفات حافلة بكثير من المبالغات المتعسفة. نلمح في كتاب الإبانة وحده أشعار مائة وخمسين شاعراً معظمهم من المغمورين الذين لا نرى لهم أثراً كبيراً فيما وصل إلينا من تاريخ أدبنا العربي، على الرغم مِمَّا ذكره العميد نفسه في مؤلفه حين ذهب إلى أنَّ المتنبي(طلب الدواوين التي للمكثرين لئلا تبين سرقته إذا أخذ منها شيئاً؛ فإنَّ المقلين أشعارهم معروفة مشهورة والمكثرين لا يكاد يستوعبها ويأتي على حفظ قصائدها إلا الشواذ من الأدباء والنوادر من الحفظة).[٥٦]

ترى الدراسة أنَّ حديث العميدي ينطوي على شيء من المغالطة؛ فالمكثرون أشهر من غيرهم ومن ثم تتداول أشعارهم وتشتهر في أوساط المتأدبين أكثر من المقلين، ومتى نال الشاعر شهرة وانتشاراً صعب على غيره استيحاء معانيه والتأثر به دون أن يتهمه النقاد بالسرقة منه. ولقد تحدث العميدي عن تأثر المتنبي بطائفة من شعراء الجاهلية: كامرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير ابن أبي سلمى، وعنترة بن شداد. ومن الأمويين: عمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، وقيس بن ذريح، والكُميت، وجرير، وقطري بن الفجاءة ، وعمران بن حطان، وعبد الله بن الزِّبِير الأسدي، وعبد الرحمن بن دارة وثابت قطنة. ومن مخضرمي الدولتين: بشار بن برد، ومطيع بن إياس. ومن العباسيين: أبو العتاهية، وعلي بن الجهم، وابن المعتز، وابن الرومي،

---

[٥٥] نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف ، دار القلم، القاهرة، ١٩٨٥ ص ٩٩ .

[٥٦] الإبانة، العميدي ، ص ١٤١.

ودعبل الخزاعي، وأبي الشيص، ومنصور النمري، وربيعة بن ثابت، والسيد الحميري وأشجع السلمي، والعبرتاني، ومثقال الواسطي وغيرهم.

من هؤلاء الشعراء من عاصر المتنبي كالخبز أرزي، والناشئ الأكبر، والصنوبري وأبي فراس. إنَّ هذه الأسماء التي وردت في كتاب الإبانة وغيره من كتب السرقات تنفي الادعاء القائل بأنَّ المتنبي كان قليل النظر في شعر المحدثين[٥٧]، وقد نسب الثعالبي هذا الادعاء إلى المتنبي، ولعله استند في مقالته هذه على ما ورد على لسان المتنبي حين سئل عن قوله:

إِذَا إعْوَجَّ القَنَا فِي حَامِلِيهِ

وَجَازَ إِلى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا[٥٨]

قال المتنبي: قلت وأشبه في ضلوعهم الضلوعا ثم رأيت بيتاً لأحد المولدين فرغبت عنه، وقد عنى المتنبي بذلك قول البحتري:

في مَأزِقٍ ضَنْكٍ تُخَالُ بِهِ القَنَا

بَيْنَ الضُلُوعِ إِذَا انْحَنَينَ ضَلُوعَا[٥٩]

أو أنَّه يشير إلى ما راج في الأوساط الأدبية من إنكار المتنبي للشاعرين الكبيرين أبي تمام والبحتري كما سبق أن ذكرنا. ترى الدراسة أنَّ حديث المتنبي عن المولدين في هذا الموقف أو غيره ليس من باب التعريض بهم وإنكار دورهم في تاريخ الأدب، وإنَّما أراد أن يدفع عن نفسه تهمة الأخذ والسرقة التي ما فتئ النقاد يشهرونها في وجهه وأن يبعد نفسه عن دائرة الاتهام التي نصبها العلماء حول المعاني؛ لبحث مصادرها وردها إلى دواوين الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام.

لقد كان المتنبي ينظر بعين الإكبار إلى كثير من الشعراء الذين سلكهم النقاد في خيط المولدين كأبي تمام الذي كان يعده أستاذ كل من قال الشعر بعده، وبدأ إعجابه به واضحاً من روايته لجميع شعره وإنشاده لبدائعه[٦٠]، وعده مثلاً أعلى

---

[٥٧] يتيمة الدهر، للثعالبي، ج/١ ، ص ١١٤.

[٥٨] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ٤٢٢.

[٥٩] الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، ص ١١. ديوان البحتري ، شرح وتحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف القاهرة ١٩٦٤م ،ج/٢ ، ١٢٥٦.

[٦٠] الصبح المنبي، يوسف البديعي ، ص ٤٣.

يحتذى. أمَّا أبو نواس فإمام المحدثين.[٦١] و لا يمكن أن يكون قد استمد بعض معانيه فيما أنشد. ولا يعد من العيوب أن يوسم بالسرقة منه.

[٦١] الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، ص ١١٠.

المبحث الثالث : نماذج من الموروث في شعر المتنبي :

إنَّ الحديث عن أثر الموروث الشعري في شعر الشاعر يحمل الباحث على تتبع المصادر التي استمد منها الشاعر مادته، مِمَّا نجده في التراث الشعري الذي عكف عليه المتنبي، إدراكاً منه لأهمية هذا الموروث في شعره، والكشف عن الكيفية التي عامل بها شاعرنا هذا الموروث، والى أي حد تأثر به واستمد منه. وما أشبه هذا العمل الذي يهتم بالبحث عن المصادر التي أتى منها الشعراء بمعانيهم بعملية التحليل الكيميائي – كما وصفها عبد العزيز الأهواني– حين يوجه الباحث اهتماماً واسعاً للكشف عن العناصر المعدنية التي تألفت منها السبيكة أو الأعشاب والمواد التي ألفت منها عجينة ذلك الطِّيب.[٦٢]

أعاننا على دراسة هذا الجانب أنَّ المتنبي ظفر بما لم يظفر به شاعر غيره من دراسة لسرقاته وتتبع لمعانيه، نتبين ذلك من الرصيد الكبير الذي وصلنا من مؤلفات تبحث عما أخذ الشاعر من غيره من الشعراء في مختلف العصور، كما أسهمت أخبار الشاعر في هدايتنا إلى كثير من مصادر شعره، حين ذكرت عدداً من الشعراء الذين ثبت اطلاع المتنبي على دواوينهم، وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران أبو تمام والبحتري.

طبيعة هذه الدراسة تفرض علينا أن نعرض نماذج من شعر المتنبي نتبين فيها الوسائل التي سلكها الشاعر للاستعانة أو لاستيحاء موروثه الشعري، سواء أكان ذلك مختصراً على إطار البيت المفرد أو الصورة الواحدة، أو شاملاً لنطاق القصيدة كلّها، حين نرى من الشاعر معارضة لقصائد أخرى، ولعل أبرز أثر للموروث الشعري لدى المتنبي هو تلك المعاني والصور التي يبدو فيها احتذاء المتنبي الواضح بمن سبقه من الشعراء في الفكر والتصوير والتعبير.

وقال مروان بن أبي حفصة:

قاسيت شدة أيامي فما ظفرت يداي

---

[٦٢] ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الأهواني، الأنجلو المصرية ١٩٦٢م ص ١١٦.

بصـابٍ منها ولا عسـل

قد عددت الدارسة المصادر التي استمد منها المتنبي هذه الأبيات؛ إذ نسبت لشعراء مختلفين، كما اختلف تاريخ نظمها من أوَّائل حياته حتى أواخرها ومن هذه الأبيات قول المتنبي:

قَدْ ذُقْتُ شِـدَّةَ أيَّامِي وَلَذَّتَها
فَما حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ ولاَ عَسَلِ[٦٣]

قال المتنبي:

غُصنٌ عَلَى نَّقَوْىَ فَـلاَةٍ نابِتاً
شَمْسُ النَّهارِ تَقِلُّ لَيْلاً مُظْلِما[٦٤]

وقال ديك الجن:

وُغصْنٌ يُقِلُّ قَضِيبَ بَانٍ فَوقَـهُ
شَمْسُ النَّهـارِ تُقِلُّ مُظْلِما[٦٥]

قال المتنبي:

كَأَنَّ بَنَـاتِ نعش فِي دُجَاهَـا
خَـرَائِدُ سَـافِرَاتٌ فِي حِـدَادِ[٦٦]

وقال ابن المعتز:

وَأَرَى الثُرَيَّا فِي السَّماء كأَنَّهـا
خَـوْدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادِ[٦٧]

قال المتنبي:

شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِروْقَيْـ
ـه وَعِـزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْيَـالا[٦٨]

---

[٦٣] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٧٧.

[٦٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٩.

[٦٥] الإبانة، العميدي ، ص ٢٥.

[٦٦] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢٢٥.

[٦٧] الإبانة، العميدي ، ج/١ ، ٧٧، وديوان ابن المعتز، محي الدين الخياط، مطبعة الاقبال، بيروت د–ت، ص ٢١٨.

[٦٨] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ١٩١.

وقال السيد الحميري:

همـة تنطح الثريا وعـزُ

نبوي يزعـزع الأجيـال[69]

قال المتنبي:

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدَ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً

وَلَكِنَّـي لِلنَّائِباتِ حَمُـولُ[70]

قال بشار:

ولم أعش سلوة من بعد بعدهم

لكننـي لصـروف الدهر حمال[71]

قال المتنبي:

تَرَكْتَنـي الْيَوْمَ فِـي خَجْلَـةٍ

أَمُوْتُ مِرَارًاً وأَحْيَا مِـرَارَا [72]

قال العباس بن الأحنف:

لعمـري لقد جعل القادحـون

بينـي وبينك يورون نـارا

ونفسـي معلقـة بالرجـاء

تموت مـرارا وتحيا مرارا[73]

تعاقب النقاد على هذه الأبيات في شعر المتنبي بالنقد اللاذع، وعدَّها كثير منهم من قبيل السرقة الفاضحة التي لا تتطلب من الباحث أقل قدر من الجهد لوضوحها، بينما ذهب فريق آخر إلى محاولة تفسير هذا التشابه بأنَّه من قبيل توارد

---

[69] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ،ج/ ٣ ، ص١٧٦ .

[70] المصدر نفسه ، ج/٣، ص ٩٥ .

[71] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣، ص١٧٣..والإبانة العميدي ، ١٥٦.

[72] المصدر نفسه ، ج/٣ ، ص ٣١١.

[73] الرسالة الموضحة، الحاتمي ، ص ١٣١.، ديوان العباس بن الأحنف،شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤،ص ١٢٩ جاء فيه:

ونفسي مضمنة من هواك ما لا أطيق عليه اصطبارا

معلقة ببقايا الرجاء ترى الموت في كل يوم مرارا.

الخواطر؛ إذ وقع للشاعر معنى سبقه إليه غيره من غير أنَّ يلم به، كالآمدي وابن رشيق، وابن الأثير. وقد أوضح ابن رشيق وجهة نظره قائلاً: (إنَّه لم يخف على حاذق بالصنعة أنَّ الصانع إذا صنع شعراً في وزن ما وقافية ما وكان لمن قبله من الشعراء شعراً في ذلك الوزن وذلك الروي وأراد المتأخر معنى بعينه فأخذ في نظمه أنَّ الوزن يحضره والقافية تضطره وسياق الألفاظ يحدوه، حتى يورده نفس كلام الأوَّل ومعناه حتى كأنَّه سمعه وقصد سرقته وإن لم يكن سرقه قط[٧٤]).

ترى الدراسة أنَّ على الناقد العالم بشعر المتنبي أن يستبعد ذلك؛ لأنَّ المتنبي قد صار شاعراً مشهوراً –في آواخر حياته– وله حساد يبحثون عن سقطاته، كما تستبعد الدارسة من شاعر كالمتنبي أن يسلك هذا المسلك الذي هاجمه النقاد وتعقبوا الشعراء التابعين له، وتضيف الدارسة أنَّ هذا الاستمداد سببه قوة ذاكرة الشاعر وكثرة محفوظه، لا سيما وأنَّ هذا الشعر قد أنشد في مراحل مختلفة من حياته زاد فيها اطلاعه على شعر غيره في كل مرحلة عن سابقتها قد يهدي المعنى الذي يريد المتنبي أن يعبر عنه إلى صورة لشاعر قديم فإذا ما أمعن الفكرَ فيها خرج إلى صورة جديدة تختلف عن الصورة التي تأثر بها واستوحاها بعض الاختلاف، وإن اتفقت معها في الأصل الذي استمدت منه. قال أبو تمام:

بمجامع الثغرين ما ينفك من

جيش أزبَ وغارةٍ شعواء[٧٥]

وقال المتنبي:

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ

وَسْمهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ[٧٦]

فقد شبه أبو تمام الجيش بالرجل الأزب، وهو الكثير الشعر؛ ليشير بذلك إلى كثرة الرماح التي دجج بها الجيش، وقد لاقت هذه الاستعارة قبولاً لدى المتنبي فجعل تكاثف الرماح في الجيش كالغمم، وهو كثرة الشعر وإسباله على الوجه. فالفكرة التي

---

[٧٤] قراضة الذهب، ابن رشيق، تحقيق: الشاذلي بويحيى، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٢م ص٨٦.

[٧٥] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص ١٥

[٧٦] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص ٢٣.

دار الشاعران حولها واحدة، وقد استمد المتنبي استعارة أبي تمام وخلق منها صورة أكثر وضوحاً من الأصل الذي تأثر به. وحين تطرق المتنبي إلى وصف عذوبة حديث محبوبته كان متأثراً فيما أورده ببيت كثير عزة وأضرابه عمن سلكوا هذا السبيل؛ فقد جعل كثير عذوبة حديث الحبيبة سبباً ينزل العصم من مكانها في الجبال، حيث قال:

وَأَدْنَيْتِني حَتَّى إذا ما مَلَكْتِني

بِقَوْلٍ يُحِلُ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ[٧٧]

أمَّا لدى المتنبي، فإنَّ حديثها العذب يكلف الطيور في الأعالي الوقوع إليها من شدة أثره، قال:

مُنَعَّمَةٌ، مُمَنَّعَةٌ ، رَدَاحُ

يُكلِّفُ لَفظُها الطَّيْرَ الْوُقُوعا[٧٨]

وقال المتنبي مستوحيا قول دعبل الخزاعي:

غَذَا الهِنْدُوانيَّاتِ بالْهَامِ والطُّلى

فهُنَّ مَدَاريها وَهُنَّ المخَانِقِ[٧٩]

قال دعبل:

فكأنما حصباؤها في أرضها

خرز العقيق نظمن في سلك[٨٠]

فاستمد من التشبيه الذي قدم دعبل المعنى بين يديه صورة أوردها في إطار صورة استدعت شيئاً من إعمال الذهن لتصورها، وقد أحدث بذلك تغييراً في أسلوب التعبير عن الصورة التي استقاها من محفوظه. وقد تكون الصورة الواحدة مصدراً لصور أخرى على نمطها يستمدها الشاعر منها ويضيفها إليها، كما نرى في استيحاء المتنبي لتلك الاستعارة التي ساقها الشاعر الجاهلي امرؤ القيس في وصفه لسرعة فرسه، حيث قال:

---

[٧٧] ديوان كثير ،جمع وشرح: احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧١م ، ص ٥٢٦ .

[٧٨] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ج/١ ، ص ٤١٨.

[٧٩] المصدر نفسه، ج/١ ، ص /٤٨٦.

[٨٠] ديوان دعبل ، ص ١٢٠ .

وقد اغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل[81]

فقال المتنبي:

يتقيلون ظلالَ كل مطهّمِ

أجلِ الظليم وربْقَةِ السرْحَانِ[82]

فقد أضاف (أجل الظليم) إلى ما استمده من امرئ القيس. ومن شواهد إضافته إلى ما يستوحيه قوله:

هوادٍ لاملاكِ الجُيوش كأنها

تخبر أرواح الكماة وتنتقي[83]

وقول أبي تمام:

فإذا ضلَت السيوفُ غداة الرَوْعِ

كانت هوادياً للهوادي[84]

فالأبطال حين يشتد القتال قد تنتابهم حيرة في اختيار مواضع الطعنات القاضية التي يوجهونها لأعدائهم، غير أنَّ سيوفهم تهتدي للأعناق فتضربها، وقد استوحى المتنبي هذه الصورة مضيفاً إليها اهتداء السيوف إلى أرواح الملوك، وانتقائها من جموع الأبطال. وقد يستعير صورة وينقلها إلى مجال مختلف، نحو قوله:

يتعثرن بالرؤوس كما مرَ

بتاءات نطْقهِ التَمتامُ [85]

وصف المتنبي حركة الخيل في أرض المعركة وقد تناثرت فيها جماجم القتلى، مِمَّا عاق حركة الخيول بينها وحال دون سرعة عدوها وصارت تتعثر بين الرؤوس، وقد فكر الشاعر في صورة توفر له عنصر الحركة المترددة فقفزت إلى ذاكرته الصورة التي رسمها أبو نواس لرجل قد لعبت الخمر بحواسه وأثقلت لسانه

---

[81] ديوان أمرى القيس ، ص ١٩.

[82] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص١٧٩.

[83] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص٢٠٦.

[84] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص٣٦٨.

[85] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ،ج/ ٤ ، ص٨٩.

وصار يتلعثم في حديثه كالفافأء؛ فجعل تردد الخيل في سيرها كتردد التمتام في حروف التاء إذا حاول النطق بها.

قال أبو نواس:

فأجابني والسكر يفسد نطقه

يتلجلج كتلجلج الفأفأء[٨٦]

وقد كرر المتنبي هذا النمط من التشبيه بصورة مختلفة حين صور اختفاء القبائل أمام الجموع التي واجهها بها سيف الدولة بخفاء الراءين في لفظ الألثغ إذا كررها فقال:

قشير وبلعجلان فيها خفية

كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق[٨٧]

ويمكن أن نرجع عدداً من صوره إلى عنصرين مختلفين، ينتمي كل منهما إلى شاعر مختلف، نحو قوله يصف الشيب:

ضيف ألمَّ برأسي غير محتشم

والسيف أحسن فعلاً منه باللمم[٨٨]

لقد أراد الشاعر أن يعبر عن تسلل الشيب إلى رأسه، وما يثيره ذلك في النفس من شجن يذكر بالشباب المولي والشيخوخة الكئيبة، وعندما فكر في التعبير عن هذه الفكرة بصورة مناسبة تواردت على ذاكرته صور الشيب في شعر السابقين، فوجد في شعر أحدهم صور الشيب بأنه ضيف في قوله:

ألقى عصاه وأرخى من عمامته

وقال: ضيف فقلت: الشيب قال: أجل[٨٩]

---

[٨٦] الإبانة، العميدي، ص ٩٧. ديوان أبي نواس ص ٢٢٣. وهو في الديوان.

فأجابني والسكر يخفض صوته والصبح يدفع في قفا الظلماء

[٨٧] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٢، ص ٣٢٤.

[٨٨] المصدر نفسه، ج/٤، ص ٣٤.

[٨٩] الوساطة، الجرجاني، ص ٣٦٥.

ولكن هذا الوصف بدأ ناقصاً في نظره؛ إذ إنَّ رحيل الضيف– وإن طال به المقام– أمر متوقع. أمَّا الشيب فمتى حط رحاله يأبى الرحيل فأضاف إليها (غير محتشم) أي غير منقبض؛ لثقل ظل الشيب على من يحل به.

وقد وجد المتنبي في شعر الطرماح وصفاً للشمس وقد حال الغبار دون نفاذ أشعتها الساطعة قال فيه:

تتجنبه الكماة بكل يوم

مريض الشمس محمر الحوامر[٩٠]

فاستوحى من البيت فكرة الضعف للشمس؛ ليدل بها على الفكرة التي أرادها. أمَّا الصورة التي قدمها المتنبي لوصف تخلل الشمس للفرج فأغلب الظن أنَّ الشاعر استمده من قول المعوَّج الرَّقي:

والشمس من فرج الأشجار ناثرة

على المجالس أشباه الدنانير[٩١]

فقد رأي في صورة المعوج الرقي صدىً لما انعكس على خياله من مشاهداته، فاستمدها واستعار منه بعض الألفاظ نحو فرج. وقد يكون الجمع بين صورتين لأداء المعنى الذي قصده الشاعر مفتاحاً يقود الباحث إلى معرفة الأصل الذي استوحاه المتنبي، واستمد منه هذا البيت أو تلك الصورة، فقال:

كأنَّ الهام في الهيجا عيون

وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم

فما يخطرن إلا في فؤاد[٩٢]

---

[٩٠] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤ ،ص ١١٤.

[٩١] الإبانة، العميدي، ص ١٣٧.

[٩٢] ديوان المتنبي، شرح العكبري ج/٢ ، ص٣٦٠ .

فالحديث عن سداد الطعنة وإصابتها مقتلاً من العدو حين تصيب القلوب أو تطيح بالرؤوس حفل به الشعر العربي الذي وصف المعارك على مر العصور، والشواهد في هذا الباب متعددة نحو قول المنصور النمري:

وكأنَّ موقعه بجمجمة الفتى

سكر المدامة أو نعاس الهاجع[٩٣]

وقول مهلهل:

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها

نوما أناخ بجفن العين يغفيها

بلهدم من هموم النفس صنعته

فليس ينفك يجري في مجاريها[٩٤]

وقول كعب بن معدان الأشعري:

كأنَّ الرماح السمهريات بينهم

هموم فما يطرقن غير الحشا طرقا[٩٥]

ويمكن أن نقول إنَّ الصورة التي عرضها مهلهل قد تداعت إلى خيال الشاعر حين نظم هذين البيتين، ويتجلى تأثره بها في الجمع بين هاتين الصورتين وترتيب عناصرها، كما يبدو في استيحاء المتنبي للغة البيتين اللذين يفترض أنَّه ترسم سبيلهما في نظمه.

وقد يلجأ المتنبي في تكوين صوره إلى استمداد عناصر مختلفة من صور متنوعة المصادر، ويؤلف بينها في إطار جديد يختلف عن الأصل الذي استمدت منه قال:

عجاجة ترك الحديد سوادها

زنجٌ تبسم أو قذالاً شائبا

---

[٩٣] ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/٢ ، ص ٣٦٠.

[٩٤] سرقات المتنبي، ابن بسام، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠،ص ٤٠.

[٩٥] المصدر نفسه، ص ٤٠.

[٩٥] المصدر نفسه، ص ٤١.

فكأنمَّا كسى النهار بها دجى

ليل وأطلعت الرماح كواكبا[٩٦]

حين شرع المتنبي في تصوير جو المعركة وتكاثف الغبار بفعل ما تحدثه سنابك الخيل وبريق السلاح خلال هذا الجو المعتم تداعت إلى خياله الصور التي احتفل بها الشعراء في تصوير جو المعركة؛ حين يستحيل النهار المشرق إلى ظلمة تعم الفضاء إلا من بريق أسلحة يلوح خلالها، نحو قول بشار:

خلقنا والسماء فوقنا بنجومها

سيوفاً ونقعا يقبض الطرف أقتما[٩٧]

وقوله أيضاً:

كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[٩٨]

وقادته هذه الصور ومثيلاتها إلى صور غيرها في مجال آخر وردت إلى ذاكرته بواقع التشابه بين الصورتين، وأعني بذلك تصوير تداخل النقيضين الليل والنهار، وما قدمه الشعراء لهذه الظاهرة من صور متنوعة تبرز هذا التداخل. وأغلب الظن أنَّ الصور التي تعاقبت على ذاكرته من ملاحظة عناصر الصورة عنده هي: قول أبو نواس:

فقلت والليل يجلوه الصباح كما

جلى التهم عن غر الثنيات[٩٩]

قول ابن المعتز:

قد أغتدي والليل في مآبه

كالحبشي فر من أصحابه

---

[٩٦] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١ ، ص١٣٧.

[٩٧] ديوان بشار، نشر وتقديم : محمد الطاهر بن عاشور ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧، ج/٤، ص ١٦٤.

[٩٨] المصدر نفسه، ج/١ ، ص٣١٨.

[٩٩] ديوان أبي نواس، ص ١٧٤.

والصبح قد كشف عن أنيابه

كأنه يضحك من ذهابه[١٠٠]

قول المتنبي:

حتى تبدى الصبح يلي الدجى

كالحبشي افتر للضحك[١٠١]

وحين نتتبع الحركة الذهنية التي قادت الشاعر إلى مثل هذا التصوير نلمح صورة الثنايا التي بدت في ابتسامة صورها أبو نواس وابن المعتز إمعانا منهما في إبراز التناقض بين السواد والبياض بصورة دقيقة. وقد وجد المتنبي لأبي نواس صورة أعجبته في وصف طلوع الصباح:

لما تبدى الصبح من حجابه

كطلعة الأشمط من جلبابه[١٠٢]

إذ رأى فيه تصويراً للتناقض الذي أراده، فنقلها إلى شيب القذال حين تسلسل الشعيرات البيضاء؛ لتغزو سواده وتحيله بياضاً سرعان ما يصبح جلياً لاقترانه بنقيضه. وقد قدم المتنبي صورة لجو المعركة من مجموعة الصور المتشابهة المتجاورة ساقها إليه خياله، ولكن الدارسة لا ترى له مزجاً حقيقياً بين عناصر هذه الصورة. وترى الدارسة أنَّ ما زاد الصورة وضوحاً أنَّ المتنبي قد أردفها في البيت الثاني بصورة هدت إلى مصادرها حين ذكر الليل والنهار والسلاح والكواكب.

قال المتنبي:

سارٍ ولا قفرَ في مواكبه

كأنما كل سبسب جبل

يمنعها أن يصيبها مطر

شدة ما قد تضايق الأسل[١٠٣]

---

[١٠٠] ديوان ابن المعتز، ص٢٨٩.

[١٠١] هذا البيت لم أحصل عليه بالديوان فهو من زيادات شعر المتنبي.

[١٠٢] ديوان أبي نواس ص ٦٣١.

[١٠٣] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ج/٣ ، ص٢١٥.

وصف المتنبي في هذين البيتين جيشاً ضخماً كثيفاً أغرق السباسب والقفار فاستحالت جبالاً لكثرة ما ازدحم بها من الرجال والسلاح، حتى لو سقط عليها مطر لحالت الرماح دون نيله من الخيل والرجال لتضايقها وتكاثفها. فالفكرة التي أراد الشاعر التعبير عنها هي شدة التلاصق والكثافة التي تمنع نفاذ أي شئ خلالها، وقد وجد الشاعر في محفوظه بيتين لقيس بن الحطيم وابن الرومي في وصف كثافة الجيش استقى منهما الفكرة الأساسية التي أدارها .

قال قيس بن الحطيم:

لو أنَّك تلقى حنظلا فوق رأسنا

تدحرج عن ذي سامة المتقارب[١٠٤]

ولابن الرومي:

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة

لظل عليهم حصبها يتدحرج[١٠٥]

ترى الدارسة أنَّ لفظ سحابة – الذي ورد ببيت ابن الرومي– قد استدعى ذهنياً فكرة المطر؛ لعلاقة السببية القائمة بينهما؛ وقد قاده تأمله لهذا اللفظ وتلك الفكرة التي تبدت من بيتي الشاعرين إلى صورتين أخريين لبشار بن برد وعلى بن الجهم عبرا بهما عن هذه الفكرة بصورة أعجبته.

قال بشار:

فبتنا معاً لا يخلص الماء بيننا

إلى الصبح دوني حاجب وستور[١٠٦]

وقال على بن الجهم:

فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة

من الراح فيما بيننا لم تسرب[١٠٧]

---

[١٠٤] ديوان قيس بن الحطيم ، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة الهاني، بغداد ١٩٦٢، ص ٣٣.

[١٠٥] ديوان ابن الرومي، اختيار وتصنيف : كامل كيلاني ، مطبعة التوفيق الأدبية ، د ت ، ص٢٢٨.

[١٠٦] المختار من شعر بشار، شرح: اسماعيل بن أحمد النجيبي، تحقيق: محمد بدر الدين العلوي، لجنة التأليف والنشر، مطبعة الاعتماد ، د ت، ص ٢٤١.

وجد المتنبي في هذين البيتين في وصف المتعانقين صورة عبرت عن شدة التقارب الذي يحول دون تسرب الماء، فنقلها إلى وصف كثافة الجيش فقال:

تركت جماجمهم في النقا

وما يتخلصن للناخل[108]

قدم المتنبي صورة لجماجم القتلى التي تركها الممدوح في أرض المعركة، وقد اختلطت أجزاؤها بالرمال لواقع حوافر خيله القوية عليها، حتى لو أنَّ ناخلاً أراد فصلها لم يستطع لشدة اختلاطها بتراب الأرض. وإذا تتبعنا كيفية انبثاق هذه الصورة في خيال المتنبي، فإننا نلمح لها جذوراً في شعره، وفي صور التراث التي نظن أنها تواردت على ذاكرته ووجهته لتكوين هذه الصورة. ولقد وصف المتنبي كثرة القتلى واختلاط أجسادهم بأحجارها في قصيدة أخرى قال فيها:

أحجار ناس فوق أرض من دم

ونجوم بيض في سماء قتام[109]

أغلب الظن أنَّ الشاعر قد استمد هذا التشبيه الذي أورده في المصراع الأوَّل من قول البحتري:

نثرت على الخليج الهام حتى

كأنَّ حصا الخليج طلى وهام[110]

كذلك وصف قوة حوافر خيله في قصيدة أخرى فقال:

إذا وطئت بأيديها صخوراً

بقين لوطء أرجلها رمالا[111]

وفي هذه الصورة نلمح أثر التشبيه الذي أورده ابن المعتز حين وصف ناقته قائلاً:

---

[107] ديوان على بن الجهم، ص ٩٥.

[108] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ج/٣ ، ص٣١.

[109] ديوان على بن الجهم ، ص ١٣.

[110] محاضرات الأدباء ، الأصفهاني، مصر ، ج/٢ ، ص ٩٢.

[111] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٣ ، ص ٢٢٩.

فكنت كنصل السيف تتلو لواقحا

كأن حصا الصمان من وقعها رمل[112]

من هذه العناصر المختلفة التي قادتها الذاكرة استطاع المتنبي أن يقدم لنا صورة جديدة استوحاها من مورثه الشعري، وقد مهد لنا في أبيات أخرى من قصائد مختلفة السبيل لنتبين أصول هذه الصورة ونتتبع الخطوات التي أجراها الخيال على هذا المحفوظ حتى أبرزه في هذا الإطار.

---

[112] الابانة، العميدي ص ١٤٢. لم أعثر عليه بالديوان

المبحث الرابع : المعانـــي المشـــتركة بين الشـــعراء :

واكب المتنبي الشعراء في تناول كثير من الصور والمعاني التي دارت على نطاق واسع في الشعر العربي حتى صارت تراثا مشتركاً، أو شبه مشترك ولم يكن أمامه مفر من التأثر بها واستمدادها فيما نظم؛ لأنَّه عرض لنفس الموضوعات التي نظم فيها من سبقوه، فكانت معانيهم وصورهم تقحم نفسها فيما نظم عن وعي منه أو لا وعي. نذكر على سبيل المثال وصفه لبريق الرماح في المعركة الذي شبهه بالفتايل وبالشعل والشمع وغير ذلك من التشبيهات التي نراها في نحو قوله:

جوائلَ بالقُنـيّ مثقفـاتِ

كـأن على عواملـها الذبّالـة[١١٣]

وردت بـلادك غير مغمـدة

وكأنـهـا بيـن القنـا شعل[١١٤]

تهدي نواظرها والحرب مظلمة

من الأسنة نـار والقنـا شمـع[١١٥]

وغير ذلك مِمَّا نرى له نظيراً لدى كثير من الشعراء نحو امرئ القيس في قوله:

دفعت رُدَينيا كأن سنانـه

سنـا لـهب لم يستعر بدخـان[١١٦]

وقول البحتري: تحكي أسنته النجوم أو الذبالا [١١٧]، وابن المعتز:

وعم السماءَ النقعُ حتى كأنـه

دخانُ وأطرافُ الرماح شرار[١١٨]

---

[١١٣] ديوان المتنبي ، شرح للعكبري، ج/٣ ، ص ٢٢٩.

[١١٤] المصدر نفسه، ج/٣ ، ص٣٠٧

[١١٥] المصدر نفسه ،ج/٢ ،ص٢٢٧.

[١١٦] ديوان امرئ القيس ، ص ٤٧٧.

[١١٧] محاضرات الأدباء ، الأصفهاني، ج/ ٢ ، ص ٩٠.

[١١٨] ديوان ابن المعتز ، ص ٣٧.

وللبحتري:

مد ليلا من العجاج فما

يمشون فيها إلا بضو سيوف[١١٩]

وعلى الرغم من إقبال المتنبي على بعض المعاني والصور التي ترددت لدى كثير من الشعراء فإننا نلمح خلال هذا الحشد خيطا يقودنا إلى الصورة التي أعجبت شاعرنا فاستمدها فيما نظم. ونرى مثلاً لذلك في حديث طائفة من الشعراء عن تعليق الرؤوس على الرماح في المعارك، فجعلها جرير بمثابة التيجان للرماح قائلاً:

كأنَّ رؤوس القوم فوق رماحنا

غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا[١٢٠]

واقتفى مسلم أثر جرير فقال:

يكسو السيوفَ نفوس الناكثين به

ويجعل الهام تيجان القنا الذبل[١٢١]

أمَّا ابن المعتز فجعل الرؤوس قلانس تلبس للرماح فقال:

ويجعل هامات أعدائه

قلانس يلبسهن الرماحا[١٢٢]

وقد حاول أبو تمام إضافة الجدة إلى هذا النموذج الذي تتبعه الشعراء فشبه الرؤوس على الرماح بأعلام تدل عليها فقال:

من كل ذي لمة غطت ضفائرها

صدرَ الفتاة فقد كادت تُرى علما[١٢٣]

وللمتنبي:

مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي

---

[١١٩] ديوان البحتري ،ج/ ٣ ، ص ١٣٦٥

[١٢٠] ديوان جرير ، ص ٢٢٩.

[١٢١] ديوان مسلم بن الوليد ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ص ١١ .

[١٢٢] ديوان ابن المعتز ، ص ١٣٤.

[١٢٣] ديوان أبي تمام ، ج/٣ ، ص١٧١.

هامِ الكماة على أرماحهم عذبا[١٢٤]

ترى الدارسة أنَّ المتنبي استعرض في خياله هذه النماذج التي اشتهرت في شعر المعارك، واستوحى من بيت أبي تمام تشبيه الرؤوس بالعلم فجعلها عذبا وهي الخرق التي تشد على رؤوس الرماح، وإن كنا نلمح أثر مسلم في الصورة التي قدمها المتنبي في الشطر الأوَّل في قوله (يكسو السيوف نفوس الناكثين به) إذ حول المتنبي كساء السيوف إلى الذود عن الخيل بالسيوف كأنَّما جعلت براقع لها.

لم يكن المتنبي في تناوله لبعض المعاني والصور التي دارت دوراناً واسعاً في الشعر العربي، ليغفل عن ملاحظة التطور الذي مس المعنى في التراث. فيكون استيحاؤه لهذه الصور في إطار التطور العام الذي أصابها. نرى مثلاً لذلك في حديث المتنبي عن فل السيف وتكسر الرماح من كثرة المعارك، وقد كان هذا مدعاة فخر للعرب منذ الجاهلية. قال السموأل:

وأسيافنا من كل غرب ومشرق

بها من قراع الدارعين فلول[١٢٥]

وللنابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب[١٢٦]

ولأبي تمام:

ورب يوم كأيام تركت به

متنَ القناةِ ومتنَ القرن منقصفا[١٢٧]

وله:

ما أن ترى إلا رئيساً مقصدا

تحت العجاج وعاملا مقصودا [١٢٨]

---

[١٢٤] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/١، ص ١٧٨.

[١٢٥] شعر السموأل ، تحقيق: وشرح عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥١، ص ١٤.

[١٢٦] ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٨، ص ٨٧.

[١٢٧] ديوان أبي تمام، ج/٢ ، ص ٣٦١.

[١٢٨] ديوان أبي تمام، ج/١، ص ٤١٦

وقد تردد هذا المعنى في شعر المتنبي ومِمَّا قاله:

شِمُ ما انتضيت فقد تركت ذبابه

قطعاً، وقد ترك العباد جذاذا[129]

يغشى الطعان فلا يرد قناته

مكسورة ومن الكماة صحيح[130]

فتسفرَ عنه والسيوف كأنما

مضاربها مِمَّا انفللن ضرائب[131]

وعندما لمح المتنبي استعارة أبي تمام الموت للحديد في قوله:

وما مات حتى مات مضرب سيفه

من الضرب واعتلت عليه القنا السمر[132]

سار المتنبي على نهجه واستمد من موت الحديد لديه استعارة القتل لسلاحه، لعلاقة السببية بينهما فقال:

قتلت نفوس العدا بالحديد

حتى قتلت بهن الحديدا

وهولٍ كشفت ونصلٍ قصفت

ورمح تركت مبادا مبيداً[133]

لم يقف تأثر المتنبي بالموروث الشعري عند المعنى والصورة المفردة، بل امتد إلى استيحاء روح قصيدة كاملة لشاعر من الشعراء، يقف أمامها متأملاً، ويجعلها نصب عينيه نموذجاً يحتذيه وينظم على منواله. فقد كشف طه حسين النقاب عن قصائد المتنبي التي عارض فيها الأعشى والسموأل، فقصيدة المتنبي:

لا تحسبوا ربعكم ولا طلله

---

[129] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٢ ، ص ٨٢.

[130] المصدر نفسه ،ج/١، ص ٢٥٢.

[131] المصدر نفسه ، ج/١ ، ص١٠٧

[132] ديوان أبي تمام ، ص ٨٤.

[133] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٢٣٥.

أولَ حـيّ فراقكم قتلـه[134]

تمثّل المتنبي حين أنشأها لامية الأعشى:

إنْ محلاً وإنْ مرتحـلاً

وإن في السفر إذ مضوا مهلا[135]

كما ذهب الدارسون إلى أنَّ لامية المتنبي في مدح سيف الدولة التي مطلعها:

ليالـي بعد الظاعنين شكول

طوال وليل العاشقين طويل[136]

قد صاغها على مثال لامية السموأل:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضـه

فكل رداء يرتديـه جميل[137]

والمتأمـل لقصـيدتي السـموأل والمتنبـي يتبـين لـه أنَّ المتنبـي فـي معارضـته للسموأل، قد استمد طائفة من ألفاظ قصيدته ومعانيها وأساليبها. فالمتنبي – حين يتحـدث عـن لقـب حاميـه سـيف الدولـة – لا يفوتـه أن يعقـد موازنـة بـين ممدوحـه والسيوف قائلاً:

وفي كل نفس ما خلاه ملالة

وفي كل سيف ما خلاه فلول[138]

فعـرض المتنبـي لمـا اعتـادت العـرب أن تفخـر بـه مـن آثـار الضـرب علـى السيوف مستوحياً في ذلك قول السموأل:

وأسيافنا في كل غرب ومشرق

---

[134] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٣٦٤.

[135] ديوان الأعشى، شرح: محمد محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، د ت ، ص ٣٤

[136] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٩٥.

[137] شعر السموأل ، ص ١١.

[138] ديوان المتنبي ، شرح للعكبري، ج/٣ ، ص١٠٤.

بها من قراع الدارعين فلول[١٣٩]

لقد وقف المتنبي عند بعض الصور والمعاني التي أوردها السموأل واستمدها في شعره، ولكن إعجابه بنهج السموأل لا ينفي وجود أثار لمعاني وصور شعراء آخرين، حفظ المتنبي أشعارهم فيما حفظ، ومن القصائد التي نلمح فيها روح الشاعر الكبير أبي تمام تلك القصيدة التي نظمها المتنبي في مدح علي ابن المنصور الحاجب ومطلعها:

بأبى الشموس الجانحات غواربا

اللابسات من الحرير جلاببا[١٤٠]

قد نظم المتنبي هذه القصيدة في مطلع حياته، واتخذ من أبي تمام إماماً احتذاه في كثير من ألفاظه ومعانيه وصوره، وتكشف هذه القصيدة عن جوانب مهمة أسهمت في فن المتنبي، فاتباعه سبيل المعارضة في هذه الفترة من حياته دليل واضح على إعجابه الشديد بأبي تمام وترسمه لطريقه، فأضفى على أشعاره كثيراً من خصائص وسمات أسلوب أبي تمام. قال أبو تمام يهجو أحدهم:

شهدت جسيمات العلا وهو غائب

ولو كان أيضا شاهدا كان غائبا[١٤١]

فنقله المتنبي إلى المديح وقال:

هذا الذي أبصرت منه حاضرا

مثل الذي أبصرت منه غائبا[١٤٢]

لقد هجا أبو تمام هذا الرجل بأنَّه لا نفع ورائه؛ فوجوده وغيابه في الملمات سيان، فنقله المتنبي إلى المدح؛ ليثبت للممدوح عموم الفضل في الحضور والغيبة. وقد مثل المتنبي لهذا المعنى فيما تلاه من أبيات بثلاث صور، شبه فيها الممدوح بالبدر والشمس والبحر:

---

[١٣٩] انظر صفحة ١٥٦.

[١٤٠] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/١ ، ص ١٣٢.

[١٤١] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص٣٨.

[١٤٢] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٩٣.

كالبدر من حيث التفت رأيته

يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهرا

جودا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها

يغشى البلاد مشارقا ومغاربا[١٤٣]

إنَّ الفكرة التي أراد الشاعر أن يعبر عنها هي أنَّ نفع الممدوح قد عم الناس كلهم من حاضر وغائب، ولمَّا كان المجال مدحاً بالكرم والعطاء الغزير، فقد تعاقبت على ذاكرة الشاعر صور الكرم التي احتفل بها الشعر العربي؛ من تشبيه للممدوح بالغيث والبحر، والشمس والقمر، فصاغ من التراث ثلاثة تشبيهات للتمثيل على الفكرة التي استوحاها من القصيدة التي عارضها.

لقد ألمَّ المتنبي بمعنى بيت أبي تمام، واستطاع أن يستثمره بما أمدَّته به ذاكرته من صور الموروث التي أعانته على إيضاح الفكرة وبيانها، ولم يكن أمام المتنبي مفر من أن تنثال عليه الصور التراثية، إذ إنَّه عرض لصفات الكرم التي تعاقب عليها من سبقه من الشعراء، وترى هذا المعنى لدى بشار:

إذا جلس المهديُ عمت فضوله

علينا كما عم الضياء من البدر[١٤٤]

ولأبي تمام:

قريب الندى نائي المحل كأنه

هلال قريب النور نائي المنازل[١٤٥]

وللبحتري:

عطاء كضوء الشمس عم فغرب

يكون سواء في سناه، ومشرق[١٤٦]

---

[١٤٣] المصدر نفسه ، ج/١ ،ص٩٧.

[١٤٤] ديوان بشار ، ج/٣ ، ص٢٨٩.

[١٤٥] الوساطة ، الجرجاني ، ص ٣٦١.

[١٤٦] ديوان البحتري ، ج/٣، ص١٤٩٦ .

وله أيضاً:

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه

للعصبة السارين جد قريب[147]

وقد يكون تأمل الشاعر لبعض ألفاظ القصيدة التي يعارضها عاملاً يثير في ذهنه بعض المعاني التي تتعلق بهذا اللفظ مِمَّا ورد للشاعر الذي يعارضه في غير تلك القصيدة، أو مِمَّا ورد لغيره من الشعراء.

قال أبو تمام:

وهل كنت إلا مذنباً يوم انتحى

سواك بآمال فاقبلت تائبا[148]

وقال المتنبي:

حال متى علم ابن منصور بها

جاء الزمان إليّ منها تائبا[149]

فإنَّ القافية (تائباً) التي وردت في بيت أبي تمام دعت إلى خيال المتنبي بيتاً آخر لأبي تمام استعار فيه التوبة للزمان حيث قال:

كثرت خطايا الدهر فيّ وقد يرى

بنداك وهو إليّ منها تائبا[150]

كذلك فإنَّ وقوف المتنبي عند القافية (كاذبة) التي وردت في بيت أبي تمام:

هو الغيث لو أفرط في الوصف عامدا

لأكذب في مدحه ما كنت كاذبا[151]

أثار في ذهن الشاعر بيتاً آخر لأبي تمام بنفس القافية هو:

تجاوز غايات العقول وغائب

يكاد بها لولا العيان يكذب[152]

---

[147] ديوان البحتري ،ج/١ ، ص٢٤٩.

[148] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٩٠.

[149] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٩٠.

[150] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص١٧٥.

[151] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ٩٠.

[152] المصدر نفسه ، ج/١، ص ١٧٥ .

فاستوحاه المتنبي وقال:

كرماً فلو حدثته عن نفسه

بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا[153]

وللمتنبي:

قد عسكرت معها الرزايا عسكرا

وتكتبت فيها الرجال، كتائبا[154]

ولأبي تمام:

خطوب إذا لاقيتهن رددنني

جريحاً كأني لقيت الكتائبا[155]

إنَّ تصوير أبي تمام لخطوب الزمان وويلاته في هيئة كتائب من الجيش تخلف وراءها جرحى وقتلى هو الذي ساق المتنبي إلى استعارة الفعل (عسكر) للرزايا، وأغلب الظن اضطر إلى إكمال البيت بهذه الصورة، حتى يورد القافية المطلوبة وإنْ كان الشارحون قد فسروه بما يوافق مبالغات المتنبي، قائلين إن رجاله يخالهم العدو كتائب لفرط شجاعتهم وعظيم فعالهم.

وقد يكون تأثره في نطاق أسلوب التعبير كأن يستعير القالب اللفظي للبيت الذي يعارضه كما يبدو من قوله:

المنهبات قلوبنا وعقولنا

وجناتهن الناهيات الناهية[156]

وقول أبي تمام:

سلبنا غطاء الحسن عن حر أوجه

تظل للب السالبيها سوالبا[157]

أو الاستعانة ببعض المحسنات البديعية التي وردت في القصيدة في نحو قوله:

---

[153] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي، ج/١ ، ص ١٧٥.

[154] المصدر نفسه ، ج/١، ص ١٧٥.

[155] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص ١٣٩.

[156] ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ج/٤ ، ص٣٩٠.

[157] ديوان أبي تمام ، ص ٢١٠.

سل عن شجاعته وزره مسالما

وحذار ثم حذار منه محاربا[158]

فقد اعتمد في هذا البيت المطابقة بين (مسالم – محارب) كما وردت في بيت أبي تمام:

وكنت امرأً ألقى الزمان مسالما

فآليت لا ألقاه إلا محاربا[159]

قد عقد ابن الأثير الصلة بين قصيدة المتنبي التي نظمها في مدح سيف الدولة ووصف هزيمته سنة ٣٢٩هـ، ومطلعها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع

إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا [160]

وبين قصيدة أخرى لأبي تمام، زعم أنَّ قصيدة المتنبي قد صيغت في وزنها وقافيتها، ومطلعها:

أيُّ القلوب عليكم ليس ينصدع

وأي نوم عليكم ليس يمتنع[161]

وقد أورد ابن الأثير هذه الموازنة عند حديثه عن سرقات الشعراء، وعد من عيوب الأخذ أن يورد أحد الشعراء في قصيدته معنى سبقه إليه شاعر آخر في قصيدة بنفس الوزن والقافية[162]، واستشهد لذلك بقول المتنبي في هذه القصيدة:

لم يسلم الكرُّ في الأعقاب مهجته

إن كان أسلمها الأصحاب والشيع[163]

وقول أبي تمام:

---

[158] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٩١.

[159] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٩١.

[160] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٩١.

[161] ديوان أبي تمام،ج/٤، ص ٨٩.

[162] المثل السائر، ابن الأثير، ص ٤٧٧.

[163] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٤٠٨.

ما غاب عنكم من الإقدام أكرمه

في الروع إذا غابت الأنصار والشيع[١٦٤]

وبتأمل هاتين القصيدتين يتضح للدارس أنَّ المتنبي لم ينظر إلى قصيدة أبي تمام كنموذج يحتذيه؛ إذ لم يكن في نيته معارضة هذه المرثية، على أنَّ وحدة الوزن والروي في القصيدتين دعت إلى ذاكرة المتنبي ببيتين لأبي تمام أحدهما ما ذكره ابن الأثير والآخر قول أبي تمام:

بني حميد بنفسي أعظُم لكم

مهجورة ودماء منكم دُفَعُ[١٦٥]

الذي استوحاه المتنبي في قوله:

وفارس الخيل من خفت فوقرها

في الدرب والدم في أعطافها دُفَعُ[١٦٦]

مِمَّا دفع ابن الأثير إلى الظن أنَّ المتنبي قد عارض أبا تمام في هذه القصيدة.

---

[١٦٤] المصدر نفسه ، ج/١ ، ص ٤٠٨.

[١٦٥] ديوان أبي تمام، ج/٢ ، ص ٤ .

[١٦٦] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٤٠٢.

المبحث الخامس : تأثر المتنبي بأساليب الشعراء البيانية :

لم يتوقف المتنبي في صلته بالموروث الشعري عند استمداد أو استيحاء صور هذا الموروث ومعانيه فيما نظم، فتترك هذه الصور في شعره أثاراً واضحة أو خفية. ترى الدارسة أنَّ المتنبي قد أمعن النظر في التراث؛ ليتبين الطرق التي سلكها الشعراء في أساليبهم ومتى اتضحت له هذه الأساليب رسم لها في ذاكرته نموذجا يسير على نهجه وينسج على منواله. لقد اقتدى المتنبي بما شاع في التراث من ولع بالتشبيه، وإيراد عدة تشبيهات في البيت الواحد كما في قول أبي نواس:

يا قمر أبـرزه مأتم

ينـدب شجوا بيـن أتراب

يبكـي فيزري الـدر من نـرجس

ويلطـم الـورد بعنـاب[١٦٧]

ولابن الرومي:

كأن تلك الدموع قطر نـدى

يفتـر عن نرجس علـى ورد[١٦٨]

فقال مورداً تشبيهات متتالية:

ترنو إليَّ بعين الظبي مجهشة

وتمسح الطل فوق الورد بالعـلم[١٦٩]

ولـه:

بدت قمراً، ومالت خوط بان

وفاحت عنبرا، ورنت غـزالة[١٧٠]

وقف المتنبي عند التشبيه التمثيلي الذي استعان به أبو تمام لبيان المعنى العقلي الذي أراده، وهو تفضيل الفروع على أصولها التي نشأت فيها أو استمدت منها، حين قال:

---

[١٦٧] ديوان أبي نواس ، ص ٢٤٢.

[١٦٨] ديوان ابن الرومي ، ص ٤٣١.

[١٦٩] ديوان المتنبي، شرح العكبري،ج/ ٣، ص ٣٧..

[١٧٠] المصدر نفسه والجزء والصفحة.

ولا تقل إننا من نبعة فلقد

بانت نجائب إبل من نواضحها[١٧١]

فلجأ المتنبي إلى هذا الأسلوب وكرره بصورة مختلفة مِمَّا يدل على إعجابه به فأمعن فيه:

فان يك سيار بن مكرم انقضى

فانك ماء الورد إن ذهب الورد[١٧٢]

فإن تفق الأنام وأنت منهم

فإنَّ المسك بعض دم الغزال[١٧٣]

وإن تك تغلب الغلباء عنصرها

فإنَّ في الخمر معنى ليس في العنب[١٧٤]

وحين أراد الحديث عن مهارة ممدوحه في الضرب والطعان مِمَّا يعد من دواعي الانتصار في المعارك، أعجبه أسلوب الكناية الذي ساقه ابن معد يكرب ومن سار على منواله من الشعراء في التعبير عن سداد الطعن وإصابتها مقتل الأعداء، فقال:

فيا ابن الطاعنين بكل لدن

مواضع يشتكي البطل السعالا[١٧٥]

قال ابن معدي:

الضاربين بكل أبيض مرهف

والطاعنين مجامع الاضغان[١٧٦]

وللبحتري:

فاتبعتها أخرى فأضللت نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد[١٧٧]

---

[١٧١] ديوان أبي تمام ، ج/١، ص ٣٥٤.

[١٧٢] ديوان المتنبي، شرح البقوقي، ج/١، ص٢٤٢.

[١٧٣] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٣، ص ٢٠.

[١٧٤] المصدر نفسه، ج/١، ص ٩١.

[١٧٥] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣، ص ٢٢٧.

[١٧٦] محاضرات الأدباء ومحاورات الخطباء الشعراء، الراغب الأصفهاني ج/٢، ص ٩١.

[١٧٧] ديوان البحتري، ج/٢، ص ٧٤٤.

فقد استعمل الكناية في هذا البيت تأثراً واحتذاءً ببيت ابن معد، ونلمس التأثر واضحاً في استعارة المتنبي لبعض الألفاظ (بكل لدن – بكل أبيض مرهف)، وإيراد اسم الفاعل بصيغة مجموعة (الضاربين – الطاعنين) مِمَّا يجعل أثر النموذج المستمد واضحاً وقد يستعين بالاحتراس في أداء المعاني التي ينشدها كما نرى قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب

صوبُ الربيع وديمة تُهمي[178]

وقول جرير:

فسقاك حيث حللت غير فقيدة

هزج الرواح وديمة لا تقلع[179]

فسار المتنبي على نهج هذين الشاعرين وغيرهما وأحسن اتباعهما فقال:

صلى الإله عليك غير مودع

وسقى ثرى أبويك صوب غمام[180]

كذلك سار على نهج النابغة ومن سار مساره في تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب[181]

ولعله أعجب بهذا الأسلوب بما فيه من مبالغة في أداء المعنى فقال:

أنت الذي لو يعاب في ملأ

ما عيب إلا لأنه بشر

وأن إعطاءه الصوارم والخيل

وسمر الرماح والعكر[182]

عمد بعض الشعراء إلى المعاظلة اللفظية في بعض أشعارهم فلم يأنف المتنبي من سلوك هذا المسلك والإقتداء بهم، على الرغم من قبح هذا الأسلوب وإلحاح النقاد على عده

---

[178] ديوان طرفة ، ص ٩٣.

[179] ديوان جرير، ص ٣٤٣.

[180] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤، ص١٤.

[181] ديوان النابغة، ص ٨٧.

[182] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي،ج/١، ص ٣٠٩.

من العيوب التي يجدر بالشعراء أن يتلافوها، ومن النقد الذي وجهه المتنبي نفسه لأبي تمام في أنماط من التعبير لا تختلف عمّا أورده هو نفسه حين تقد قوله:

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن

يرضى امرؤ يرجوك إلا بالرضا[١٨٣]

قائلاً: أراه سمع بيت مسلم فأحب أن يركب الكلام ويعاظله تركيب مسلم ومعاظلته[١٨٤] في قوله:

سلت فسلت ثم سلَ سليلها

فأتى سليل سليلها مسلولا[١٨٥]

وقد سلك مسلم في هذا البيت مسلك الأعشى الذي قال:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني

شاو مشل شلول شلشل شول[١٨٦]

فكرر المتنبي هذا النمط من التعبير في أبيات متعددة:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيس كلهن قلاقل[١٨٧]

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله

ويجهل علمي أنه بي جاهل[١٨٨]

وقوفين في وقفين شكر ونائل

فنائله وقف، وشكرهم وقف[١٨٩]

---

١٨٣ ديوان أبي تمام ، ج/ ٢، ص ٣٠٧.

١٨٤ الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، ص ١٧٤.

١٨٥ ديوان مسلم ، ص ٣٧.

١٨٦ ديوان الأعشى ، ص ٥٩.

١٨٧ ديوان المتنبي، شرح العكبري ، ج/ ٣، ص ١٧٤.

١٨٨ ديوان المتنبي ، ج/٣، ص ١٧٤

١٨٩ المصدر نفسه ،ج/ ٢، ص ٢٨٦.

تقرن الدراسة هنا المعاظلة بمحاولة المتنبي الاقتداء ببعض الشعراء في اصطناع التكرار في الأفعال؛ لإظهار البراعة في اللغة والاقتدار عليها، ومن هؤلاء الشعراء امرؤ القيس:

أفاد وجاد وساد وزاد

وذاد وقاد وعاد وأفضل[١٩٠]

فقال المتنبي مبالغاً في هذا التكرار:

أقل أثل أقطع أحمل علّ سلّ أعد

زد هش بش تعقل أغفر أدن سر صل[١٩١]

يقودنا الحديث عن التكرار إلى ظاهرة تلفت النظر في شعر المتنبي، وهي تكراره لبعض المعاني والصور، وقد فطن بعض النقاد القدماء إلى هذه الظاهرة في شعره، فعقد الثعالبي في اليتيمة فصلاً للحديث عمَّا تكرر من معانيه في شعره.[١٩٢] ونبه الجرجاني في الوساطة إلى هذا التكرار في بعض المواضع[١٩٣]. أمَّا العميدي فقد عدَّ هذه الظاهرة دليلاً واضحاً على تأثر المتنبي بابن الرومي، فكرر بعض معانيه جرياً على قالب ابن الرومي في تكرار المعنى إذا استحسنه.[١٩٤]

لا تنكر الدراسة تأثر المتنبي بابن الرومي، واستيحاءه بعض معانيه وصوره، ولكن عدَّ هذه الظاهرة في شعر المتنبي في إطار التأثر بشاعر واحد فهذا ما تستبعده. وقد يفسر تكرار بعض الصور التي ارتبطت بخبرة الشاعر الحسية بأنَّ ذلك راجع إلى تكرار الموقف، مِمَّا يسوق الشاعر إلى تكرار صوره ومعانيه، ولكن التكرار في بعض الصور العقلية يبدو فيه القصد الواضح والجهد المتعمد. فعندما يصف المتنبي ممدوحه بأنَّه حوى جميع الفضائل والمكارم حتى تساوى مع الخلق كلهم، يلفت نظره بيت أبي نواس الذي يبدو موافقا لما ارتضاه المتنبي لممدوحه من وصف يتسم بالمبالغة:

وليس على الله بمستنكر

---

١٩٠ ديوان امرئ القيس ، ص ٤٧.

١٩١ ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/ ١، ص٨٩.

١٩٢ يتيمة الدهر للثعالبي ، ج/١، ص١١.

١٩٣ الوساطة الجرجاني ، ص ٢١٧، ٢٦٧، ٣٢٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥.

١٩٤ الإبانة، العميدي، ص١٦٤.

أن يجمـع العـالم فـي واحد[195]

فيردد هذه الصورة في شعره عدة مرات، قال:

أحلمـاً تـرى أم زمانـا جديـدا

أم الخلـق في شخص حي أعيدا[196]

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى

ومنزلك الدنيـا، وأنـت الخلائق[197]

هديـة مـا رأيـت مهديهـا

إلا رأيـت العبـاد في رجـل[198]

ولقيـت كل الفاضلين، كأنمـا

رد الإلـه نفوسـهم والاعصـرا

نسقوا لنـا نسق الحساب مقدمـا

وأتـى فذلك إذ أتيـت مؤخـرا[199]

أدار المتنبي الفكرة في هذه الأبيات فأوردها في مصراع البيت الأوَّل والثالث والرابع، وفي نصف مصراع البيت الثاني حيث أوجزها في قوله: (أنت الخلائق)، أمَّا في البيت الرابع فقد أكد الصورة السابقة بأخرى أضافها إليها. وقد

ترد هذه الصور المكررة بألفاظ متقاربة وقافية واحدة، مِمَّا يؤكد الدور الفعال الذي أدته الذاكرة في إيراد هذه المعاني. فقد لفت نظر المتنبي قول أبي نواس:

---

[195] ديوان أبي نواس، ص ٤٥٤.

[196] ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج/١، ص ٢٣٣.

[197] المصدر نفسه والجزء، ص ٤٨٨.

[198] ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، ج/ ٣، ص ٣٧٠

[199] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٢، ص١٧١.

كأنمَّا أنت شيء

حوى جميع المعاني[200]

وقول ابن دريد:

الله يعلم والراضي وشيعته

إن الوزارة لفظ أنت معناه[201]

فاستوحاه المتنبي في عدة أبيات قائلاً:

الناس ما لم يروك أشباه

والدهر لفظ وأنت معناه[202]

ولوا كونكم في الناس كانوا

هراء كالكلام بلا معاني[203]

لا يتوقى أبو العشائر من

ليس معاني الورى بمعناه[204]

يُدِلّ بمعنى واحد كل فاخر

وقد جمع الرحمن فيك المعانيا[205]

وقد يقع التكرار في بعض المعاني التي ارتبطت بخبرة الشاعر وتجربته في الحياة، فيوردها بأسلوب يوجز التجربة في إطار بيت واحد مِمَّا يدخل في باب الحكمة وضرب الأمثال نحو قوله:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[206]

تصفو الحياة لجاهل أو غافل

---

[200] ديوان أبي نواس ، ص ٢٤٤.

[201] ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج/٤ ، ص٢٦٣ .

[202] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٦٣.

[203] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ج/٤، ص٢٦٢.

[204] ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٤ ، ص٢٦٣.

[205] المصدر نفسه ، ج/٤، ص٢٨٩.

[206] المصدر نفسه والجزء ص ١٢٤.

عما مضـى فيها وما يتوقـع[٢٠٧]

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن[٢٠٨]

ويقول البحتري:

أرى الحلم بؤسا في المعيشـة

ولا عيش إلا ما حباك به الجهل[٢٠٩]

ترى الدارسة أنَّ ظاهرة التكرار التي نراها لدى المتنبي وغيره تدل على فاعلية التجربة التي استقبلت فيها ذاكرة الشاعر هذا المعنى أو ذاك، وتتم – في الوقت نفسه – عن إعجاب الشاعر ببعض المعاني التي توافق بعض دوافعه النفسية، فيكون التكرار تأكيداً لدور الذاكرة في عملية النظم، كما يوجه الشاعر إلى بعض المعاني توجيهاً متعمداً مقصوداً.

المبحث السادس : آراء النقاد في سرقات المتنبي :

عد بعض النقاد تأثر الشعراء بشعر من سبقهم من باب السرقة ، وقضية السرقات الأدبية من القضايا التي شغلت النقاد في القرن الرابع الهجري ، تلك القضية التي عدَّها ابن قتيبة الدينوري فناً من فنون العرب ، ولكنه اشترط في ذلك ؛ أن تكون السرقة محمودة وعلى الشاعر المتأخر أن يحسن فيها ويزيد ، ويلبسها ثوباً جديداً.

لقد اختلفت آراء النقاد حول مصطلح السرقة، لذلك رأت الدارسة أن تتحدث عن هذا المصطلح الذي كان في بادئ الأمر ثلاثة مصطلحات ، فتناولته – أي الدارسة – لما له من أهمية في نشاط الحركة النقدية ، خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين. ولقد أفرد الباحثون بحوثاً ودراسات كثيرة تناولت هذه القضية ، ولعل هذا البحث يكون جزءاً يسيراً منها.

لعل قضية السرقات الأدبية من أقدم قضايا النقد الأدبي، وتبدو في أهميتها شبيهة بقضية اللفظ والمعني، وربما فاقتها خطورة ، لأن الاتهام بالسرقة من المطاعن التي يسهل تناولها، فالعصر الجاهلي الذي عرف بأصالة شعرائه واعتزازهم بشعرهم، قد عرف عنهم

---

[٢٠٧] المصدر نفسه ، ج/ ٢، ص ٢٦٩.

[٢٠٨] المصدر نفسه،ج/٤ ص ٢٠٩.

[٢٠٩] ديوان البحتري، ج/٣ ص١٦١٦.

مثل هذا الاتفاق، أو التشابه عند بعضهم مِمَّا أباح للنقاد أن يتهموهم بالأخذ والسرقة، ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة[210] من أن طرفة بن العبد أخذ من امرئ القيس قوله:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم

يقولون لا تهلك أسي وتجمل[211]

وقال طرفة:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم

يقولون لا تهلك أسي وتجلد[212]

وها هو حسان بن ثابت بفخر بأنه لا يسرق من الشعراء فقال :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا

بل لا يوافق شعرهم شعري[213]

لعل الفرزدق وجريراً أول من فتح باب الكلام في السرقات الشعرية وفي الجانب الفني فقد روى الأصمعي فقال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المربد فقلت: يا أبا فراس: أقلت شيئاً ؟ أحدثت شيئاً ؟ قال: خذ، ثم أنشدني:

كم دون ميّة من مستعمل قذف

ومن فلاة بها تستودع العيس[214]

قال: فقلت سبحان الله !! هذا للمتلمس، فقال:اكتمها، فلضوال الشعر أحب إلي من ضوال الإبل"[(215)]

وأشار الجاحظ إلى هذه القضية إشارة عابرة عندما صرح بأنَّ الأدباء يحاولون الاستيلاء على ما يجدونه لغيرهم من تشبيه مصيب ، أو معني غريب، وبديع مخترع"[(216)]. وتطرق ابن قتيبة لهذه القضية كما ذكرنا باعتبارها فناً فنادى بفكرة السرقة المحمودة التي ألم فيها الشعراء بمعاني القدماء ، وأحسنوا فيها بما زادوا عليها

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ج١/ ص ، ١٨٥.

٢١١ ديوان امرئ القيس ، ص ١٤٤.

[212] ديوان طرفة بن العبد ، ص ٨٧.

[213] ديوان حسان بن ثابت ، بيروت : دار صادر ، دون تاريخ ، ص ٣٧

[214] ديوان جرير ، ص ٦٧

٢١٥ العمدة ، ابن رشيق . ج٢/ ص، ٢٨١.

٢١٦ الحيوان ، الجاحظ ج٣/ ص ، ١٢٦.

فألبسوها بذلك ثوباً جديداً غير ثوبها[٢١٧]. وقد يكون الآمدي من أبرز نقاد القرن الرابع الهجري الذين عالجوا قضية السرقات الأدبية ، وكتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري خير دليل على ذلك.

أما ابن رشيق فيري أن باب هذه القضية متسع جداً ولا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه[٢١٨].ًفالنقاد قد تعرضوا لهذا القضية ولم يصدروا عن نظرية واضحة إلي أن جاء عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ، فاتجه إلي دراسة هذه القضية من الوجهة الفلسفية- إن جاز هذا التعبير- فذكر: "أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسوق، واقتدي بمن تقدم وسبق ، لا يخلو من أن يكون في المعني صريحاً ، أو في صيغة تتعلق بالعبارة"[٢١٩].

وعن مصطلحات السرقات وأنواعها ؛ فقد رأينا فيما سبق آراء بعض النقاد القدامى التي تناولت هذه القضية ، ولمسنا التفاوت بين هذه الآراء، ولقد تغير الموقف بعد ظهور الاتجاه الجديد في شعر جماعة المحدثين الذين استخدموا ألوان البديع في أشعارهم، ولم يتقبل النقاد حركة التجديد هذه بسهولة فتعقبوا الشعراء في أشعارهم للنيل منهم ، فأخذوا يعيبون اللغة التي استخدمها الشعراء في أشعارهم، واتهموا أساليبهم بالضعف.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد أخذ النقاد يتهمون الشعراء المجددين بالسرقة، وأنهم يتكئون في أشعارهم على القدماء وحاول النقاد تبرير ذلك، فرأينا ابن طباطبا يعلل لجوء المحدثين إلي هذا التصرف في معاني القدماء بسبقهم إلي المعاني ، بحيث ضاق المجال أمام المحدثين فلم يبق لهم خيار إلا في مثل هذا الفعل، وظهرت مصطلحات السرقات الشعرية، وذكروا منها في بادئ الأمر ثلاثة مصطلحات هي: النسخ والمسخ والسلخ. فالنسخ: هو أخذ المعني بلفظه، والمسخ: أخذ المعني والتقصير عنه وتشويهه بحيث يجئ أقبح من السابق أما السلخ: فأخذ

---

٢١٧ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج١/ ص ، ٧٣.

٢١٨ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني ص ، ٢١٤

٢١٩ العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج/٢، ص ٢٨٠.

بعض المعني أو عرض المعني عرضاً جديداً أو تحويره، ويجئ هذا من سلخ الشاة وتجريدها من جلدها.

وجاء ضياء الدين بن الأثير (بكتابه المثل السائر) فلم يكتفِ بهذا التقسيم الثلاثي، فتعداه إلي تقسيم خماسي، فجعل الرابع: أخذ المعني مع زيادة عليه، والخامس: عكس المعني على ضده. ويكون ابن الأثير بذلك قد حدد مفهوم القسم الثالث وهو السلخ، بأنَّه أخذ المعني دون اللفظ.

ولعل تحديد المصطلح أمر له دلالته في أي علم من العلوم، وهذا التحديد هو الذي يوجه الباحث إلي غايته، ويوضح له السبل التي ينبغي عليه أن يسلكها، فبعد أن حدد النقاد مصطلحات السرقات الأدبية، أخذوا يفصلون في أنواعها. فلقد تعمق البحث في سرقات الشعراء إلى أن أخذ النقاد يتحرون أصالة الشاعر، ومدى الجدة في فنه، وأسلوبه، ومعانيه، وإبداعه، وأخذوا يتدبرون أمر هذه السرقات، فقسموها تقسيماً يقوم على دعامتي اللفظ والمعني، ورأوا أنَّ السرقات على نوعين:

الأوَّل: سرقات أسلوبية أو لفظية.

الثاني: سرقات معنوية تختص بمعني العبارة.

ويرى بعض النقاد أنَّ كلَّ اشتراك في معني أو لفظ بين شاعرين يعد سرقاً، ومن هؤلاء أبو الطيب بشر بن تميم حين ذكر سرقات البحتري، فعمم ولم يخصص، وخالفه الآمدي وقال: إنَّ السرقة ليس ما ادعاه أبو ضياء، وعلل رأيه بقوله: إنَّ ما يشترك فيه الناس، وتجري طباع الشعراء عليه فليس بسرقة، وجعل السرقة في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك. وبذلك يكون الآمدي قد حدد الاتهام بالسرقة، ولم يعمم كما فعل أبو ضياء، ويرى الآمدي أنَّ من المعاني ما هو معروف ولا يختلف عليه اثنان، ومن ذلك قول الشاعر أبي تمام:

فلو كانت الأرزاق تجري على الحجا

هلكن إذن من جهلهن البهائم[٢٢٠]

أخذه من قول أبي العتاهية:

إنَّما الناس كالبهائم في الرزق

---

[٢٢٠] ديوان أبي تمام ، ج/٢ ، ص ٨٢

سواءٌ جهولهم والعليم[٢٢١]

جعل الآمدي السرقات على نوعين: محاسن ومساوئ ولكل منها درجات. أما المحاسن فدرجاتها:

أ- ما أخذ الشاعر عن غيره، وأتي بزيادة في المعني، ومثال ذلك قول أبي تمام:

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحي

بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها

من الجيش إلا أنها لم تقاتل[٢٢٢]

أخذه من قول مسلم:

قد عوَّد الطير عادات وثقن بها

فهن يتبعنه في كل مرتحل[٢٢٣]

فأتي أبو تمام بزيادة وهي قوله (إلا أنها لم تقاتل) وجاء بالمعني في بيتين.

ب- ومن المحاسن تحويل المعني من موضوع لآخر كقول جرير في الغزل:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له

وهن أضعف خلق الله إنسانا[٢٢٤]

أخذه أبو تمام فجعله في الخمر فقال:

وضعيفة فإذا أصابت فرصة

قتلت وكذلك قدرة الضعفاء[٢٢٥]

ج- ومن المحاسن أن يأخذ المعني فيكشفه ويزيده وضوحاً ، ومثال ذلك قول مسلم:

لا يستطيع يزيد من طبيعته

عن المروءة والمعروف إحجاما[٢٢٦]

أخذه أبو تمام ، فكشفه ، وزاده وضوحاً ، وأحسن اللفظ وأجاد فقال:

---

[٢٢١] ديوان أبي العتاهية ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص ٣٨٧
[٢٢٢] ديوان أبي تمام ، ج/٢ ، ص ٩٧
[٢٢٣] ديوان مسلم بن الوليد ، ص ٤٤٦
[٢٢٤] ديوان جرير ، ص ٧٥٣
[٢٢٥] ديوان أبي تمام ، ج/١ ، ص ٣٠
[٢٢٦] ديوان مسلم بن الوليد ، ص ٤٦٢

تعود بسط الكف حتى لو أنه

دعاها لقبض لم تطعه أنامله[٢٢٧]

أما مساوئ السرقات: فنذكر منها عيباً واحداً وهو أن يأخذ المعني كما هو بلفظه، كقول امرئ القيس:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم

يقولون لا تهلك أسي وتجمل[٢٢٨]

وهذا ما سمي النسخ.

أخذه طرفة فقال:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

يقولون لا تهلك أسي وتجلد[٢٢٩]

إنَّ ما ذكره الآمدي بشأن السرقات الشعرية، قد ذكره ابن طباطبا من قبل في كتاب عيار الشعر عندما دافع عن الشعراء المحدثين في اقتباس المعاني من الشعراء السابقين، أو أخذها ثم تعديلها.

وعن سرقات المتنبي فقد كادت ريح الخصومة حول أبي تمام تركد بظهوره – أي المتنبي – وكاد الذوق العام يتطبع بالشعر المحدث الذي أتي به أبو تمام ومن سار على منواله، فلما ظهر المتنبي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، أتي بظاهرة جديدة، كانت مصدر حيرة للذوق والنقد معاً، ذلك أنَّ المتنبي كشاعر، جمع بين القديم والحديث، يأتي بالجزالة والبيان على خير ما كان يجئ به القدماء، و يغوص على معاني الإنسانية غوصاً بعيداً. إضافة إلى أنَّه كان يضمن شعره فلسفة القرن الرابع الهجري، واحتار النقاد في هذه الظاهرة الجديدة، وربما أدى ذلك إلي القضاء على الصراع الذي كان يدور حول القديم والحديث.

لقد أثر المتنبي على الذوق العام في عصره بأمرين: الأوَّل بشخصه المتعاظم المتعالي فقد كان كثيراً ما يستخف بأصول اللياقة والعرف في مخاطبة الممدوحين،

---

[٢٢٧] ديوان أبي تمام ، ج/٣ ، ص ١١٠

[٢٢٨] انظر ص ١٧٣من هذا البحث.

[٢٢٩] انظرلصفحة ١٧٣ من هذا البحث.

ورثاء النساء، وكان المتنبي يعد نفسه الصوت والآخرين الصدى مما جر عليه حسد الحساد، الثاني: جرأته في الشعر حتى مس شعره القصيدة الدينية.

ولقد كان المتنبي بشخصه المتعاظم، وجرأته في الشعر مثار جدلٍ بين أنصار وخصوم وحاول الخصوم تحطيم شعر المتنبي انتقاماً من شخصه وتعاليه، فكان جل همهم منصرفاً إلي التأكيد على أن شعره مرقعة مصنوعة من معاني الآخرين.

وفي الجانب الآخر لم تكن الوسائل النقدية عند أنصاره قد تطورت بما يناسب الجدة التي جاء بها المتنبي، فاكتفوا بتصوير الإعجاب بشعره، والدوران حول حسن الابتداء وحسن التخلص ، وما إلي ذلك من أمور شكلية، ومع ذلك فقد كان أنصاره وخصومه متفقين على أنه ليس شاعراً صغيراً.

يمكن القول: إنَّ انشغال النقاد بشعر المتنبي يدل دلالة واضحة على أنَّ هناك ظاهرة جديدة حدثت في مجال الشعر، وأنَّ الدراسات النقدية التي ثارت حول شعر المتنبي تجسيد لهذه الظاهرة التي تستحق الدراسة وبيان الرأي.

وتكتفي الدارسة هنا بعرض رأي القاضي الجرجاني في سرقات المتنبي من خلال كتابه (الوساطة) ومن هنا تستطيع الدراسة القول: إنَّ الوسط كان صالحاً لظهور كتاب (الوساطة) وكان الهدف من هذا الكتاب، هو التوفيق بين أنصار المتنبي ومعارضيه، وما يهمنا في هذا المجال رأي القاضي الجرجاني في سرقات المتنبي ، ولعل الناظر في كتاب الوساطة يدرك أن الجرجاني اعتمد آراء الآمدي في هذه المشكلة، إلا أن القاضي الجرجاني طوَّر هذه الآراء، وأمعن التدقيق والتحليل فيها، فقد ذهب إلي أن المعاني المشتركة بين الناس لا يعد تداولها سرقة، كما أن التشابه في الألفاظ ليس من السرقة في شيء، وعلى هذين المبدأين رد الآمدي كثيراً من السرقات . ويميل الجرجاني إلي الاعتذار عن المتأخرين، لأن المتقدمين استغرقوا المعاني.

وضع الجرجاني في الوساطة مقياساً لمن يحق له الحكم بسرقة شاعر عن آخر، فهو يري: (أن هذا لا يتحقق إلا لجهابذة اللغة، ونقاد الشعر الذين يستطيعون أن يميزوا بين السرق والغصب والإغارة، والاختلاس والإلمام، والملاحظة والمشترك، الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولي به، وبين المختص

الـذي حـازه المبتـدئ فملكـه، وأحيـاه السـابق فاقتطعـه، فصـار المعتـدي مختلسـاً، والمشارك له محتذياً تابعاً[230]).

وجعل الجرجاني المشترك نوعين: نوع عام يعرفه كل الناس ،ونوع عمَّ يعد تخصيص، سبق إليه شاعر قديم، كتشبيه آثار الدار بالخط الدارس، ثم كثر تداوله حتى لم يعد يرد إلي أصل. وقد يكون السرق باجتماع اللفظ والمعني معاً، ونقل البيت أو المصراع، وهذا النوع يسمي غصباً.

وبعد أن يضع الجرجاني قواعد السرقات التي فيها قلب المعني إلي الضد، أو أخذ العام المشترك وإبرازه في صورة أحسن، يأتي بطريقتين في تبيان السرقات، فقد كان يأتي بسرقات تكاد تكون مطابقة في اللفظ، وفي ترتيب أجزاء اللفظ الواحد، ومثال ذلك قول الناشئ:

وتجس بالرفق التراب إذا مشت

جس الطبيب يد العليل المدنف[231]

وقال المتنبي:

يطأ الثري مترفقاً من تيهٍ

فكأنّه آس يجس عليـلا[232]

كان العميدي في كتابه أو رسالته التي سماها (الإبانة عن سرقات المتنبي) أكثر سخطاً من غيره على المتنبي، نلمس ذلك من تعليقاته اللاذعة، مثل قوله عن المتنبي: "لقد تصبب عرقاً، وتقلب أرقاً حتى استنبط هذا المعني البديع"[233].أو قوله :" بكم الخرس أحسن من هذا الكلام العافي الغث، والنظام الفاسد الرث"[234]. وفي حديثه عن سرقات المتنبي، نراه يعتقد "أنَّ المتنبي اطلع على دواوين الشعراء المكثرين،

٢٣٠ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني ص ١٨٣.

٢٣١ ديوان الناشي ،ص ١٣٩، نقلاً عن ثقافة أبي الطيب المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناؤوطي، ص ٢٠٩.

٢٣٢ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٣٢٧

٢٣٣ الإبانة عن سرقات المتنبي، يوسف البديعي، ص٣٣.

٢٣٤ المرجع نفسه ، ص٣٤.

فأخذ منها كل معني جيد، وإنَّما اعتمد المكثرين لأنَّ أشعار المقلين تعرف وتشتهر بسهولة لقلتها فإذا أخذ من المكثرين خفيت سرقاته"[٢٣٥].

يستعمل العميدي بعض المصطلحات لبيان أنواع السرقات منها: النسخ والسلخ[٢٣٦].وقد حاول العميدي النيل من المتنبي إلا أنه لا ينكر أن المتنبي شاعر قدير،ويقول العميدي: (ولست – يعلم الله – أجحد فضل المتنبي وجودة شعره، وصفاء طبعه، وحلاوة كلامه، وعذوبة ألفاظه، ورشاقة نظمه، ولا أنكر استكماله لشروط الأخذ إذا لحظ المعني البديع لحظاً[٢٣٧]). ويخرج إلي القول في سرقات المتنبي، فيروي ما ذكره السابقون في ذلك، وقد يشير إلي البيت السابق، ثم يأتي ببيت المتنبي دون تعليق، وقد يعلق على ذلك فيقول مثلاً: العباس بن الأحنف:

بكت غير آنسةٍ بالبكا

فدمع الحزن في مقلتيها غريب[٢٣٨]

فأخذه المتنبي وقال :

أتتهن المصائب غافلات

فدمع الحزن في دمع الدلال[٢٣٩]

فزاد وأحسن وملح في ذكر الدلال

ونجد قول البحتري:

وكأن في جسمي الذي   في ناظريه من السقم[٢٤٠]

فأخذه المتنبي فقال:

أعارني سقم جفنيه وحملني

من الهوى ثقل ما تحوي مآزره[٢٤١]

فاختصر وأحسن وأورد البيت في نصف م

---

٢٣٥ المرجع نفسه، ص١٢٥.

٢٣٦ المرجع نفسه ، ص ١٢٨

٢٣٧الإبانة عن سرقات المتنبي ، يوسف البديعي ، ص ١٣١

٢٣٨ ديوان العباس بن الأحنف ، ص ٢٧

٢٣٩ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٣ ، ص ٣٤٧

٢٤٠ ديوان البحتري ، ج/٣ ، ص ١٨٩٨

٢٤١ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ج/٢ ، ص ١٤٩

الخاتمــة

فقد أوجزت الخاتمة معالم هذا البحث، كما فصلتها دراسته، وأبرزت النتائج التي استطاعت الدارسة أن تصل إليها.

قدمت هذه الدارسة صورة لأثر الأقدمين في شعر شاعر من شعراء القرن الرابع الهجري – وهو المتنبي– وذلك من خلال تتبعها لحياة الشاعر الذي كان حريصاً على الاستفادة من ثقافة عصره، في كل الجوانب المتاحة اللغوية منها والدينية والفلسفية والأدبية والتاريخية، بالإضافة إلى المعارف العامة بما فيها الحيوانات والحشرات والفلك. هذه المعارف أسهمت في صقل موهبة الشاعر، وجعلته مستعداً لعملية الصنع؛ وذلك من خلال اتجاهه إلى التراث وتحصيله لعلمي اللغة والنحو لتقديم أداته في التعبير.

قد تناولنا هذه المادة في إطار الشعر الذي تأثر فيه المتنبي بالقدماء، وظهر أثره واضحاً عنده دون غيره من الشعراء. من هنا حاولت الدارسة أن تلم بأهمّ المعالم البارزة في (أثر الأقدمين في شعر المتنبي) وذلك بعرض نماذج منها؛ لتقديم صورة موجزة ووافية لهذا الأثر.

تتبعت الدارسة في الفصل الأوَّل – والذي جاء بعنوان حياة أبي الطيب المتنبي وعصره – أخبار الشاعر وسيرته وتنقله من بلاط إلى آخر، ووجدت أنّ الشاعر عاش في عصر تمثل فيه الشعراء كل الثقافات تمثلاً تاماً، في مقدمتهم شاعر اللغة والفلسفة الذي تأثر بشعراء عصره ومن سبقوهم تأثراً ظهر في نتاجه الشعري؛ لأنَّه انكب على الشعراء من قبله يقرأ ويستوعب ويحفظ ويتمثل وخاصة أبا تمام والبحتري ولا غرابة في ذلك؛ لأنَّ الشاعر الفذ لا بد أن تتوافر فيه مجموعة من القدرات التي تعينه على الإبداع وهذا حال المتنبي.

لقد تناول هذا الفصل مولد الشاعر ونسبه وشيوخه وبيئاته التي تنقل فيها من بادية وحضر، كما أشار إلى بعض من الذين ترفع المتنبي عن مدحهم. وأشار – أي الفصل– إلى صفات الشاعر المعروفة من ذكاء وحفظ وذاكرة عجيبة ميزته عن

شعراء عصره. تعرض الفصل كذلك إلى معتقداته ونبوته التي اختلف الدارسون حولها اختلافاً كبيراً.

وانفرد الفصل الثاني بكشف معالم ثقافة الشاعر وسعة إدراكه وإلمامه بالمعارف المختلفة التي شهدها القرن الرابع الهجري مِمَّا حدا بالشاعر أن يتمثلها في شعره، أولى هذه الثقافات الثقافة اللغوية التي تنم عن معرفته باللغة لاسيما أنَّه قد عايش الأعراب. وتعتبر الثقافة اللغوية من أهمَّ جوانب ثقافته؛ لأنَّها أدت دورها في تطوير أداته وإحكام فنه من ناحية، وكانت مصدراً لمعرفته لمعارف أخرى من ناحية أخرى كالفلك والحيوانات. فقد بدأ الشاعر في صورة العالم المتمكن من اللغة ثقة بطبعه – كما قال الحاتمي في الموضحة– وسعة اطلاعه من خلال المناقشات التي وردت في أخباره أو في الأمالي التي صدرت عنه حيث بدت غزارة مادته في خروجه عن مهمة بيان المعنى إلى سرد معلومات لغوية ونحوية؛ فيشرح المعنى بإيراد شواهد متعددة، وقد يورد للفظ عدة صيغ أو عدة مترادفات، ويستشهد لذلك بما سمعه من الأعراب.

أمَّا عن ثقافته الدينية فنجده قد تأثر بالحركات الدينية كالقرمطية والصوفية والشيعة، والمعروف أنَّ الكوفة كانت من أكبر المراكز الشيعية وفيها رواسب دينية متعددة. نضيف إلى ذلك أنَّ بيئة الحمدانيين كانت شيعية محافظة. هذا بالإضافة إلى ثقافته الدينية من القرآن وما يتصل بها من مأثورات ومن آراء فقهية تبدو واضحة في شعره.

لقد تألفت ثقافته الفلسفية من آراء تتعلق بالبحث في أصل الوجود ومصير الإنسان، إلى جانب أقوال بعض حكماء اليونان وخاصة أرسطو فيما يتصل بالفلسفة الأخلاقية. ولم تغفل الدراسة عن ذكر بعض آثار ثقافته الدينية والفلسفية التي أسهمت في اتهام الشاعر بضعف العقيدة والخروج عن الدين، مِمَّا حدا بالجرجاني إلى الدفاع عنه بقوله: إنّ الديانة ليست عاراً على الشعر.

تقف الدراسة في الفصل الثالث والأخير على مستوى آخر من مستويات الأثر، وهو ما استمده المتنبي من القدماء مبينة الوسائل التي سلكها الشاعر للاستعانة بموروثه الشعري في البيت الواحد أو في إطار القصيدة كلِّها. وقد أشارت الدراسة إلى شعراء بعينهم

أثروا تأثيراً واضحاً في شعره. وقد اهتم النقاد بتعقب مثل هذه الأبيات كضرب من السرقة الفاضحة في نظرهم.

ترى الدارسة أنَّ الشاعر قد يلجأ إلى تكوين صوره والى استمداد عناصر مختلفة، من مصادر مختلفة، فيؤلف بينها في علاقات جديدة كما ترى أنَّه قد واكب غيره من الشعراء في تناول المعاني التي دارت دوراناً واسعاً في الشعر العربي ولم يغفل عن ملاحظة التطور الذي طرأ على هذه الصور المتداولة على يد بعض الشعراء. تؤكد الدارسة أنَّه لم يسلم شاعر من شعراء العرب من أن يتأثر بإنتاج الآخرين؛ ليخرج أدباً منطبعاً بطابعه متسما بمواهبه، ولذا فإنَّ محور التأثر – كما ترى- في الشعر أو الإفادة منه هو الأصالة، أصالة الشاعر وأصالة المعاني وبهما يتحقق الأثر المثمر.

كلٌّ ذلك أعاننا عليه تتبعنا لكتب السرقات، إلى جانب أخبار الشاعر التي هدتنا إلى الدواوين التي اطلع عليها في تحديد مصادر هذه الصور. ووقفت الدارسة على آراء بعض النقاد كابن قتيبة والآمدي والقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وغيرهم. كما عرضت الدارسة بعض النماذج التي تأثر فيها المتنبي بالموروث الشعري، نحو إيراده للتشبيهات المتتالية في بيت واحد أو تعمده للمعاظلة اللفظية، واستخدامه لألوان البيان المختلفة، فكلَّ ذلك يعد من باب تعرف ثقافته الأدبية الواسعة التي تميز بها دون غيره من شعراء زمانه.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه و إلا فللمجتهد أجران فما كتبته لم يشبع نهمي ولم يسد الفراغ الذي قدر له أن يسده وهذا هو شأن طلاب العلم في كل عصر، والتقصير من سمات البشر.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإبانة عن سرقات المتنبي ، العميدي ، تحقيق : إبراهيم الدسوقي البساطي القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩١م .

٣. أخبار أبي نواس ، ابن منظور المصري ، شرحه وضبطه : محمد عبد الرسول وعباس الشربيني ، القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٤م .

٤. الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ .

٥. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابن الأنباري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

٦. البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط١ ،القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٤٤م .

٧. تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، ط٢٤، القاهرة ، الفجالة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، دون تاريخ .

٨. تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م .

٩. تاريخ بغداد ومدينة السلام ، البغدادي (الخطيب) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

١٠. تاريخ التربية في الإسلام ، أحمد شلبي ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م .

١١. تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، ترجمة صادق نشأت ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١م .

١٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، بيروت : دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢م .

١٣. التعريفات ، الجرجاني (أبو الحسن بن علي) ، ليتزيج ، دون تاريخ.

١٤. التنبيهات (على ما في المقصور والممدود لابن ولاد) (ضمن المنقوص والممدود للفراء) ، على بن حمزة البصري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني الراجاكوتي ، القاهرة : دار المعارف ، دون تاريخ .
١٥. أبو تمام ثقافته من خلال شعره ، مرهون الصفار ، بغداد : مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٢م .
١٦. ثقافة أبي الطيب المتنبي وأثرها في شعره ، هدى الأرناؤوطي (صُوِّر من جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية الرقم العام ٣٧١٧٦ ،مكتبة م).
١٧. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، تحقيق : مصطفى جواد ، بغداد : المجمع العلمي ، ١٩٥٦م .
١٨. جمهرة اللغة ، ابن دريد (أبو بكر) ، حيدر آباد الدكن ، دون تاريخ.
١٩. حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ، المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٠٦هـ .
٢٠. الحياة الروحية في الإسلام ، محمد مصطفى حلمي ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٤٥م .
٢١. حياة الشعر في الكوفة ، يوسف خليف ، القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م .
٢٢. الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٤٤م .
٢٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، البغدادي (عبد القادر) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨م .
٢٤. ديوان الأعشى الكبير ، شرح محمد محمد حسن ، الجماميز : مكتبة الآداب دون تاريخ .
٢٥. ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م .
٢٦. ديوان البحتري ، شرح وتحقيق : حسن كامل الصيرفي ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م .

٢٧. ديوان بشار ، نشر وتقديم : محمد الطاهر بن عاشور ، تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م .
٢٨. ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥م .
٢٩. ديوان دعبل الخزاعي ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، بيروت : دار الثقافة ١٩٦٢م .
٣٠. ديوان ابن الرومي ، اختيار وتصنيف : كامل كيلاني ، مطبعة التوفيق الأدبية ، دون تاريخ .
٣١. ديوان الشماخ ، تحقيق : صلاح الدين الصاوي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .
٣٢. ديوان طرفة بن العبد البكري، مكس سلغسون، طبع بو طرائد، ١٩٠٠م .
٣٣. ديوان العباس بن الأحنف ، شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤م.
٣٤. ديوان علي بن الجهم ، دمشق : نشر خليل مردم ، ١٩٤٩م .
٣٥. ديوان أبي فراس الحمداني ،تحقيق : سامي الدهان، بيروت، دون تاريخ .
٣٦. ديوان قيس بن الحطيم ، تحقيق : إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، بغداد : مطبعة الهاني ، ١٩٦٢م .
٣٧. ديوان كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، جمع وشرح : إحسان عباس بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧١م .
٣٨. ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق : إحسان عباس ، سلسلة التراث العربي الكويت ، ١٩٦٢م .
٣٩. ديوان المتنبي :

. تصحيح عبد الوهاب عزام ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٤م.

. شرح البرقوقي ، بيروت (لبنان) : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م .

. شرح عثمان بن جني المسمى بالفسر ، تحقيق : صفاء خلوصي ، بغداد : مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠م .
. شرح العكبري المسمى بالتبيان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون ، بيروت (لبنان) : دار المعارف للطباعة والنشر دون تاريخ .
. شرح الواحدي ، طبعة برلين ، ١٨٩١م .
٤٠. ديوان مسلم بن الوليد ، دار المعارف ، ١٩٥٧م .
٤١. ديوان المعاني ، العسكري (أبو هلال) ، مكتبة القدس ، ١٣٥٢ هـ .
٤٢. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : شكري فيصل ، بيروت : دار الفكر ١٩٦٨م .
٤٣. ديوان أبي نواس ، تحقيق : سلمى الدهان ، بيروت ، دون تاريخ
٤٤. ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام ، عبد الوهاب عزام ، ط٣ ، دار المعارف ، دون تاريخ .
٤٥. الرسالة الحاتمية (ضمن التحفة البهية والطرفة الشهية) ، الحاتمي القسطنطينية : مطبعة الجوانب ، ١٣٠٣ هـ .
٤٦. رسالة في قوانين صناعة الشعر (ضمن فن الشعر لأرسطو) ، الفارابي تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٥٣م .
٤٧. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره،الحاتمي، تحقيق: محمد يوسف نجم ، بيروت : دار صادر ، ١٩٦٥م .
٤٨. سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تصحيح وتعليق : عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، ١٩٥٣م .
٤٩. سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، ابن بسام النحوي ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م .
٥٠. ابن سناء الملك وقضية العقم والابتكار في الشعر ، عبد العزيز الأهواني مطبعة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢م .
٥١. الشاعر والتراث ، مدحت الجيَّار ، الإسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر دون تاريخ .

٥٢. شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، القاهرة : مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥م .
٥٣. شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة أبي الحسن بن الحسين (السكري) نسخة مصورة عن دار الكتب ١٩٥٠م القاهرة ، الدار التونسية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥م .
٥٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٦٤م .
٥٥. شرح مشكلات ديوان أبي الطيب المتنبي ، ابن فورجة ، تحقيق : محمد غياض ، بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٣م .
٥٦. شعر السموأل ، شرح وتحقيق : عيسى سابا ، بيروت : مكتبة صادر ١٩٥١م .
٥٧. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
٥٨. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق : محمد شتا وآخرين ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣م .
٥٩. أبو الطيب المتنبي حياته وشعره ، بغداد : مطبعة النهضة ، دون تاريخ .
٦٠. أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ، مصطفى الشكعة ، ط٢، بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ – ١٩٧٣م .
٦١. العصر العباسي الأوَّل ، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، دون تاريخ.
٦٢. العمدة (في محاسن الشعر وآرائه ونقده) ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، بيروت (لبنان) : دار الجيل ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .
٦٣. عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق : طه الحاجري و محمد زغلول سلام ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٦م .
٦٤. الفتح على أبي الفتح ، ابن فورجة ، تحقيق : عبد الكريم الدجيلي ، بغداد: دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٤م .

٦٥. الفتح الوهبي على مشكلات شعر المتنبي ، ابن جني ، تحقيق : محمد غياض ، سلسلة كتب التراث ، بغداد : مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٣م .
٦٦. فجر الإسلام ، أحمد أمين ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٨م .
٦٧. فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مصطفى الشكعة ، القاهرة : مطبعة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨م .
٦٨. في الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطئ ، المجلد الثاني ، ط٣ ، حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٦٩. قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : الشاذلي بو يحيى ، تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٢م .
٧٠. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٠ هـ .
٧١. كتاب الأنواء في مواسم العرب ، ابن قتيبة الدينوري ، ط١ ، حيدر آباد مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٦م .
٧٢. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، الصاحب بن عباد ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٦٥م .
٧٣. لسان العرب ، ابن منظور المصري ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، دون تاريخ .
٧٤. المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، محمد عبد الرحمن شعيب ، ط٢ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩م .
٧٥. المتنبي في دراسات المستشرقين ، حسن الإمراني ، ط٣ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٧٦. المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، محمد التونجي ، ط٨ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
٧٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، بولاق ، ١٢٨٢ هـ .
٧٨. مجمع الأمثال ، الميداني ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ .

٧٩. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والخطباء ، الأصفهاني (الراغب) ، مصر، ١٢٨٧ هـ .
٨٠. محاضرات في الفلسفة الإسلامية ، يحيى هويدي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م .
٨١. المختار من شعر بشار ، شرح إسماعيل أحمد النجيبي ، تحقيق : محمد بدر العلوي ، لجنة التأليف والنشر مطبعة الاعتماد ، دون تاريخ .
٨٢. معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، دون تاريخ.
٨٣. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة ، دمشق : المطبعة الهاشمية ، دون تاريخ .
٨٤. مع المتنبي ، طه حسين ، ط١٠ ، القاهرة : دار المعارف ، دون تاريخ .
٨٥. المغرب في حلي المغرب ، ابن سعيد الأندلسي ، تحقيق : زكي محمد حسن وآخرون ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٣م .
٨٦. مقدمة ابن خلدون ، القاهرة : دار الشعب ، دون تاريخ .
٨٧. الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد ، مؤسسة الحلبي ١٩٦٨م .
٨٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس : دار الكتب الشرقية ، ١٩٦٦م .
٨٩. الموازنة بين البحتري وأبي تمام ، الآمدي ، تحقيق : أحمد صقر ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
٩٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ابن الأنباري ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، بغداد : مكتبة الأندلس ، ١٩٧٠م .
٩١. نظرية المعنى في النقد العربي القديم ، مصطفى ناصف ، القاهرة : دار القلم ، ١٩٥٨م .
٩٢. نقائض جرير والفرزدق ، أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ، تقديم : بيفان أنتوني إشلي ، طبعة ليدن ، ١٩٠٧م .

٩٣. النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دون تاريخ .
٩٤. نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩م .
٩٥. الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، الأصفهاني (أبو القاسم) ، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م .
٩٦. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني (على بن عبد العزيز)،تحقيق : محمد أبو الفضل وعلى البجاوي ، ط٤، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ١٩٦٦م .
٩٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م .
٩٨. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعالبي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

الدوريات

١. أبو الطيب المتنبي ، محمود شاكر ، مجلة المقتطف ، يناير ١٩٣٦م .
٢. فلسفة المتنبي من شعره ، محمد مهدي علاّم ، صحيفة دار العلوم ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يونيو ١٩٣٦م .
٣. هل كان المتنبي فيلسوفاً ؟ ، أحمد أمين ، مجلة الهلال ، أول أغسطس ١٩٣٥م .

فهرس الآيات القرآنية

	النص القرآني	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ	الإسراء	٦٧	٧٢
٢	إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً	الكهف	٨٤	٨٥
٣	وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ	الأنبياء	٣	٧١
٤	وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ	فصلت	٣٧	٨٢
٥	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ	ق	١٦	٩١
٦	أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	نوح	١	٨٥

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الشعراء

فهرس الموضوعات